التاريخ
لعبة
الحضارات

التاريخ لعبة الحضارات

الكاتب: رماز الاعرج

الجزء الخامس من كتاب «خارج المنظور»

الطبعة الأولى 2018

تصميم: شربل إلياس



مكتبة كل شيء 2018
ناشرون
info@kul-shee.com
www.kul-shee.com

ISBN 978-965-7753-74-3

رماز الاعرج

التاريخ
لعبة الحضارات

توطئة

ماذا لو افقنا في الصباح بكل هدوء، واكتشفنا أن حدث غير مستوعب قد وقع على كوكب الأرض فتوقفت جميع أجهزة الاتصالات والالكترونيات. وماذا لو اكتشفنا بعد عدة ساعات أن كوكب الأرض قد تم السيطرة عليه بالكامل من قبل قوة كونية خارجية جاءت من مجرات أخرى باحثة عن معدن موجود على كوكب الأرض، وسيطروا عليه، وقد توقف كل شيء وتمت السيطرة على الاجهزة والمراكز الاساسية في العالم وشلوا كل شيء.

فلنحاول تخيل ذلك والتفكير في بعض الأشياء فقط. ردة فعلنا... ماذا ستكون يا ترى.

مهما اختلفت مفاهيمنا وألواننا ومكاننا على هذا الكوكب قوة ذكية وقوم سابقين لنا بآلاف المرات في التطور الالكتروني وغيره.

دامت هذه الحالة لعدة أسابيع،ثم تركونا وغادروا.كيف سنفكر حينها يا ترى. وما هو أول سؤال سيخطر على بالنا بعد انفراج الأزمة.

من نحن...؟هذا سيكون من أكثر الأسئلة إلحاحًا.كوننا سنشعر بالضعف والضياع والخوف،كمن ولد الآن،بل سنرى العالم وأنفسنا وكأننا نراه لأول مرة.

إن صدمة من هذا القبيل كفيلة بأن تعيدنا إلى أصلنا الأول،حيث شاهد الإنسان ما حوله دون أن يملك أي تفسير واضح. سوى شيء

حاجاته وغرائزه.

لقد بنى الإنسان مفاهيمه ورؤيته للحياة ولذاته والعالم على أساس وعيه البدائي المرتبط بمدى ما يشاهد ويستوعب وحسب. وقد وصل به الأمر أن جعل نفسه إله في بعض الاحيان وجعل من نفسه ووجوده مركز للكون والحياة، ولكل شيء. بل وتخيل أن كل شيء قد خلق من أجله. وعلى الرغم من حديث غالبية الشعوب عن وجود إله خلق هذا الكون إلا أنهم عادوا واستمدوا سلطانًا لهم من الله من أجل السيطرة على هذا الكون والحياة والطبيعة.

إن مفاهيمنا مهما بلغت، ففي النهاية هي مبنية على أساس أننا مركز الكون والحياة وأن لدينا سلطانًا عليها. رغم عجزنا عن مواجهة قوانينها الجبارة. وهذا ما تركناه للآلهة من أجل تغييره ولسيطرة عليه.

لقد وصل العلم والمعرفة إلى حقائق عن الكون لابد لنا من الوقوف عندها، وإعادة صياغة وعينا ومفاهيمنا عن العالم وذاتنا. فقد انتهى ذلك الزمان الذي كنا نعتقد أننا فريدين لامثيل لنا، ولا حياة سوى نحن وأن الكون شيء صغير ونحن مركزه. إننا مجرد ذرة في محيط شاسع لا نهاية له من الكواكب والمجرات، محيط لا نهاية له من المادة المتفاعلة من المجرات. إن دماغنا عاجزة عن تخيل اللانهاية لهذا العالم، وعينا ومفاهيمنا مرتبطين بل ومشكلين على أساس أن هذا هو العالم فحسب «الأرض» هذا على الأكثر وهذا ليس سهلاً فهمه في النهاية...فكلا منا يعيش ويشعر بوجوده وانتمائه إلى المنطقة والجغرافيا والمناخ والأشياء المباشرة، كالجبال النباتات وكل شيء من حولنا

فحسب. وهذا ما نشعره فعلا. ولكننا لا نتخيل أننا نعيش على سطح كوكب الأرض الكروية الشكل التي تسبح في الفضاء وتدور حول الشمس يتبعها القمر دائرًا حولها.

و لو أخذنا مثالًا ما، فلننظر إلى العالم ما بين عام 1917 ولغاية 2017 كم هو الفارق في حياة البشرية والمعارف والعلوم وإلى ما هنالك من مظاهر الحياة الإجتماعية سنصاب بذهول حتمًا وسنكتشف أنها حياة مختلفة نوعيًا وجذريًا قد تغيرت. ما عدا المفاهيم التي بقيت غالبيتها على ما هي عليه. قد يكون أضيف إليها ما أضيف، ولكن هناك الكثير والكثير مازال على حاله وليس مئة عام بل منذ آلاف السنين.

إن الإشكالية الكبرى التي يواجهاها الإنسان في هذا المجال تتركز في أن الواقع في حركة دائمة، بينما القيم والمعلومات والمفاهيم تبقى متخلفة ومتأخرة عن الواقع، في الوقت الذي أصبح واضحا أن كل معلوماتنا عن العالم هي في الماضي دوما وليس بمقدورنا أن نكون صورة واقعية عن الحدث إلا بعد وقوعه فعلا. على الرغم من بنية الإنسان المعاصر تكمن في إمكانيات إدراكه وفهمه لذاته ومن هو، وكيف ينظر إلى ذاته وإلى الآخرين. وإلى الطبيعة والحياة، وهذا بالضرورة سيعكس ذاته على فهم إشكاليات عصره ووضع حلول لها. وهنا تكمن أهمية إعادة النظر في الموروث الإنساني برمته، ومن أهمها التاريخ الإنساني المكتوب.

إن التاريخ الإنساني المكتوب يشكل الأساس الذي نبني عليه رؤيتنا

لذاتنا. وسنوضح ذلك في هذا البحث.

إن الإشكالية ليست في التاريخ نفسه بقدر ما هي في كيفية رؤيتنا لهذا التاريخ الموروث، ومن كتبه وعلى أي أساس نعتمد نحن لفهم ذاتنا، واستمرار الحياة وصيرورتها.

لقد كشفت الكثير من الحقائق العلمية والأثرية والتكلجة في القرن العشرين والتي أثبتت أن على البشرية إعادة النظر في تاريخها ورؤيتها لذاتها، ولم يعد مفيدًا التضليل وخاصة على ضوء ثورة عالم « الفضاء الالكتروني"

إن البشرية بالضرورة قادمة على إعادة صياغة ذاتها. شئنا ذلك ام لا نشاء، فالعملية التاريخية وقوانينها التي لا نستطيع إلغاؤها. ولكننا قادرين على التأثير بها من خلال فهمها حق الفهم وترويضها

لهذا سنقوم باستعراض هذا التاريخ منذ نشوئه ونرى كيف تطور ومن كتب هذا الموروث. ونقدم إثباتاتنا بطريقة محايدة كليًا.

و هنا لابد من الإشارة الى أن الدراسة ليس إعادة صياغة للتاريخ بل محاولة فتح الباب على ضرورة تقديم منهجية علمية شاملة من أجل إعادة النظر في كل هذا الموروث. إن هذه المنهجية ليست مهمة فردية بل مهمة جماعية تقع على عاتق النخبة جميعها وفي كافة المجالات. من أجل إعادة صياغة المفاهيم والقيم والإنسان والمجتمع أينما كان. ونحن بهذا الصدد نتحدث عن مهمة كبيرة وليست سهلة وليس بمقدرة فردًا أو دراسة ما أن تشملها وسيكون من الصعب علينا فهم طبيعة الأزمة

التي نعيشها دون إعادة النظر في ذاتنا ومن نحن وأين نحن في هذا كله ومن الواضح للجميع أساس الأزمة الاقتصادية وهذا ليس أمرا يحتاج إلى اختصاص بل أصبح وعياً شعبياً عاماً. ولم تعد الإشكالية في فهم أسباب الصراع الاقتصادية بل إن الإشكالية تكمن في كيفية فهم الإنسان لذاته ولحقوقه، ومفهوم هذه الحقوق وحدوده والمساواة والحرية وغيرها من المفاهيم كالديمقراطية والليبرالية وغيرها.

ومن أين تستمد هذه الحقوق والشرائع. وتراكم القوانين وازدياد التعقيد في حياة البشر مع تطور الحياة. فلم تعد تكفي للإنسان القوانين الدينية والعادات والاعراف، بل هناك قوانين مدنية وسياسية وأمنية وغيرها من القوانين التي تضاف كل يوم إلى حياة الإنسان لتحيلها إلى جحيم من السلاسل التي أصبح الإنسان المعاصر يجرها وراءه جراً لثقلها. ويعتقد في نفس الوقت أنه حر ويمارس حريته ويعيشها.

فالقديم يبقى على قدمه ويضاف إليه الجديد من قوانين. أليست هذه من قواعد علوم الحقوق والقانون ويبحث عادة عن سابقة في القانون ومراجع قديمة سابقة. إن فكرة الدراسة تدور حول زيف التاريخ وطبيعة مادته وعناصر هذه المادة التي مازالت تقف على ساق واحدة حتى الآن. إننا بحاجة إلى إعادة صياغة التاريخ والمفاهيم والإنسان على أساس الرؤية الشاملة للتاريخ والبشرية.

و هذا معناه أننا بحاجة إلى إعادة صياغة ذاتنا من جديد. ليس على قاعدة الانتقائية بل على أساس العلم والمعرفة والإنسان والحياة. إن رؤيتنا لأحداث التاريخ بشمولية ستجعلنا أكثر قدرة على فهم

المستقبل أيضا.

ولنعطي مثالًا بسيطًا هنا على فهم رؤيتنا للتاريخ

الاسكندر المقدوني

هناك الكثير من المراجع التاريخية التي تحدث عن الاسكندر على أنه إلآه تارة وبطل تارة أخرى ورجل عظيم ورجل صنع التاريخ وغيرها من النعوت والقلائد والألقاب ولكن هناك وجهة أخرى لهذا الأمر وهي حقيقة أيضا. لقد سفك الاسكندر المقدوني دماء آلاف البشر وقد كان ماجنن وسكير ولوطي وضاجع أمه وقال أنه إله وكم محا من الحضارات. ومن يمكنه نكران أن احتلاله لمصر هو ما قضى على اللغة الفرعونية والتي لم تكن بحاجة إلى شيء لقد كانت لغة متطورة وذات أدب وشعر وقصص وغيره.

وكذلك الكثير من الحضارات التي تسبب هذا الطاغية المجنون في تدميرها ومحوها.

فأين هي العظمة والبطولات إذًا؟؟

إن الأحداث التي سلفت هي التي وصلت لنا من خلال أشخاص وأناس كتبوها ونقلوها لنا. وهم لم يكونوا محايدين بهذا... كل يكتبها من قاعدته وأساسه الاجتماعي والانتمائي. إن الأمثلة لا تعد ولا تحصى على رواية أحداث التاريخ وفهمها وقراءتها

إن الكشف عن الساق المخفية الثانية للتاريخ سيمكننا من رؤيته شاملًا

وحقيقياً أكثر، بل وطبيعياً أصيلاً. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة والبحث الذي سنحاول من خلاله إلقاء الضوء على هذا الجزء من الموروث الإنساني

محاولين المساهمة في إحياء هذه القضية والحث على الإنتاج والاكتشاف والإبداع بها كأرضية وأساس للقادمين الذين لم نعرفهم بعد، ولم نراهم ولكننا سنتواصل معهم عبر الموروث الذي سنحاول تركه لهم ليساعدهم على فهم من كنا نحن ومن هم يكونون.

الفصل الأول

تعريف التاريخ

في الواقع إن هذا الاصطلاح اللغوي من المصطلحات الكثيرة التردد والاستعمال وفي الغالب لغوي في استعماله وهو رديف للكثير من القضايا الإنسانية كتاريخ الميلاد. تاريخ تسديد المستحقات. تاريخ حدث أو ذكرى ما. إنه مصطلح دارج ودائم وضروري في استعمالاته في حياتنا اليومية دومًا، ولكننا لو أردنا التعمق في هذا المصطلح والنظر إليه كمفهوم لغوي وإنساني سنكتشف أنه ليس مجرد اصطلاحًا لغويًا للدلالة على أسم ما، بل إنه اصطلاحًا يحمل في داخله الكثير من الطاقة والحركة والتعقيد في الفهم والاتساع والشيوع في الاستعمال والتفكير بشكل مذهل، ولهذا علينا تقسيم فهم هذا الاصطلاح من أجل فهمه أكثر وكشف جوهره وتلك الطاقة الكامنة في هذا المفهوم و لابد من الإشارة أولًا إلى أن استعمال هذا المصطلح حتى لغويًا هو دوما مرتبط بحركة ما أولًا وأخيرًا. فإذا كان تاريخ لحدث، فإن هذا الحدث حركة وقعت ثم سار الزمن ومر عليها وهذه الصيرورة نسميها التاريخ.

إن التاريخ ليس شيئا خارجي للأشياء بل هو علاقة ونتاج لحركة وتفاعل داخلي للظواهر والأشياء. وجاء بل ونشأ هذا الاصطلاح من

أجل الدلالة على تلك الحركة الكامنة أولًا وأخيرًا

و بعد الرجوع إلى معجم المعاني « معجم عربي « لنتأكد من التعريف اللغوي الحرفي لهذا المصطلح وجدناه على النحو التالي

تاريخ: اسم مفرد وجمعه تواريخ.

التاريخ: جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما ويصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية

التاريخ: تعريف الوقت وتحديده.

هذا حرفيًا تعريف التاريخ اللغوي في معجم المعاني الجامع.

ونلاحظ أنه حتى في اللغة المجردة فإن التاريخ كما أسلفنا هو ليس مجرد اسم، بل انه اسم للدلالة في النهاية على فعل وعلى حدث وعلى طاقة داخلية. فالظواهر قد تفاعلت أو مازالت. وهنا يكمن تعقيد هذا المفهوم والتباساته الكثيرة والعميقة والشائعة في الإستعمال

لقد تعرفنا على مصطلح التاريخ لغويا، ولكن هذا المصطلح له استعمالاته الدلالية والمنطقية والفلسفية، وله أبعاد أكثر بكثير مما نتخيل. فهذا المصطلح من ناحية فعلية هو مصطلحًا شموليًا، وذلك بسبب استعماله الدال على حركة دائمة. وكل شيء في الكون في حركة دائمة لا تنقطع. وفي تغير مستمر متواصل وليس شرطًا أن يكون الى الأفضل وهذا يعني أن لكل شيء موجود تاريخه، ولكل شيء موجود زمانه ووقته سواء كان طبيعة أو مجتمع أو أي شيء آخر وما يزيد الأمر تعقيدًا هو العلاقة الداخلية بين التاريخ والزمن والوقت وتفاعلها

الذي هو خارج وعينا أصلا. على الرغم أن هذه الكلمة اصطلاحًا انسانيًا بحتًا ولهذا يستعملها الناس على هواهم، ولكننا لا نستطيع أن نوقف الزمن أو ان نتجاوزه، ولكننا نستطيع أن ننتقل بوعينا من الزمن إلى التاريخ إلى الوقت بكل حرية. ولكننا في الواقع لا نستطيع القيام بذلك فعلا.

وكما أن لكل ظاهرة زمنها وتاريخها ووقتها فإن للمجتمع البشري كذلك له زمانه ووقته وتاريخه وحركته وحياته.

إن المجتمع كظاهرة إنما هو كائن حي في النهاية، ولكي لا نلتبس في السير معًا في البحث والحوار لابد من تحديد التاريخ الذي سنتحدث عنه. فهناك التاريخ المصطلح للدلالة على الواقع «اللغة»، وهناك الواقع نفسه أي الفعل الموجود في الواقع المشار إليه. وهذا الواقع هو ليس لغويًا بل واقعًا فعليًا يحتاج إلى فهم وتفسير منطقي يقبله العقل.

و لهذا وجب علينا التفصيل والتفريق بين الواقع اللغوي المجرد... كاسم، والواقع المعاش، والتاريخ كفعل وحدث والتأريخ، تأريخ - أرخ - يؤرخ.

و عندما نقول التاريخ هنا علينا أن نحدد ونتفق على نوع هذا المصطلح وعن أي معنى نقصد في الاستعمال، فهناك التاريخ كموروث، والتأريخ كتسجيل، أي الذي نسجله نحن البشر. وهناك الفهم المنطقي والفلسفي للتاريخ، وكما أشرنا لكل شيء تاريخ وزمن ووجود.... الخ

و هنا نحن بصدد بحث المجتمع وتاريخ البشرية المادي الموروث.

حياة البشرية عبر الزمن:

إن ما سنصل إليه عند ولوجنا إلى عمق الموضوع هو الوجود الإنساني عبر الزمن، أي اننا في النهاية سنصل إلى وجود كان ومازال متواصلا عبر الزمن لوجود ظاهرة ما وهي المجتمع البشري والحياة الذكية الواعية

ودراستنا هذه بالتحديد مختصة في التاريخ الّإنساني ومادته وكيفية قراءة هذه المادة ومدلولاتها وأهميتها في حياة الإنسان وتكوينه ونحن دومًا عندما نتحدث عن التاريخ علينا التدقيق وعدم الإلتباس بين التاريخ كفعل وحدث والتاريخ كدراسة.

ولهذا سنحاول دومًا إرفاق كلمة التاريخ بما يوضح أيهما نقصد. فالتاريخ شيء وعلم التاريخ شيء آخر وإن ما نريد دراسته هو « حركة وحياة المجتمع البشري عبر الزمن".

التاريخ والتأريخ:

لقد أشرنا أن للتاريخ عدة أوجه فهناك التاريخ بمعنى الزمن وهناك التاريخ بمعنى الحدث وهناك تاريخ بمعنى مادة متراكمة للدراسة وهناك تأريخ وهو فعل يقوم به أناس معينين وفي اللغة يطلق على هذا الفعل وهو « كتابة أحداث المجتمع والحياة كما حصلت في الواقع» هذا طبعًا افتراضيًا فليس من شخص بقادر على كتابة الاحداث كما وقعت تمامًا. فهو في النهاية سيكتبها ويدونها حسب ما رآها هو في وعيه ودماغه والخلفية التي انطلق منها لرؤية الواقع والهدف.

إذًا فليس كما هو الحال، أو كما وقعت ومن المستحيل أن نحصل على صورة واضحة ودقيقة عن حدث ما وقع في الماضي قبل ألف عام مثلا من مصدر واحد، بل علينا إذا أردنا أن نحصل على صورة أكثر وضوحًا، ان نبحث في كل ما هو متوفر من مواد وتبقى أجزاء كبيرة مغيبة يمكن استنتاجها وقراءتها للأشخاص والعصور ووجهات النظر إن الكارثة الكبرى هي أن الحياد نادر في كتبة التاريخ وحفظته.

إن التاريخ الواقع شيء، والتاريخ وكتابته شيء آخر.

فالأول مادة وأحداث مادية وقعت وتركت أثرها على حياة البشر

أما الثاني فهو شيء قام به أشخاص وصفوا تلك الأحداث وكتبوها أو تناقلوها مشافهة. لهذا فهي ليس بالضرورة تطابق الحدث والواقع،بل أصبح من الضروري أن تكون معدة في إخراجها لما يرغب به المؤرخ وما يريده،أو ما خلفه من أهداف.

الزمن – التاريخ – الوقت:

أ – الزمن: الزمن مفهوم ربما يكون أكثر تعقيدأ من مفهوم التاريخ، والزمن هو اصطلاحًا فلسفيًا بامتياز. وقد اختلف العلماء والباحثين في تفسيره وفهمه ومازال الجدل قائمًا حتى يومنا هذا حول مفهوم الزمن. والدليل على ضعف مفهوم الزمن واضح في اللغة العربية فهناك تعريفًا صغيرًا مختصرًا في كلمتين لمعنى الزمن في معجم المعاني الجامع ونورده حرفيًا « الزمن: الزمان وقت قصير أو طويل « وهذا غير كافي واقعيًا. وأما البقية فهي مجرد تراكيب على هذه الكلمة واشتقاقًا منها

بينما في مصطلح التاريخ على العكس من ذلك. فنجد أن المعجم يحتوي على الكثير والواسع والشامل حول مفهوم التاريخ نفسه. وهذا يعكس اهتمام العرب بالتاريخ وباللغة وتأويل التاريخ أكثر من الفلسفة. فإن الفلسفة قد تتعارض مع بعض التفسيرات للتاريخ بينما اللغويات وعلم المنطق قد سهل لتأويل التاريخ وتحويله إلى ما نريد.

إن مفهوم الزمن بهذه الطريقة السطحية الساذجة إنما يدل على ضعف اهتمام العقل العربي بعلوم الفلسفة العميقة والتي تناقش حقائق الأشياء وتحاول تفسيرها.

إن مفهوم الزمن في الواقع هو أكثر شمولية من التاريخ والوقت.

" إن الزمن هو الوعاء الشامل للعالم والوجود « وهو خارج وعينا تمامًا، وعلاقتنا به نكاد لا ندركها رغم وجود الليل والنهار وحركة الأرض ودورانها... الخ.

إن الزمن هو الوجود المادي الكوني الأزلي بدون تدخلنا نحن البشر، ولهذا فهو مفهوم للدلالة على شيء شامل غير مفهوم بوضوح لوعينا في شموليته وأزليته ولا نهائيته. فالزمن نسبي ومطلق، و في الفيزياء يتعقد مفهوم الزمن لدرجة إننا نصبح عاجزين عن تخيله واستيعابه وفهم فعله في الكثير من الأحيان في نسبيته... ولكننا نستطيع القول أن الزمن يشمل التاريخ والوقت، ولكن التاريخ أكثر تخصصًا وأكثر ضيقًا من الزمن.

فعندما نقول تاريخ المجتمع البشري نقصد هنا تحديد نوع المادة المراد

دراستها وتحديد الزمن أي الفترة التي نريد.

التاريخ هو جزء من الزمن النسبي والمطلق في آن واحد، فنسبيته كونه تاريخ ومطلق كونه جزء من الزمن، فالزمن وعاء التاريخ كحدث أي جزء من الزمن الشامل.

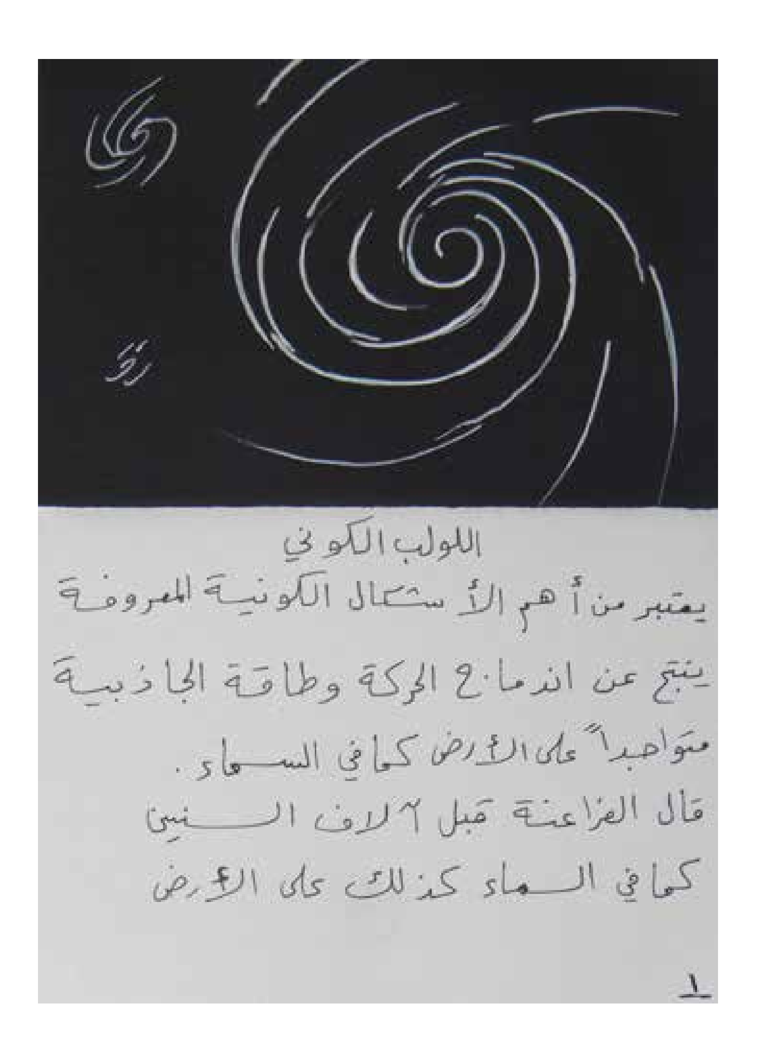
و المقاسات التي نضعها نحن لفهم وتحديد تفاصيل هذا الزمن نسميها الوقت. إن الوقت يساعدنا تطبيقياً في التعاطي مع الزمن في فعله ونسبيته داخل الحاضر وفي تلاقيها بعضها ببعض.

إن الوقت باختصار هو الأساس التفصيلي والتطبيقي للزمن والتاريخ وبإمكاننا القول أن الوقت ثوب الحياة خيوطه التاريخ والزمن معًا

الماضي الحاضر المستقبل

أ. الماضي: لقد أشرنا إلى أن الوقت هو المفهوم الأكثر تطبيقًا، ومعايشة من الزمن والتاريخ كون الوقت يدخل في تفاصيل الأيام والساعات والدقائق والثواني... ولهذا قلنا إن الوقت في الحقيقة هو المعايشة التفصيلية لفعل الزمن الذي يتحول إلى تاريخ. وهو نفسه تاريخيًا، ولكنه في مرحلة المعايشة والوجود الفعلي الآن. ولهذا نقول الوقت. ولكن لابد من الحذر والإشارة هنا إن الوقت أيضًا نسبيًا عبر إحساسنا به أيضًا. فقد أشعر بساعة من الوقت أحيانًا ومرورها أكثر من يوم كامل. وكذلك من شخص لآخر ومن كائن لآخر.

إن الوقت ومروره مختلف من كائن إلى آخر والحيوانات، وكذلك بين البشر فكل منا يتأثر بمرور الوقت لوحده وحسب ظروفه وزمانه ومكانه وعصره. إن الوقت يكون في الماضي أيضًا، ولكنه قد انتقل الآن وأصبح ماض. تاريخ وتغير شكل وجوده المادي. بينما بقي في الزمن كماضي وتاريخ نسبي. إن الماضي جزء أساسي من حياة الإنسانية وهو حلقة من حلقات الوجود. والماضي لو دققنا في حقيقته الفيزيائية فقد نستغرب أننا دوما نعيش في الماضي أو ما الحاضر سوى لحظة اكتشاف أو اندهاش جديدة، قد نشعر بها في الحياة. إن الحاضر بالنسبة لمعارفنا ومفاهيمنا، إنما هو زمن قد مضى ومراقبتنا له في


اللولب الكوني
يعتبر من أهم الأشكال الكونية المعروفة
ينتج عن اندماج الحركة وطاقة الجاذبية
متواجداً على الأرض كما في السماء.
قال الفراعنة قبل ٦ آلاف السنين
كما في السماء كذلك على الأرض
١



اللولب الأرضي

كما في الفضاء الخارجي كذلك على الأرض
ينتشر هذا الشكل بكثرة على كوكب
الأرض. من الحلزون إلى الكثير من أشكال
الطبيعة في النبات والأزهار.
ولو بحثنا عنه فسنجده بكثرة في الطبيعة.

حركته ليس حاضرًا بل ماض فهو يصل إلى وعينا بعد وقوعه، ولا يمكن أن يكون له أي وجود فعلي سوى في الخيال قبل وقوعه.

ويمكننا لتسهيل الفهم قبل الدخول في الحاضر أن نقسم الماضي ثلاث أجزاء: الماضي البعيد - الماضي القريب - الماضي المعاش.

الماضي البعيد: هو الأحداث التي وقعت قبل زمن بعيد قد يصل إلى آلاف السنين وقد تترك أثرها عبر آلاف السنين، أما القريب فهو الماضي الذي قد يكون الأمس أو قبل ساعة أو ساعتين من الزمن. أما الماضي المعاش فهو الأكثر اقترابا من حقيقة الحياة والشعور به ونسميه الحاضر.

ب - **الحاضر:** إن الحاضر الذي نتحدث عنه ونسميه حاضرًا اصطلاحًا هو في النهاية ماضي. ولكنه قريب ومعاش كما أطلقنا عليه، وذلك بسبب سيره مع حركة شيء ما.

و قد أشرنا إلى أن الحدث أو مشاهدته أو السماع به لن يكون قبل وقوعه أبدًا، بل بعد الوقوع. وقد أشرنا إلى أن الحاضر فيزيائيًا إنما هو دومًا ماض حتى وإن كانت أجزاء من الثانية فهي في النهاية ماضي. أي شيء قد وقع وانتهى. ولكن هناك فارق بين هذا الماضي والماضي القريب أو البعيد فالماضي البعيد ينتهي التأثر به ويتوقف في الكثير من الأحيان ونادرًا ما يمكنه التأثير في الماضي القريب أيضًا، ولكنه ممكن وقابل لذلك دومًا، وخاصة ذلك الماضي الذي لا يبعد سوى فترة وجيزة من الوقت كعدة ساعات مثلًا. أما في الماضي المعاش فالأمر مختلف بحيث يمكننا التأثير والتدخل في هذا الماضي المعاش.

كأن نبتعد عن طريق شيء ما أو نضرب بالمطرقة فوق مسمار لتثبيته في الخشب، فمع كل ضربة ندرك الفعل ومقداره ونكرره حتى النهاية. وكأننا نجري قفزاً بين الماضي والحاضر مع كل ضربة يدرك دماغنا عبر حواسنا المقدار المتبقي من المهمة وكمية الجهد والطاقة المطلوبة لإتمامها.

إن ميزة الحاضر أنه يتبع لحركة الظواهر والأشياء، فنراها كما شريط التصوير السينمائي متسلسلة في دماغنا. مما يجعلنا نعتقد أنها من الحاضر، ولكنها في النهاية ماض صرف رغم تفاعلنا معها، إن فعلنا هنا قد شكل حلقه وصل بين الماضي والمستقبل إن هذه اللحظة الغير مدركة أحياناً هي ما يشكل ما نسميه الحاضر وهي لحضة قصيرة من الوقت تسير عبر الزمن بلا توقف.

إن الحاضر فعلاً دائماً مراقب ومعاش وهو حلقة الوصل بين الماضي والمستقبل ولهذا اطلقنا عليه ماضي معاش. وهو مقرر لمصيرنا أحياناً.

ج - **المستقبل:** الحاضر كما عرفناه هو القفز بين الماضي وسيره في الواقع. مما يجعلنا نشعر وكأننا نعيش أو نشاهد الحاضر. فلنعد إلى مثالنا السابق، وهو ضرب المطرقة للمسمار من أجل تثبيت لوحًا خشبيًا في مكان ما. إن كل ضربة للمسمار بالمطرقة ستعني أن دماغنا قد تفهم رد الفعل الحاصل، وأدرك مقداره وأعاد الكرة من أجل استكمال المهمة حتى نهايتها، فنتوقف عن فعل الطرق. إننا أثناء عملنا هذا نكون في طريقنا من الماضي إلى المستقبل القريب، بحيث نساهم نحن في هذه الحالة في صناعة المستقبل بعد أن تخيلناه وخططنا له،

عبر وضع هذا اللوح وتثبيته بمسمار من أجل حاجة معينة. إن الفعل الذي قمنا به قد شكل لنا صيرورة عبر الزمن وتواصلًا بين الماضي والحاضر والمستقبل. لقد كنا أثناء ذلك الفعل نقفز وننتقل مع الزمن ونسير منسجمين مع هذا العالم « وهذا من أسرار متعة الإنسان في إنتاج شيء ما".

إن المستقبل البعيد قد لا نتمكن من التأثير به مباشرة كحال التاريخ البعيد. مع اختلافهما طبعا.

و لكننا من خلال المستقبل القريب المتصل نستطيع أن نؤثر في المستقبل البعيد وهكذا نكون قد ساهمنا في صنع المستقبل دون أن ندري. إن عناصر صناعة المستقبل وأدواته عادة ما تكون مشكلة ومكونة في أحشاء الماضي والحاضر المعاش.

إن الترابط بين الماضي والحاضر والمستقبل هو ترابط السلسلة المتواصلة التي تشكل مسارًا ما عبر الزمكان في الوجود لأي ظاهرة من الظواهر. إن نقطة الفعل هي نقطة التلاقي بين الماضي والمستقبل. و لهذا نطلق عليها مجازًا الحاضر.

في النهاية فإن التعبير المجازي النهائي لهذا الحدث الثلاثي إنما هو الزمكان. والحدث أي التاريخ الإنساني حينما نتحدث عن ظاهرة المجتمع البشري.

و بما أن التاريخ الإنساني في النهاية هو حركة وفعل ووجود عبر الزمن فنحن بحاجة إلى تعريفًا واضحًا ودقيقًا لهذه الظاهرة. وبناء على ذلك

نشأ لدينا ما أطلقنا عليه علم التاريخ. وأصبح علمًا متعارف عليه بل ومن أهم العلوم الاجتماعية. كونه ذو علاقة بالوجود الإنساني وفهمه وأصوله ومستقبله

علم التاريخ والتأريخ

في الحقيقة ومن أجل التسهيل على الباحث المتخصص أو القارئ أيًا كان نذكر هنا مراحل التاريخ المتعارف عليها عالميًا في علم الاثار أي التقسيم التاريخي للمجتمع بحسب علم الآثار:

1. ما قبل العصور الحجرية
2. عصر حجري سفلي قديم
3. عصر حجري سفلي وسيط
4. عصر حجري قديم علوي
5. عصر حجري قديم متوسط
6. عصر حجري حديث
7. عصر حجري برونزي
8. عصر حجري حديدي
9. عصر كلاسيكي قديم
10. عصر وسطي مبكرة
11. عصر وسيطي متوسط

12. عصر وسطي متأخر

13. التاريخ الحديث

نلاحظ في هذا التقسيم أنه مستند في العصور ما بعد الحديدي من الكلاسيكي القديم مرورا بالوسطي حتى التاريخ الحديث هذه تصنيفات مستندة على مقاس أن أوروبا هي أم الحضارة الحديثة.... وقد نشأت هذه الفكرة ما بعد العصر اليوناني.حيث كان قائدها - الاسكندر المقدوني - وتبعته روما في ذلك. وهكذا أصبح محو الحضارات وإبادتها كثقافة ولغة أمرًا مشروعًا وحضاريًا يعبر ويدل على بطولات وأمجاد وعظمة. وهكذا توارثت البشرية هذه الأفكار حتى يومنا هذا.

و هذه من أحد كوارث التاريخ وعلم التاريخ الحديث واستنتاجاته. وقد استمر ذلك في العصور الكلاسيكية القديمة والوسطى المبكرة والمتوسطة. حيث وقعت كارثة اكتشاف أمريكا. هذه الجريمة التي سجلت عارًا على جبين ذلك العصر الهمجي، الذي أبيدت فيه مئات اللغات والثقافات تحت عنوان و شعار الحضارة والدين والرقي

إن مفهوم الحضارة بأسره، هو مفهوم أبله مضحك ومثير للسخرية وبحاجة إلى إعادة النظر، بل إن جميع المفاهيم السياسية والحقوقية للإنسان بحاجة إلى إعادة نظر وغربلة قبل فوات الأوان، وانفجار الواقع بطريقة غير متخيلة، فلن تقوى كافة الطائرات والصواريخ والأسلحة النووية على إسكات صراخ الجياع. وانتهى عصر كم الأفواه والتجهيل لملايين البشر.

إن علم التاريخ برمته علمًا متحيزًا مسخراً وتم تسخيره منذ البداية من أجل مصلحة الحكام والسلاطين. وسنأتي في بند «من يكتب التاريخ» على تفصيل ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن العلماء قد اختلفوا منذ القدم على موضوع التاريخ، وقد دار الجدل التاريخي بين اتجاهين أو وجهتي نظر. تقول إحداها أن علم التاريخ هو علمٍ وليس أدبًا،كونه يستند على وقائع حدثت ومادته أشياء مادية تمامًا كأي علم آخر. بينما راحت وجهة النظر الثانية تؤكد أن التاريخ فن، وأن كتابة التاريخ يجب أن تصنف كنوع من أنواع الفنون اللغوية،كالقصة والشعر والمسرح عند اليونان القدامى...

لقد جمع بداية المؤرخون في الغالب الصفتين. فقد كان غالبيتهم علماء وأدباء في الوقت نفسه، وقد كان الرواد الاوائل في هذا المجال في اليونان القديم،حيث أن هيرودوت وتوكيدية وليفو وهيوم وجيبون وكاريل وغيرهم من المؤرخين الكبار كانوا أدباء وكتاب تاريخ وباحثين أيضا.

و لكن المأخذ على هؤلاء. أن غالبيتهم العظمى قد عملوا لصالح الملوك والأسر الحاكمة.

ومن الجدير بالذكر أيضًا، أن ملوك بابل وأشور والفراعنة والصين واليابان القديم،قد كان لملوكهم دومًا كتابًا وأدباء،بل وعلماء يعملون في خدمتهم، ويقومون بكتابة تاريخهم، وإلا لما حصلنا على أسطورة جلجامش أو غيرها من الأساطير القديمة. ونذكر هذه فقط كدليل

معروف ومشهور لدى الجميع بين الباحثين وكافة المهتمين بشؤون التاريخ. ولكن في ذلك العصر، لم يكن مفهوم التاريخ التقليدي قد نشأ. لقد كانت بدايات لكتابة الأحداث وتأريخها للقادمين من الأجيال. وهناك تواريخ وقصص في الصين لمئات من الملوك والأسماء والقصص التي كتبت عن حياتهم. طبعا قد أضيف إليها طابعها الأسطوري والعقائدي والديني لذلك العصر وتلك المرحلة للحضارة الصينية القديمة الأصلية.

إن أول ظهور لعلم وفن كتابة التاريخ كعلم وكفن وكجزء من البنية الفوقية الاجتماعية كان في اليونان القديم وقد ذكرنا هيرودوت وتوكيديدس وغيرهم الذين كانوا من الرواد الأوائل في هذا العلم.

وتبع ذلك ظهور علم المنطق وتطور الفلسفة وظهر لاحقًا علم بحث ودراسة التاريخ، وليس كتابة التاريخ وحينها ظهر التأويل والمنطق، وذلك بمحاولة مواءمة الأحداث التاريخية والاسطورية مع المنطق من حيث التفسير، وتقريبها للعقل. وهكذا شكل علم المنطق الربط بين الفلسفة والتاريخ.

إن كاتب التاريخ أو المؤرخ هو مجرد كاتب للأحداث بحسب ما يراه وليس بعالم في مجال التاريخ.

لذلك وجب علينا الفصل والتفريق في الفهم بين كاتب التاريخ وعالم التاريخ، أي الباحث في التاريخ فمهمة الكاتب هي مهمة أدبية محضة وعاطفية وتقنية ومهنية أيضا. فقد كان الكاتب يعيش من هذه المهنة،

وكانت للخاصة من الناس في حواشي السلاطين فقط،أو في الغالب هي من تحتوي على هؤلاء الناس وذلك لحاجتها لهم. أما عامة الشعب فلم يكن لهم حاجة لهذا النوع من المهن اما الباحث فمهمته يجب أن تكون مهمة مختلفة تمامًا فقد يكتشف الباحث من الأكاذيب والتزوير في الحقائق من خلال بحثه.

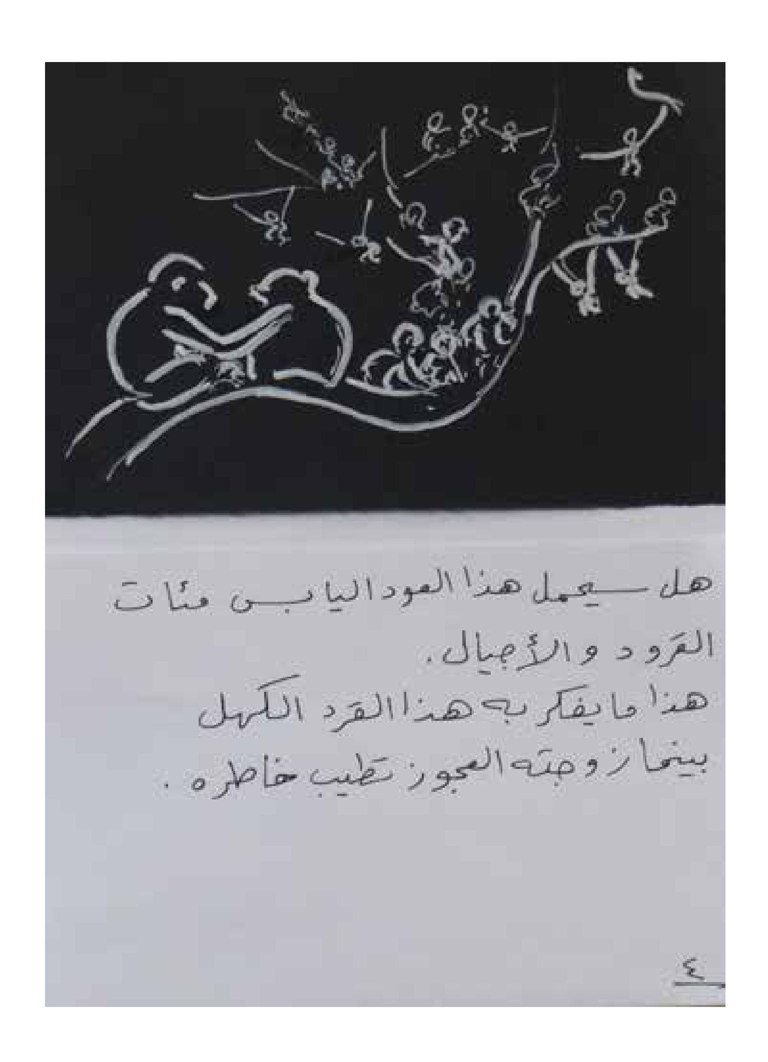
لقد عرف التاريخ وجهتين مختلفتين حول هذا الأمر، وقد وقع التباسًا وجدلًا تاريخيًا طويلًا حول مفهوم المؤرخ وقد أشرنا إلى إحداها والتي تقول أن المؤرخ فنان، وهناك وجهة نظر تقول الاثنين معًا. لقد لعب الالتباس بين مهمة الباحث والمؤرخ والكاتب.

إننا في الواقع نفصل بينهما، ولا يصح الخلط بين الشخصين والمهنتين وقد يندر أن يحدث ذلك.

فالمؤرخ يعيش عصره ويدونه وهذا ليس بعالم على الإطلاق. قد يكون أديبا ولكنه ليس عالمًا بهذه.

الصناعة فيشترط في العالم البحث. وهذا هنا لا يبحث إنه يكتب أحداثًا كما يراها أم كما يجب أو كما يريد منه الآخرين، وحسب مزاجهم وقيمهم حتى ولو تعارضت مع قناعته الشخصية، فهو يعيش من ذلك العمل الذي يقوم به. أما العالم فهو شيء آخر فالعالم والباحث في التاريخ هو شخص لا يعيش عصره، بل يعيش دوما عصور سابقة للعصور التي يعيشها وذلك من خلال دراستها والدخول في تفاصيلها تشعره بالاقتراب منها لدرجة تخيلها معاشه. وهو بحاجة إلى مادة أثرية تساعده في بحثه ودراسته. قد يكون نفس هذا الباحث والعالم لديه


القرود
والفيلة
والإنسان
بينها الكثير
من الأشياء
المشتركة
الحياة في
الجماعة
والثقافة
المتشابهة
ومن ضمنها أن الإنسان والقرود والفيلة
عندما تغضب تبدأ بتحطيم الأشياء المحيطة
بها.


هل سيحمل هذا العود اليابس مئات
القرود والأجيال.
هذا ما يفكر به هذا القرد الكهل
بينما زوجته العجوز تطيب خاطره .

رغبة في أن يكتب عن عصره، فهنا يكون قد عمل في مجال التاريخ أيضاً.

هذا لا يعني طبعا أننا نقر بأن التأريخ أدبًا، فالتأريخ على الرغم من إشتراكه في طابعه مع الأدب وخاصة القصة والرواية والاسطورة إلا أنه مختلف عنهن.

فالقصة والرواية ليستا بالضرورة أن تستند إلى حدث رغم أن الأصل القديم في القصص هو الحدث.

أما التاريخ فمن الضرورة أن ينقل الحدث كما وقع..

وهنا يأتي السؤال:

هل فعلاً حصل ذلك...؟؟

أي هل كتب الحدث كما وقع فعلاً...؟؟

لقد تأثر الكاتب بالأدب طبعًا، واختار أسلوب الرواية والقصة لكتابة الحدث وتناقله.

وذلك راجع لسببين:

أولًا: كون المؤرخ في الغالب ذو نزعات وميول أدبية وفنية مما يدفعه بهذا الإتجاه.

ثانيا: القيمة الجمالية للأدب في السياق والحوار، ونقل الحدث وتعابيره، واستخدام تعابير وكلمات ذات طاقة كبيرة في وقعها على النفس البشرية.

و لهذا اختار المؤرخ في النهاية أسلوبه القصصي والروائي في كتابة

التاريخ.

و لكنه لم يكتف بذلك بل استعمل الأسطورة أيضًا، وأدخلها ودمجها من ضمن ما كتب. وليس هذا وحسب، بل وأطلق العنان لخياله في صنع ما لم يقع. وهكذا يصبح المؤرخ لا مؤرخ ولا أديبًا، بل كاذبًا دجالًا أو خادمًا للسلطان.

إن مهنة المؤرخ تحتاج إلى شرف وأمانة عالية وحيادية، وإلا دخلنا في متاهات لا توصف فلا حلول ولا مخارج منها..

وهنا يأتي السؤال الهام ما الذي يضمن لنا أمانة هذا المؤرخ دون أن نعرفه أو نعلم عنه شيء، سوى أنه كان من ضمن حاشية الامبراطور، بل وأن هناك شواهد مازالت حية على ما نقول، ففي بريطانيا مازال حتى اليوم هناك مهنة تتوارثها إحدى العائلات البريطانية القديمة، وهي مهنة كاتب الملكة ويأتي من ضمن مهماته الكتابية كتابة تاريخ الملكة والعائلة وأحداثها. في النهاية علينا فعلا الفصل والتفريق تماما بين المؤرخ والباحث فالمؤرخ قد يشبه الأديب مع مواصفات إضافية عليه التحلي بها.

وسنأتي على ذلك لاحقًا في التفصيل.

أما العالِم الذي نحن بصدده فاهو صاحب هذا العلم والباحث فيه فهو شيء آخر.

و هنا في بحثنا هذا سنحاول دومًا التفريق بين الباحث والمؤرخ.

إن علم التاريخ يجب أن يستند على علم الآثار واللغات وغيره من العلوم

الاجتماعية والأثر الفني والثقافي الإنساني والنظر إلى ما يتناقله الناس عن الحدث، وعن جميع المواد والدلائل وليس من مصدر واحد فحسب. أي المصادر المكتوبة والرسمية بل يجب الأخذ بعين الاعتبار كافة المواد الأخرى المتوفرة من أنواع الآثار كأدوات وأسلحة وحكايات متناقلة وغيره...

إن الكارثة في علم التاريخ وفي موضوع التاريخ نفسه هي كثرة الالتباسات في فهم التاريخ والخلط العلمي حتى في الكثير من المؤلفات المتخصصة والمعتمدة إلا أنها تخلط مع الأسف بين المؤرخ والباحث في عالم التاريخ.

وسنأتي لاحقًا على الاتجاهات ومناهج البحث في علم التاريخ ونلقي عليها نظرة في مكانها وبابها.

ونود في النهاية تلخيص رؤيتنا لهذا الالتباس التاريخي.

" إن عالم التاريخ هو باحث في الحقيقة ومهمته هي تدقيق وفحص هذه المادة بطريقة علمية وثم الكتابة عنها.

أي تحليلها وفهمها وإثباتها أو نفيها. وليس من باحث في العالم لا يحتاج إلى اللغة والصياغات الأدبية. ولهذا فليس كل باحث في التاريخ بالضرورة أن يكون أديبًا، ولكنه بالضرورة أن يكون عالمًا مثقفًا ومجتهدًا وأمينًا على الحياد وكشف الحقائق مهما كانت وتعريفها و هذا يحتاج طبعا طريقة وإخراج أدبي أحيانًا. وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية والإنسانية

فليس سهلاً على الإنسان أن يكتشف بعد عشرات السنين أن معتقداته وآراؤه كانت خاطئة. أو غير مرضية له اليوم... إلخ.

لقد جمع الكثير من المؤرخين كلا الصفتين العالم الباحث والمؤرخ. ولكنهم في البداية والنهاية قلما كانوا محايدين في فهمهم، ودراستهم للماضي من خلال الأثر والمشافهة. بل كثير ما قاموا بلوي الأحداث أو تأويلها بما يتناسب ورؤية عصرهم السياسية للعصور السالفة. وسنرى لاحقا مدى تأثير الايديولوجيا والسياسة والدين في كيفية كتابة التاريخ، وتأويل أحداثه وتفسيرها. وبناء عليها فهناك مثلاً روايات تعتبر مقدسة عن أحداث ما. والبحث بها ورد دومًا بموقف مسبق منها. أي أنها صحيحة، والباحث يجتهد وراء إثبات صحتها أكثر أو تأويلها مع مفهوم العصر دون المساس بجوهرها، فهي من حيث الجوهر بغض النظر عن صحتها أو عدمها إلا أنها يجب أن تكون كما هي عليه تمامًا. فقد بني عليها نظامًا سياسيًا وحقوقيًا واجتماعيًا كاملاً. ولذلك دار الباحثون فقط ضمن حدودها، ولم يتخطوها خلال مئات السنين.

الحضارة وعلم التاريخ

إن الباحث في تاريخ هذا العلم يكشف منذ البداية الالتباس الحاصل حول هذا المفهوم، وكيفية استعماله، وكذلك يكتشف الإنسان بوضوح علاقة هذا العلم بمفهوم الحضارات والمجتمعات البشرية. وهذا ما يجعل من مفهوم التاريخ أكثر تعقيدًا والتباسًا. فمفهوم الحضارة الإنسانية مفهومًا ملتبسًا أيضًا كالتباس مفهوم التاريخ، وتلك العلاقة الوطيدة بين مفهوم التاريخ والحضارة. فالتاريخ مادته هي المجتمعات البشرية والأحداث الإنسانية السياسية والاجتماعية

و في حال نظرنا إلى التاريخ كوجود واقعي اجتماعي نستطيع القول، ما التاريخ سوى الحضارة الإنسانية ذاتها وأحداثها وسيرها عبر الزمن

أما علم التاريخ فهو « علمًا يبحث في نشوء المجتمعات البشرية وتطورها"

ومن هنا يصبح علم التاريخ من العلوم الاجتماعية والحضارية الأساسية التي بناء عليه تقام الأنظمة السياسية والاقتصادية والرؤية الفلسفية والإيديولوجية لهذا فإن علم التاريخ يمثل أحد الركائز الهامة التي قامت عليها الأنظمة السياسية خلال حياة الإنسانية عبر التاريخ منذ القدم، وحتى يومنا هذا.

لقد أصبح علم التاريخ علمًا سياسيًا مؤدلجًا وهامًا للدفاع عن وجهات النظر السياسية وللأنظمة، وأصبح أداة من الأدوات المساندة للعلوم السياسية والاجتماعية الأخرى.

الماضي وأحداثه التاريخية

لقد سبق وأشرنا إلى الفارق بين مفهوم التاريخ كحدث والتأريخ كموروث مكتوب، فالتاريخ كحدث،هو سلسلة مترابطة من الحركة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهي تعبيرًا وانعكاس لحياة الناس بكامل ما تحتويه من أحداث وتفاعلات بشرية وإنسانية. وشكل خيوطًا لهذا النسيج الذي نطلق عليه التاريخ الإنساني.لهذا وجب علينا دومًا وفي كافة العصور، وكافة أجيال البشرية،دراسة ومعرفة هذا الحدث الذي نحن في النهاية جزء منه. وما الماضي سوى حلقات متواصلة من هذه السلسلة من جيل إلى جيل. وهكذا دواليك بلا انقطاع ما دام هناك مجتمع بشري.

و على الرغم من إمكانية فهم القضايا الاجتماعية وحركتها، وإمكانية قيادتها والسيطرة عليها أيضا،إلا أن هناك تمسك مازال قائما بأن التاريخ حدثًا جبريًا قدريًا لا مناص منه، وأن كل ما يحدث ويقع من أحداث إنما هي جميعها عبارة عن سيناريو معد مسبقًا ويتم تنفيذه، وفق أهواء ورغبات طاقة أو قوى خفية هي المسؤولة عن هذه الحركة كلها وسواء كانت هذه القوى الخفية،قوى خارجة عن الطبيعة أو قوانين ومسار فعل لقوانين إجتماعية ما،فإن كلا الفهمين للعملية التاريخية يبقى مجزوء، وغير دقيق. وذلك بسبب التشنج الفكري والتكلس الدماغي الذي تسببه الايديولوجيا السياسية لهذه

الاتجاهات. إن الفهم الحقيقي للتاريخ يجب أن ينطلق من الحياد العلمي أولًا، وقبل كل شيء، وهذا مع الأسف نادرًا ما يتوفر في عصرنا الراهن.

إننا بحاجة إلى النظر إلى التاريخ وللحدث نفسه، وتقيمه وفهمه مباشرة وعن قرب أولا. قبل أن نقرأه مكتوبًا أو نفهمه من سياق ما ورثناه من رؤية وفهم للتاريخ كحدث.

إن الفهم العميق للعملية الاجتماعية التاريخية، يتطلب عدم الاكتفاء برؤية الحدث نفسه، ودراسته سواء كان الحدث معاشًا أو حدث قد انتهى وتوقف. لابد من رؤيته عبر سلسلة الحركة المتواصلة للأحداث، ولا بد لنا من فهم ما سبق من أحداث،لكونها شكلت الأساس الذي بني عليه الحدث الحاضر المعاصر.

ومن أجل فهم أزمات عصرنا الراهن، وفهم هذه الحلقة المعاصرة التي نعيش، علينا فهم ما سبقها، وما حملت هذه المرحلة في أحشائها من عناصر الماضي

وبما أن التاريخ هو سلسلة لا نهاية لها،فعلينا عند الدراسة والفهم وأخذ كل جزء بحسب الحاجة له. ولهذا فقد اكتفينا بالقرن الماضي لنأخذه كمقدمة لفهم التاريخ المعاصر، والحديث.

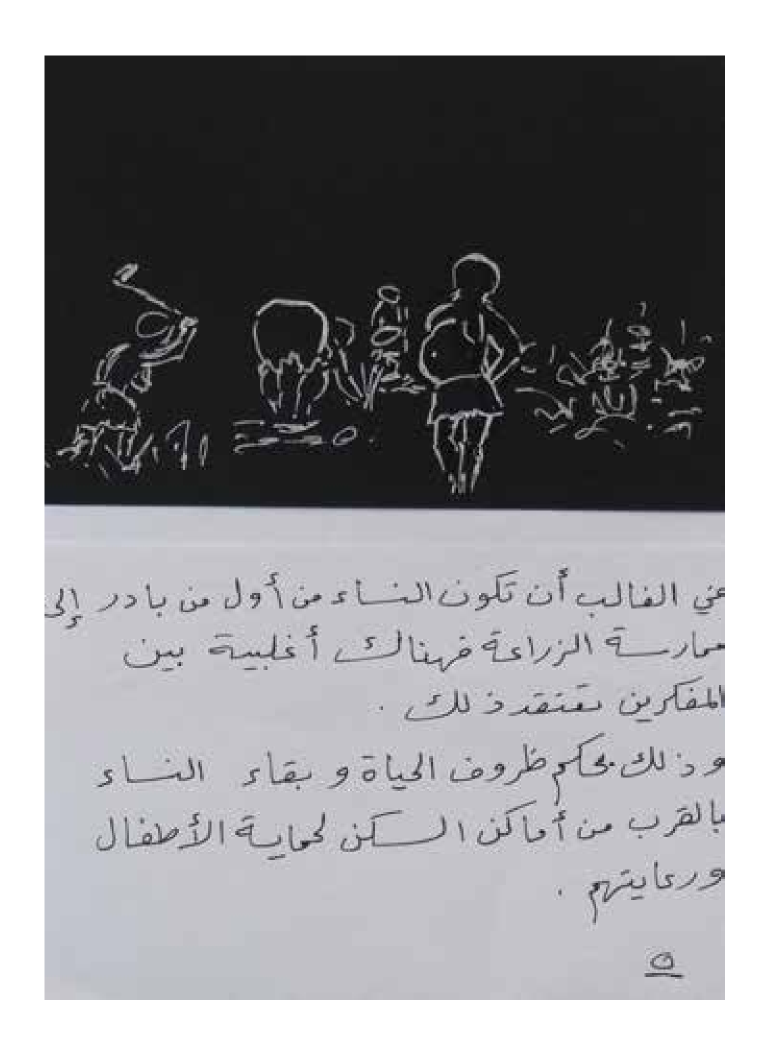
لقد حمل القرن الماضي ميزات غريبة ومختلفة نوعياً عن ما سبقه. وعلى الرغم أن النصف الثاني من القرن السابع عشر قد شكل بدايات الاكتشافات العلمية والطاقة، وعلى الرغم من أهمية القرن

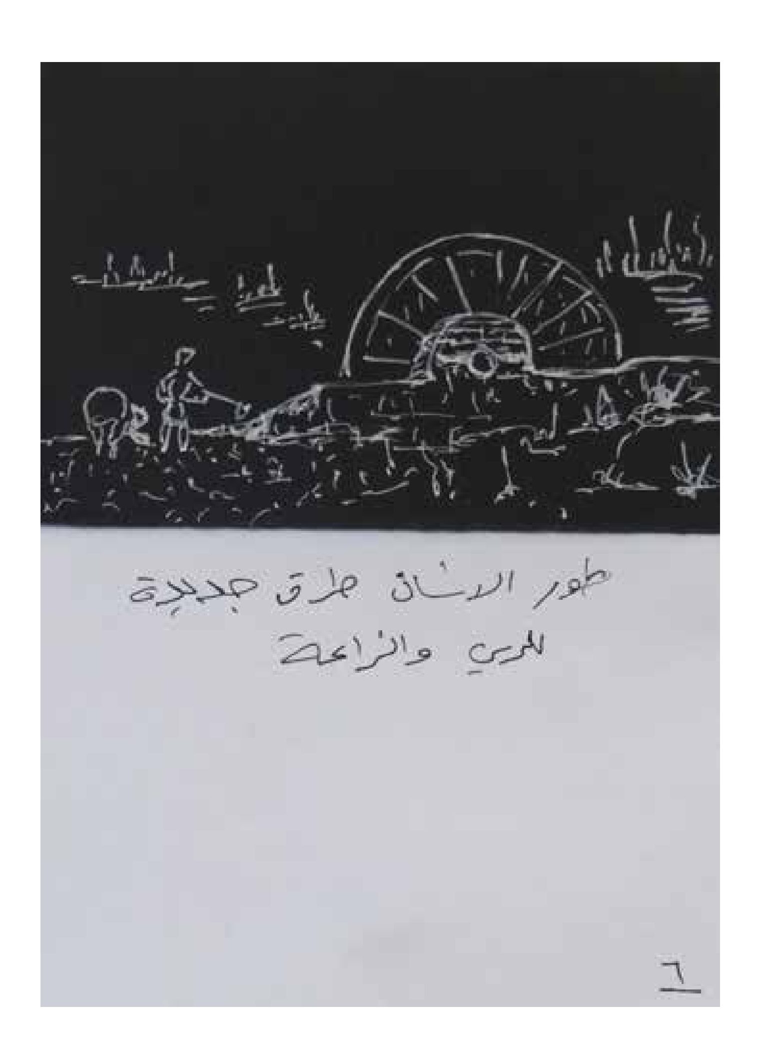
الثامن عشر أيضا إلا أننا نكتفي بالقرن الماضي، لأهمية ما حمله من أحداث وتفاعلات على كافة الأصعدة. إن القرن العشرين قد نقل البشرية إلى مرحلة نوعية مختلفة فعلياً عن القرون السابقة كلها. وليس ممكناً الحديث عن هذا الأمر بالعموميات، بل يجب بسطها وتفصيلها لأهميتها.

1. أزمات سياسية وحروب
2. أزمات اقتصادية
3. ظهور أنظمة اجتماعية وسياسية جديدة
4. أزمات فكرية وفلسفية وعقائدية
5. إحكام السيطرة على العالم وإعادة تقسيمه

لقد شهد القرن العشرين منذ مطلعه بقايا انهيار النظام الاقطاعي وتوج ذلك بنشوب حرب أطلق عليها الحرب الكونية الأولى. بحيث شهد العالم انهيار ما تبقى من النظام الاقطاعي في الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا وشرق أوروبا. انهارت الامبراطورية العثمانية والروسية والصينية وغيرها من بقايا الأنظمة الاقطاعية. وسيطرت الرأسمالية، والنظام الرأسمالي على العالم. ولكن مع ذلك ظهرت الحركات الثورية، والتي أدت من خلالها ومن خلال نضالها إلى ظهور وبناء نظام جديد في العالم.

وقد شهد القرن الماضي على صعيد الحروب والصراعات، أشرس الحروب التي عرفتها البشرية خلال مئة عام. بحيث كانت تكلفة


عني الغالب أن تكون النساء من أول من بادر إلى
مارسة الزراعة فهنالك أغلبية بين
المفكرين تعتقد ذلك .
و ذلك بحكم ظروف الحياة و بقاء النساء
بالقرب من أماكن السكن لحماية الأطفال
ورعايتهم .


طور الانسان طرق جديدة
للري والزراعة
٦

الحربين العالميتين والثورات والحرب الباردة والحروب والصراعات الأخرى أكثر من تكلفة حروب التاريخ كلها. بحيث شهد العالم قتل وتشريد مئات الملايين من البشر. ومئات المليارات من الوحدات النقدية التي دفعتها الشعوب وخسائر وخراب البيئة وغيرها من الأضرار والدمار والتلوث. فالحرب العالمية الثانية لوحدها قتل فيها أكثر من خمسين مليون إنسان.

ناهيك عن الإعاقات وغيرها من الأضرار النفسية البعيدة المدى.التي مازال فعلها متواصلاً حتى يومنا هذا.

اقتصاديًا

أساس الأزمة والحروب هو الاقتصاد والسيطرة. وقد تم إعادة تقسيم العالم في الحرب العالمية الأولى. وفي الثانية تم تغيير وترسيخ لهذا التقسيم، وخاصة على ضوء مكتشفات الطاقة والنفط ثم عاش العالم أزمة قطبي صراع بين نظامين. ثم عاد إلى محاولات فرض النظام الواحد وصك العالم عملة واحدة ومزرعة واحدة تسيطر عليها عصابة واحدة. ومازالت عقلية صراع الرأسمال وسيطرة النظام الرأسمالي بالقوة والبلطجة قائمة وفي أوجها. إن محاولة قولبت العالم وصكه تمامًا كالعملة أمر مستحيل على المدى البعيد.

الأنظمة الاجتماعية:

لقد ظهرت أنظمة اجتماعية ثورية جديدة واستطاعت أن تحقق

إنجازات ملموسة وإن كانت جزئية اقتصاديًا، إلا أنها أساسية على صعيد الحريات والوعي والبناء، ومع تطورها قد تكون صالحة كنماذج اجتماعية. وعلى الرغم من انهيار هذه القوى كمنظومة،إلا أنها مازالت موجودة،ووجودها تاريخيًا وأصيلًا. ففي جميع العصور كان هناك تنويريين ومعارضين ومحدثين. ولا يوجد عصر في التاريخ البشري خلا من معرفتنا بها، وعدم ذكرها في الموروث التاريخي لا يلغي وجودها عبر الزمن والتاريخ. ولكن ربما للمرة الأولى أن تقوم أنظمة كاملة وتشكل نظامًا أساسيًا في الصراع العالمي بين البشرية على السيطرة على العالم.

لم تكن تلك الآراء فقط تحررية، بل هي في النهاية تسعى لفرض سيطرت الجماعة وإلغاء الفرد. وإن كان بشكل مختلف عن الجماعة السابقة. وهكذا نشأت ثقافتين مختلفتين على الصعيد العالمي. بشكل عام، اتجاه يمجد الفرد ويركز على الفردية والحرية الفردية الشبه مطلقة. وصل الأمر في بعضا منها أن يجعل الإنسان الفرد إله.

و اتجاه آخر غالى في الجماعة وكاد يلغي وجود الفرد أحيانًا بل يصل الأمر في هذا الاتجاه إلى إلغاء العقل نهائيًا وإلغاء الفردية بالكامل تمامًا كما في حالة النحل في الطبيعة.

أزمات فكرية وفلسفية:

هذين الاتجاهين المذكورين، الاتجاه الفردي واتجاه الجماعة. ظهرا تعبيرًا عن أزمة فكرية وسياسية وفلسفية عاشها العالم ومازال يعيشها

حتى يومنا هذا.

لقد تعددت الاتجاهات الفكرية المتناقضة، ولكنها في النهاية تركزت في اتجاهين أساسيين في الصراع.

إن أساس الصراع بين هذين الاتجاهين قائمًا على أساس إحكام السيطرة على العالم. أي النظامين ومن سيتمكن من السيطرة على هذا العالم ويسكبه في قالب العملة.

إعادة تقسيم العالم وإحكام السيطرة عليه:

إن الهدف الأساسي للصراع العالمي وجوهره خلال القرن الماضي قد تركز واحتدم حول السيطرة على العالم وموارده وخيراته، رغم التطور السريع الغير متوقع. وقد شكل ذلك صراعًا واضحًا بين قوى عالمية مناهضة لهذه السيطرة، وقوى تسعى جاهدة لاستكمال سيطرتها وإحكامها على العالم من جديد.

لقد نما الرأسمال وترعرع وتحول المليون إلى مليار. والمليار إلى مليارات. ولم يعد العالم جغرافيًا قادرًا على احتمال هكذا تراكم الاستثمارات والرأسمال المتضخم. فهذا التضخم يحتاج إلى رخاء اقتصادي للمستهلكين الذين باتوا غير قادرين على استهلاك كل ما ينتج بسبب الأزمة الاقتصادية.

إن أزمة العالم الامبريالي الحالية تكمن في، طبيعة البنية التحتية الغير قادرة على استهلاك والتعاطي مع البنية الفوقية السائدة. وقد أدى التدهور الاقتصادي إلى ضرب حتى أبسط السلع الاستهلاكية،

وغياب القدرة على إنتاجها إلا عبر صناعات متقدمة تكنولوجيًا. وهذا يعني احتكارات ومزيدًا من قولبت السوق وتحويل المجتمعات إلى مزارع مقرر لها سلفًا،ماذا تأكل وماذا تلبس وماذا تستهلك. إن تجارب القرن الماضي السياسية والاجتماعية والفكرية لابد لنا من التعلم منها وإعادة تقيمها، وفهم أثرها فهناك الكثير منها هو فعلاً متواصلاً مازال معاصر ونعيشه حتى اليوم وسنعيشه في المستقبل أيضًا

و ليس هذا فقط بل علينا التعلم من تاريخ الإنسان منذ نشوئه وحتى يومنا هذا. فإذا أردنا أن نكون جادين في التعلم من التاريخ وفهمه فعلينا قراءته منذ نشوئه الأول...

الاكتشافات العلمية

من أهم الميادين التي عاشها القرن الماضي كان ميدان العلم. وقد تمت أعظم الاكتشافات خلال هذا القرن، وفي كافة المجالات والأصعدة. وسنحاول استعراض ملخص مكثف لهذه الاكتشافات وذلك لأهميتها ودورها في الأزمة التاريخية المعاصرة.

1. في الفيزياء

لقد شكلت اكتشافات الفيزياء، وعلوم الطاقة والذرة والكهرباء والفلك والفيزياء الحيوية عنصرًا هامًا ومقدمات ضرورية للمرحلة المعاصرة مرحلة «العالم الالكتروني» وقد كانت أهم نتائج هذه الاكتشافات وثمارها مع نهاية القرن العشرين حيث دخل العالم مرحلة نوعية فعلًا من الحياة على صعيد تقنية الاتصالات والتواصل. ناهيك عن اكتشافات علم الفلك وما تم إنجازه على هذا الصعيد، مما مهد الأرضية العلمية والنظرية لإعادة النظر في أصول الإنسان والمجتمع، وكيفية تطوره وطبيعة سيره عبر التاريخ

2. في الكيمياء

لقد شكلت الاكتشافات في هذا المجال داعمًا هامًا لكافة العلوم

الأخرى سواء على صعيد الكيمياء الفيزيائية أو الكيمياء الحيوية فقد تطور علم البتروكيماويات وغيره. وقد تم اكتشاف الكثير من اللقاحات والأدوية والعلاجات للأوبئة والأمراض... الخ.

3. البيولوجيا والأحياء

لقد تطورت علوم البيولوجيا بطريقة لا توصف،بحيث وصل العالم إلى اكتشاف الكثير من الحقائق حول هذا العالم، وقد تم اكتشاف الكثير من أنواع البكتيريا الجديدة. وقد اكتشفت أنواع حياة للبكتيريا قادرة على التأقلم مع ظروف أصعب وأقسى كثيرا مما كنا نعرف سابقًا. بحيث اكتشف أن هناك أنواع من البكتيريا وغيرها من الكائنات الحية كالنباتات أيضًا قادرة على الحياة والتأقلم مع ظروف حرارة تصل إلى أكثر من 200 م. وكذلك في أماكن البراكين وتجمعات أحماض سائلة شديدة الخطورة، لدرجة أن الإنسان لو وضع يده في داخل هذه الأحماض، لذابت خلال دقائق قليلة. في الوقت الذي تعيش في هذا الأحماض أنواعًا من البكتيريا، وكذلك على صعيد علم الجينات والوراثة، والحمض النووي والاستنساخ... الخ. من الاكتشافات العلمية.

4. العلوم الاجتماعية والإنسانية

لقد تطورت العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل واضح ومميز. وتطورت مفاهيم الإنسان عن ذاته وبيئته الاجتماعية وعلاقته بالطبيعة، بحيث

تطورت مفاهيم سياسية واجتماعية وايديولوجية جديدة. وكان من أهمها إعادة النظر في نظرة الإنسان للطبيعة والحياة. وقد نشأة حركات وأفكار متطورة صديقة للبيئة، ونشأت حركات اجتماعية مناهضة للحروب، وتؤيد السلم العالمي.

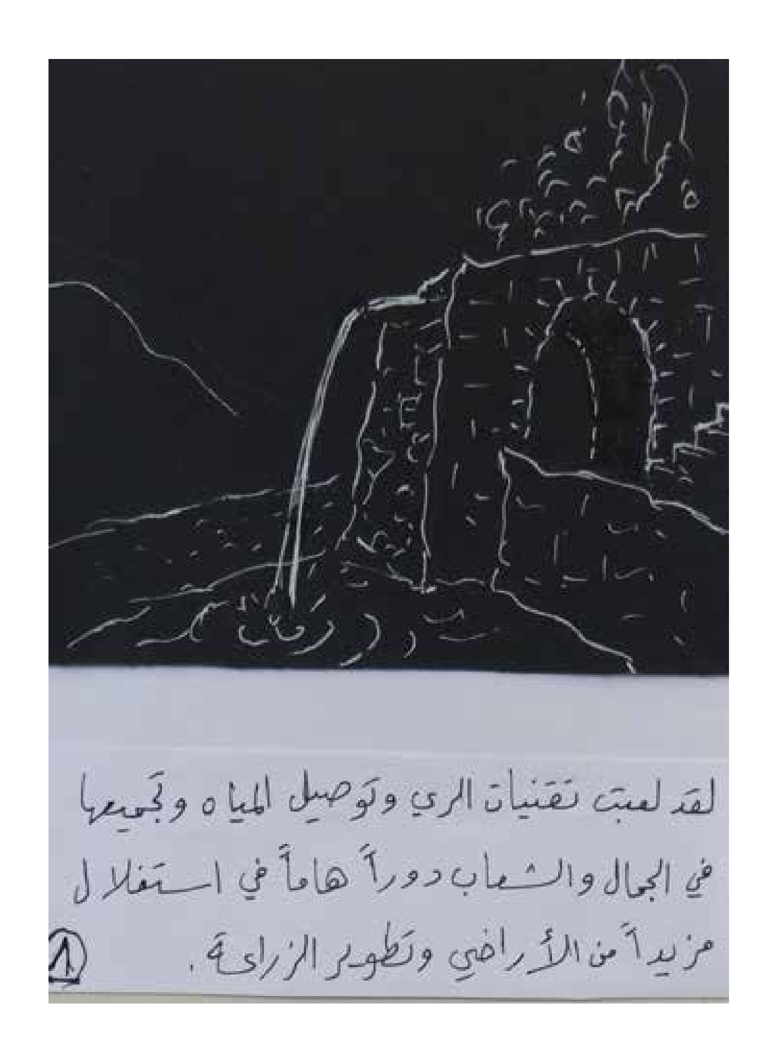
وكذلك تعزز وتأكد صحة الكثير من النظريات الاجتماعية والاقتصادية حول أساس أزمة العالم المعاصر. وعلى الرغم من تحول العالم من نظام القطبين إلى نظام تعدد الأقطاب. إلا أن الصراع الأساسي ونظرياته وجوهره قد أصبح واضحًا، بطريقة غير قابلة للشك في أسبابه الأساسية.

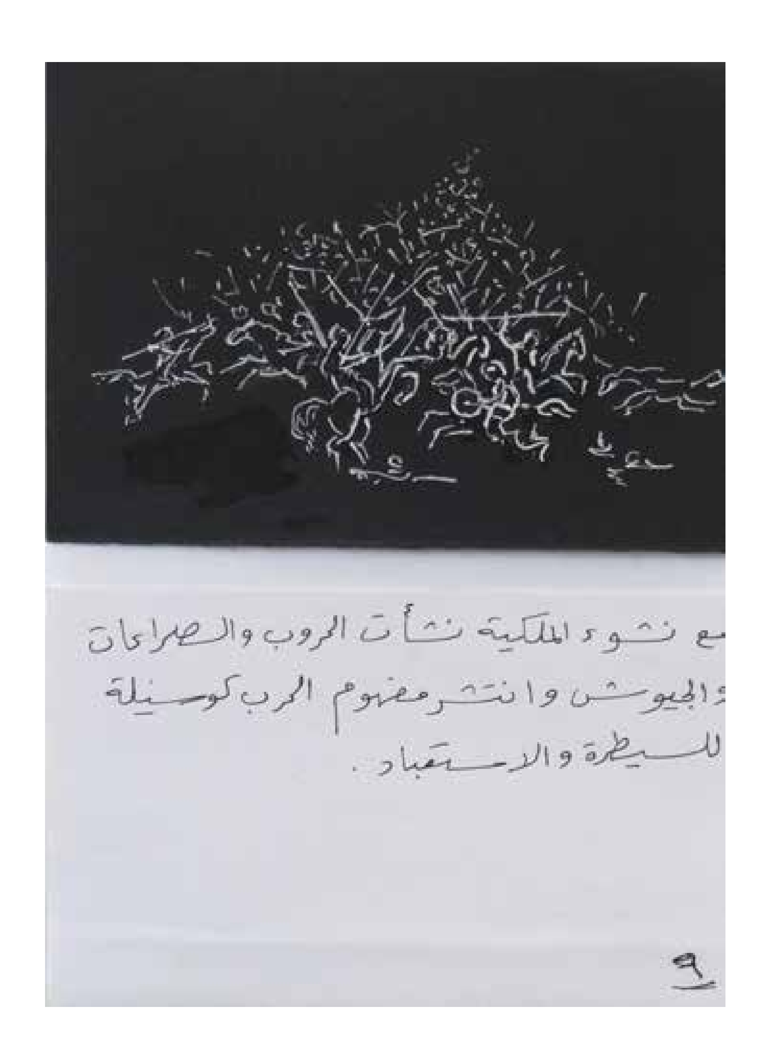
فقد كشفت الحروب التي عاشتها البشرية، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، أن المحرك الأساسي للحروب هو السيطرة على مصادر الطاقة والخامات والأسواق بالدرجة الأولى. وان هذه الحروب ما زال عصبها ومحركها الأساسي. هو نفس الأمر، ونفس الأسباب التي أدت إلى نشوب الحرب العالمية الأولى والثانية.

لقد كشف علم الاجتماع عن حقائق غير قابلة للطعن مفادها، أن الوجود الاجتماعي هو ما يحدد الوعي الاجتماعي. وأن نزعة الشر في الإنسان ليست أصيلة، ولا غريزية، بل مكتسبة، فبيئة الإنسان الاجتماعية هي الأساس في تشكيل وعيه الاجتماعي، بما في ذلك لغته ومفاهيمه وانتمائه الطبقي الاجتماعي والاقتصادي وغيرها من المفاهيم والقيم والأخلاق التي يتم صنعه على أساسها من بيئته الاجتماعية والأسرية أو غيرها

في النهاية بإمكاننا أن نكثف الخلاصة فيما يلي:

لقد شكلت مجمل هذه الاكتشافات والعلوم،مقدمات أساسية لطبيعة الأزمة المعاصرة، والتي ورثناها من القرن الماضي. ومازالت فعلاً متواصلاً مستمراً نحو طريق أكثر وأشد خطورة، مما كانت عليه في القرن الماضي. وسننظر في نهاية الفصل إلى الخلاصة النهائية للقرن العشرين كمرحلة تاريخية، حملت المقدمات الضرورية لعالمنا المعاصر.


لقد لعبت تقنيات الري وتوصيل المياه وتجميعها
في الجبال والشعاب دوراً هاماً في استغلال
مزيداً من الأراضي وتطوير الزراعة.


مع نشوء الملكية نشأت الحروب والصراعات
والجيوش وانتشر مفهوم الحرب كوسيلة
للسيطرة والاستعباد.
٩

علم الآثار والقرن العشرين

إن علم الآثار من العلوم الهامة جدًا لعلم الاجتماع، وكافة العلوم الإنسانية الأخرى. وأهميته تكمن في كونه يشكل الدليل أو النفي للكثير من المعتقدات والأفكار، التي شكلها الإنسان عن ذاته وعن العالم والطبيعة وغيرها.

وقد ساهم علم الآثار ومكتشفاته الرائعة في إعادة تشكيل الوعي الإنساني. بحيث أثبتت الكثير من النظريات وتأكد صحتها من خلال اكتشافات هذا العلم الرائع الفذ الذي يشكل دليلًا قاطعًا على تحريف وتزوير التاريخ وردًا حاسمًا قاطعـًا على كافة الخزعبلات التي تحاول القوى الامبريالية طمسها وتحريفها.

1. تأثير العلوم والتكنولوجيا في علم الآثار

لقد امدت التكنولوجيا المتطورة علم الآثار بتقنيات جديدة وإمكانيات جعلت من علماء الآثار قادرين على إثبات الكثير من ما كان في السابق مجرد حلم.

و قد تم الكشف عن الكثير من الأثريات والتواريخ الجديدة للإنسان بفضل هذا العلم وتطوره التكنولوجي واللوجستي وتبين إن اقدم قطعة فنية من صنع الإنسان يرجع تاريخها بعد الفحص والتدقيق المخبري

والإشعاعي يعود الى ثلاث مليون وست أعوام، وهي عبارة عن مجسم طيني لوجه إنسان متحجر، إن هذا الأثر رغم بساطته البدائية البسيطة إلا أنه يعكس قدرات ووعي وقدرة عالية على التجريد، مما يعني أن منتجه إنسان واعي لذاته وليس مجرد حيوان عادي، إن منتج هذا الأثر كائن واعي وعاقل وإلا لأنتجت القرود أشياء مشابهة منذ الأف السنين، وهذا يعني تلقائيا أن التاريخ المكتوب لا يزيد عن قشرة رأس البصل الكبير المجفف بالنسبة لتاريخ الإنسان العاقل.

2. علم المجهريات

لقد قدم علم المجهريات خدمات جليلة لعلم الآثار بحيث تم الكشف عن الكثير من التفاصيل والحقائق الهامة، ومن أكثرها أهمية ماله علاقة بتاريخ الإنسان الواعي والمثقف على الأرض.

لقد كانت معلوماتنا في بدايات القرن الماضي كعلم آثار ومكتشفات أن حياة البشرية لا تزيد عن العشرة آلاف عام على الأكثر. وكانت جميع الأثريات المكتشفة حول المجتمع البشري لا تتجاوز العشرة آلاف عام. ولكن بفضل التطور في التكنولوجيا وعلوم المجهريات وغيرها، وبفضل الاماكن الجديدة ونشاط علماء الآثار الأغرار في مجالهم، تم اكتشاف ما يثبت أن الإنسان الواعي كإنسان يقدر تاريخه الآن بمئات آلاف من السنين. وقد تم اكتشاف موقعًا أثريًا في المغرب، في موقع « مغارة الحمام « فقد تم الكشف في الكهف عن حلي صدفية وأدوات يعود تاريخها إلى مئة وثلاثة آلاف عام وما

فوق. ومازال البحث جاريا في الكثير من المناطق في العالم إلى الآن بعد هذا الاكتشاف المذهل. وكذلك الوجه السالف الذكر الذي عثر عليه في جنوب أفريقيا. فقد عثر على وجه طيني مشكل لإنسان يرجع عمره إلى ثلاثة ملايين عام.

بالإمكان الرجوع لكتاب الصورة وهو الجزء الرابع من كتاب خارج المنظور- ومراجعة الفصل الرابع ص60 الأثر الفني وأهميته التاريخية.

3. علم الآثاروالعلوم الاجتماعية

لقد ساهم علم الآثار منذ نشوئه في دعم وتطوير العلوم الاجتماعية والإنسانية لكونه كما أسلفنا يقدم الدليل لصحة هذه النظرية أو تلك. وخاصة حول أصل الإنسان والمجتمع البشري والكائنات الحية أيضًا فلولا علم الآثار لما اكتشفنا عالم الديناصورات. بل وحياة الماضي القديمة لكوكب الأرض الذي يرجع تاريخه إلى الملايين من السنين الحوالي.

خلاصة الفصل:

إن ما بإمكاننا تلخيصه في نهاية هذا الفصل:أن العلوم بشكل عام وعلم الآثار بشكل خاص قد ساهمت بشكل حاسم في تطور المعارف الإنسانية والعلمية. وقد قدمت هذه العلوم مجتمعة خدمات جليلة للإنسانية والعلوم الاجتماعية.

و قد أصبحت هذه المقدمات بمجملها جزء من الرؤية لتاريخ المجتمع

البشري والإنسان. وستساهم أيضًا في قدرة الإنسان على تحقيق الرؤية المستقبلية، وكيفية صياغتها وتحقيقها



اقدم قطعة فنية واثرية في العالم ، يرجع تاريخها الى ٣ مليون وستة اعوام وهي مصنوعة من الطين المتحجر ، عثر عليها في جنوب افريقيا مطلع اقرن الماضي

الفصل الثاني

التاريخ والنظريات الاجتماعية

1. الفلسفة والتاريخ

كما للفلسفة تاريخ فإن للتاريخ فلسفة، وقد ترابطت الفلسفة مع التاريخ منذ نشأتها، وكانت الفلسفة أول علم يحاول فهم وتفسير التاريخ تفسيرًا منطقيًا يقبله العقل. ومنذ نشوء الفلسفة لم يعد التاريخ مجرد حكاية أو أقصوصة تروى، بل أصبح التاريخ فعلًا مفسرًا وذات دلالة وقوانين وحركة، وتغير وصراع. مما جعل التاريخ كمفهوم إجتاعي بعد ظهور الفلسفة يتحول إلى علم من العلوم الاجتماعية الهامة.

ومن الجدير بالذكر أن الكثير من الفلاسفة والمفكرين القدامى قد عنوا بدراسة التاريخ، كظاهرة اجتماعية، وحاولوا تطبيق قوانين الطبيعة عليه، واستنباط والكشف عن قوانين هذه الظاهرة وحقيقتها.

و قد كان من أوائل هؤلاء الفلاسفة في اليونان القديم «ديموقراط» وسقراط وأرسطو وابن رشد وابن خلدون والفارابي وأبو العلاء المعري وغيرهم من كبار المفكرين والفلاسفة العرب والمسلمين الذين اشتغلوا بالفلسفة وغيرها من العلوم الإنسانية بما فيها علم التاريخ والتأريخ والتاريخ نفسه.

فقد عمل الكثير منهم كمؤرخين وكباحثين في التاريخ وعلومه. ومن

الجدير بالذكر أن هذا الترابط العضوي بين الفلسفة وعلم التاريخ مازال قائمًا، وسيبقى كذلك. فكلا العلمين مترابطين ويساند كلا منهما الآخر. فعلم التاريخ أيضًا لا بد له من رؤية فلسفية في النهاية، وله مناهجه ونظرياته وفلسفته إذا جاز التعبير.

و سواء كان التأريخ أو علم التاريخ كبحث أو كحدث، فإن كل الحالات يبقى التاريخ ليس على تماس بالفلسفة وحسب بل وفي صلب النظريات الفلسفية. أي علاقة جدلية عضوية ذات تأثير متبادل وضروري منتظم، سار عبر التاريخ المتواصل حتى عصرنا المعاش حاضرًا.

2. أدلجة التاريخ كعلم وحدث

لضيق الوقت وكونها ليست مهمة بحثنا، دعنا نتفق على الاستعمال المجازي للمصطلحات للاختصار وتسهيل الاستعمال لنتفق على اختصار كلمة «ايديولوجيا».

بعد تعريفها بكلمة «أدلجة» وهي اشتقاق واختصار لنفس المصطلح تعريف مفهوم هذا المصطلح حسب المعجم الوسيط للغة العربية «قاموس عربي».

ايديولوجية:مجموعة الأفكار والمعتقدات، الخاصة بعصر ما أو مجتمع أو طبقة اجتماعية.

المعجم الجامع: ايديولوجيا: جمع ايديولوجيا: مجموعة الأفكار والآراء

والمعتقدات والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمة أو حزب أو جماعة.

اما أول من استخدم هذا الاصطلاح لغويًا كان المفكر والفيلسوف الفرنسي «ديستان تربسي» /١٧٥٥-١٨٣٦ - في كتابه عناصر الأيديولوجيا يعني تريسي بالإيديولوجيا «علم الأفكار التي يحملها الناس. تلك الأفكار التي تتلاءم مع العمليات العقلية لأعضاء المجتمع.

وبعد ذلك شاع استعمال هذا المصطلح بين المفكرين والسياسيين والفلاسفة. وقد استخدمه وبحث فيه الكثير من هيجل إلى ماركس وأنجلز ونيتشه وغيرهم كثير من رواد كلا الاتجاهات الفكرية والسياسية والفلسفية. ولكننا ليس بصدد ما وقع بالأمس، أي حين وضع هذا الاصطلاح وبعد فهذا نعرفه وهناك مئات المراجع لمعرفته. إن ما نحن أحوج إليه هو أن نرى تاريخ هذا الاصطلاح. أي الفعل وليس نشوء الكلمة.

مع الأسف غالبية الدراسات تنصب على نشوء الإصطلاح واستعماله وما بعد وتنسى التاريخ الذي سبق هذا النشوء. أي الفعل نفسه في الواقع متى بدأ. فهل بدأت الأفكار والجماعات والأحزاب والشعوب ومعتقداتها بدأت من هذا التاريخ فقط، أومن القرن الثامن عشر. إنها كارثة فكرية اعتدنا عليها بحكم موروثنا الفكري والتربوي ومنهاجيتنا في رؤية الأشياء، حتى من خلال البحوث ووجهتها.

إن البحث الذي ينسى ما في البواطن والظواهر سيبقى بحثًا مبتورًا منقطعًا عن أصوله. إن قدم الأفكار بقدم الإنسان، وقد سبق وأشرنا

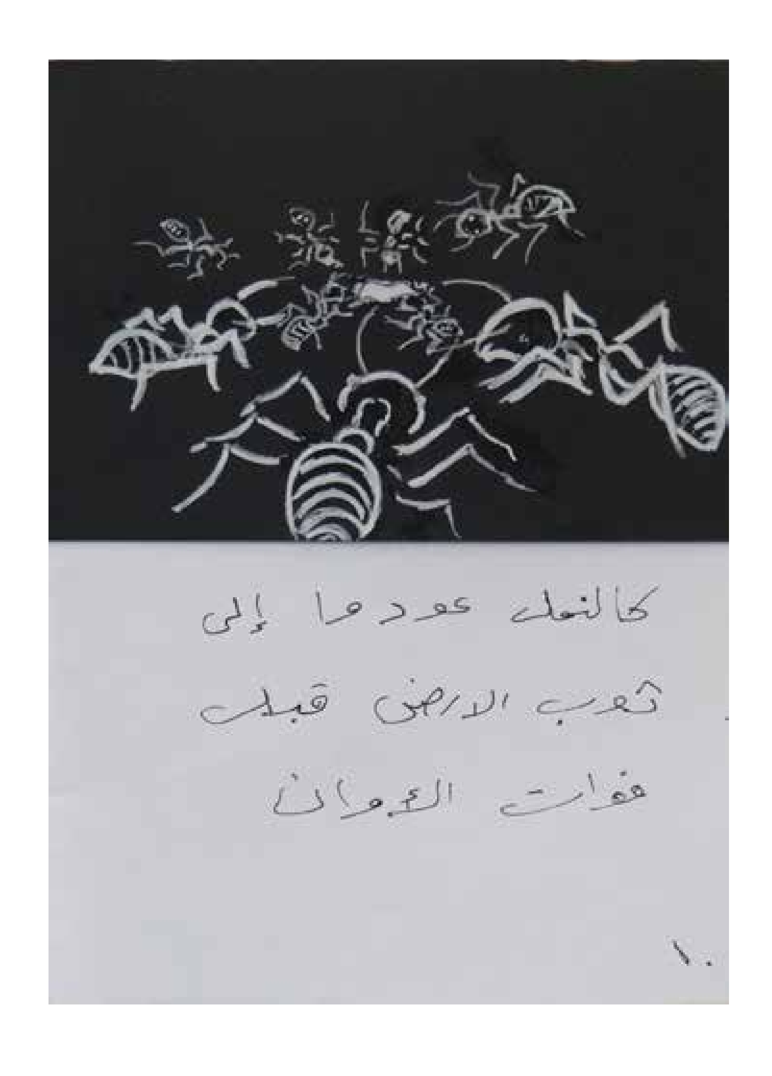
إلى علم الآثار الذي اكتشف كنوز للعلوم الإنسانية، لا تقدر بثمن بحيث أثبت أن الإنسان الواعي وذو الفكر والمعتقدات يزيد عمره بالإثبات الأثري عن الثلاثة ملايين عام.

أما علوم المتحجرات والعظام، فتذكر أن الإنسان الواعي وذو الفكر يزيد عمره عن المليون عام.

فكم سنكون جهلة ونقع في جهالة، إذا ما اكتفينا فقط في «الرغوة أو زبد البحر» علينا أن نبحث في عمق البحر ذاته، وليس في الزبد الذي تصدره الأمواج.

لهذا نقول بأن الأدلجة قد نشأت مع نشوء الفكر والجماعات ذات الثقافة. وقد نشأ لها أفكارها ومعتقداتها. وبحسب تعريف هذا الاصطلاح لغويًا، يعني أن الأدلجة لم تقتصر على عصر النهضة كما يسمى في أوروبا، ولكن الكارثة الكبرى أن طريقة تفكير الكثيرين مطبوعة وممنهجة وفق ما تلقوه من مؤسساتهم التعليمية والتربوية. وهي في النهاية مؤدلجة أصلًا، ومبنية على فكرة تقول: أن أوروبا هي مركز الحضارة الإنسانية، وأنها أرقاها ومن خلالها إنطلق التطور والحضارة بل وصل عمى الأدلجة إلى إهمال ما قبل هذا التاريخ.

لقد اقترن وتم رهن الفكر البشري عبر مئات آلاف من السنين تم اختزاله بهذا المفكر الذي نقدسه. كمفكر ولا ذنب له بما يجري. إن هذه الآفة الاجتماعية ليست حديثة العهد، بل هي متوارثة عبر الأجيال فهي جزء من ثقافة شعوب وأمم اعتادت لسنين متوالية


كالنمل عدنا إلى
ثقب الارض قبل
فوات الأوان
١٠

(11)

عين حورس من أشهر الرموز الفرعونية
القديمة وهي موجودة في غالبية معابد حورس
في مصر القديمة.
وهي ترمز إلى العين الحارسة المراقبة العارفة.

على تبرير استغلال الآخرين ومواردهم الاقتصادية ونهبها وإخضاع الأمم واستعبادها.

إن هذه العقلية، وهذا النوع من الأدلجة إنما هو موروث عبر التاريخ، وقد مارسته الكثير من الشعوب والأمم وأبسط مثال على ذلك الحضارة الإغريقية والرومانية وغيرها منذ القدم.

إن الأدلجة قد دخلت على علم التاريخ منذ نشأته الأولى، ولو القينا نظرة على أقدم الآثار المكتوبة على جدران الكهوف من رسومات ونقوش،فإننا نجدها في مرحلتها المتطورة تحمل أفكارًا عن العالم ومعتقدات ورؤية حتى عن عالم الأرواح والميتافيزيقا.

وكذلك أقدم المخطوطات التاريخية مثل «جلجامش» وغيرها من المخطوطات الأثرية القديمة. فهي ليست مجرد قصص وروايات اسطورية، بل لها مدلولاتها الفكرية الفلسفية والدينية والأدلجة وغيرها

إن هذا المفهوم «الأدلجة» قد رافق التاريخ وعلم التاريخ منذ البداية. ففي اللحظة التي فكر فيها الإنسان أن يكتب هذا التاريخ، وهذه الأحداث كانت له رؤية سياسية واجتماعية لها، وهذه الرؤية تنطبق تماما على مفهوم الأدلجة، لقد ولد التاريخ مؤدلجا أصلا، وصيغ بطريقة تشبه تلك الرؤية، ولهذا نجد أن التاريخ القديم يعج بالأسطورة والخيال والاحداث الغير منطقية أحيانا، ولكنه يهدف من وجود هذه الأساطير إلى تحقيق فكرة دينية سياسية مؤدلجة أصلا. والسعي لتحقيقها من خلال إقناع الناس بصحتها وتبعياتها.

قد لا يسوغ هذا الرأي للكثيرين، ولكن هذه الحقيقة المرة في النهاية. حقيقة لابد من تلخيصها وتكثيفها. إن كل ما وصلنا من مخطوطات تاريخية ودينية وغيرها، هو في النهاية مؤدلجاً منذ نشوءه وكتابته. ولولا وجود الأدلجة لما وجدت هذه المخطوطات والآثار أصلاً على هذه الشاكلة.

لقد كانت الأدلجة من أهم الحوافز التي جعلت الإنسان يقوم بهذا العمل «أي الكتابة للتاريخ من أجل توثيقه

و لهذا نجد أن غالبية هذه الأثريات، إما حكماً أو رؤية فكرية للعالم ذات بعد فلسفي وسياسي وسلوكي اجتماعي واقتصادي في النهاية. أي أنها في نهاية المطاف لها رؤية لنظام ما. وهذا ينطبق تماما على مفهوم الأدلجة.

و لابد من الإشارة هنا والتذكير أن الكتابة التقليدية واللغات المتطورة لم تنشأ إلا بعد تطور المجتمع ونشوء حضارات كبيرة وإستقرار وتعداد سكان وجهاز إداري... الخ.

أي بمعنى أن المفاهيم الدينية والسياسية والمعتقدات كانت جميعها ناشئة وواضحة المعالم بما فيها الفن والفلسفة وغيرها من المعارف الإنسانية.

و في النهاية نصل إلى خلاصة مفادها أن غالبية البشر مؤدلجين دون أن يعلمون ذلك. وكل منا مؤدلجا ما دام قد خضع لنظام تربوي ما. وله موقف ورؤية للحياة وذاته.

3. الدين والسياسة والتاريخ

لقد نشأ الدين في البداية لتلبية حاجات اجتماعية فردية وجماعية للإنسان، وقد اختلفت معتقدات الشعوب في هذا الأمر، ولكنها في النهاية وجهة في اتجاهات متماثلة تقريبا لدى جميع الشعوب. فمثلا غالبية الشعوب في أديانها القديمة الأولى والتي مازالت جزء منها مازال معاصرا حتى اليوم.

ولكنها جميعا تشترك في قضايا مثل....من أين جاء الإنسان؟

وطاقة الحياة؟و لماذا وجد الإنسان؟

إذًا فالدين مشابه للأدلجة إلى حد ما، ولكنه أكثر استقلالية منها حيث نشأ الدين عفويا بحيث كان الوعي البشري بسيطًا تمامًا كشمعة في صحراء من الظلام الحالك، فجأ الدين ليفسر أو يساند الإنسان معنويا في رؤيته وحياته وسط هذا العالم الموحش المليء بالمخاطر وسط قوى الطبيعة والوحوش المفترسة.

و يجدر الإشارة هنا أن الدين سابق على الأدلجة، فقد جاءت الأدلجة لاحقًا لتصبح نظامًا داعمًا للأفكار والمعتقدات الدينية، وثم السياسية لاحقًا.

لقد ظهرت المفاهيم الدينية، وتلاها الفلسفة والأدلجة وثم السياسية والحقوق وغيرها من المفاهيم. التي نشأت واحكمت السيطرة على البنية الاجتماعية الفوقية بالكامل. مما جعل من كافة ظواهر ومجالات المنتوج الفكري الاجتماعي، يصبغ بصبغة أدلجة دينية وسياسية

لقد تولدت السياسة والدين والادلجة وتضافرت جميعًا لتشكل التاريخ وتكتبه على هواها، ويحسب المعتقدات والأفكار السائدة في ذلك العصر.

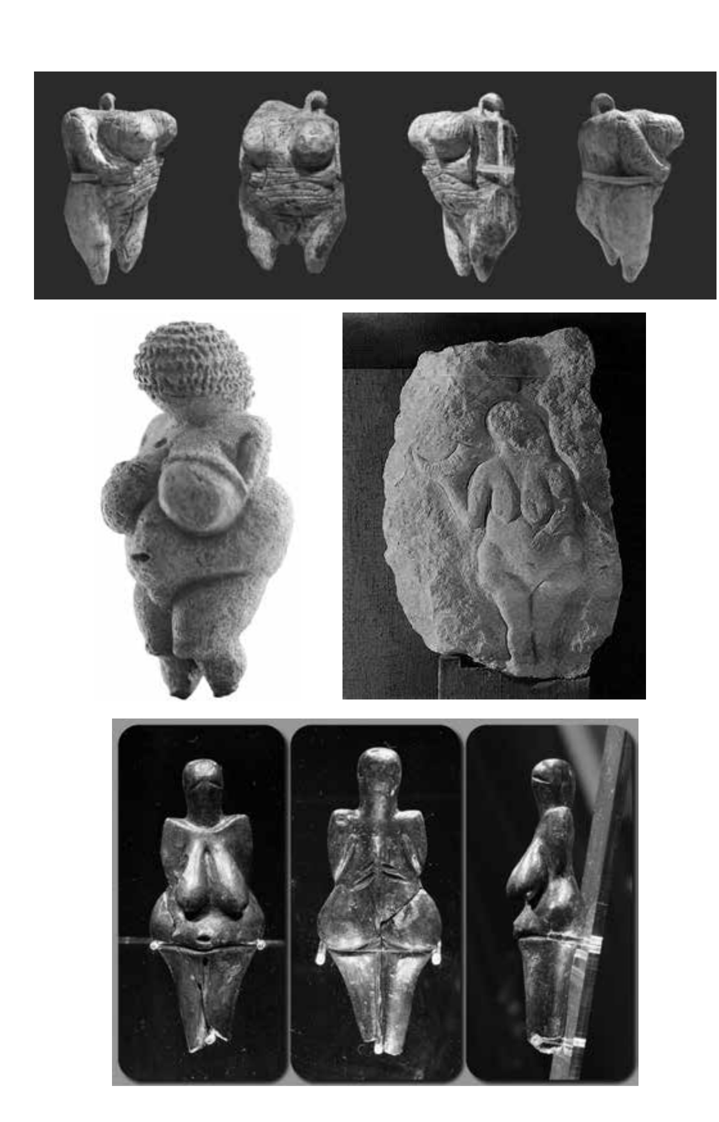
قد يعترض البعض ويقول، أن هذه المفاهيم ونشوئها مرتبطًا بنشوء المجتمع الطبقي المتطور. نعم هذا صحيح فقد نشأ نظام الطبقات منذ آلاف السنين، أي منذ نشوء الملكية والمماليك ونشوء مفاهيم الحقوق والعدل وغيرها من المفاهيم. وهذا طبعًا نوع من أنواع الأدلجة.

إن جميع هذه المفاهيم قد نشأت منذ نشوء الفكر الإنساني والإنسان وتطورت وانتقلت من تلك المرحلة إلى مراحل أخرى وحتى اليوم.

فالدين والأفكار الفلسفية لم تكن طبقية مع بداية نشوئها ولكنها تحولت إلى طبقية مع نشوء المجتمع الطبقي، وهكذا فإن جذور الايديولوجيا والفلسفة والدين هو ما قبل المجتمع الطبقي. أما المفاهيم السياسية فقد نشأت مع نشوء الملكية الخاصة والممالك والصراعات من أجل السيطرة على موارد الطبيعة وخيراتها، وعلى القوى البشرية المنتجة بشكل عام.

لقد شكلت هذه المفاهيم التاريخ المكتوب على هواها، وبحسب رغباتها ومصالحها، وسنرى لاحقا كيف ومن هؤلاء الأشخاص الذين كتبوا التاريخ بآرائهم وأدلجتهم ومعتقداتهم الدينية والفلسفية والسياسية

و الخلاصة أن ليس من أثر في المخطوطات وموروثات التاريخ مهما كانت طبيعته خالي من الأدلجة والمعتقدات الدينية والفلسفية



الهة الخصب من اشهر الآله الإناث واقدمها حتى الان وقد وجد بكثرة منه في الكثير من المناق حول العالم شرقاً وغربا، وفي شمال افريقا وجد الكثير منها ومتعارف عليها باسم تان تان وهي من اقدم الالهة المعروفة حتى الان ، ويقدر علماء الآثار انتشارها واستعمالها كرمز الى خمس مئة الف عام وقد صنعت من خامات مختلفة من الطين والعاج ولحجر واخزف وغيرها من المواد

وغيرها من المفاهيم التي تعبر عن الثقافة والمجتمع الذي صدرت عنه هذه الوثائق وتعبر عن مفاهيمه وأفكاره وقيمة. بما في ذلك الأدلجة والسياسة والدين والأخلاق، وكافة المفاهيم الاجتماعية السائدة في ذلك العصر أو ذاك.

4. الفن والتاريخ

من هو أول مؤرخ عرفه التاريخ البشري؟

هذا هو السؤال الاهم في بحثنا هذا.

إن الفطرة الإنسانية الأصيلة لدى الإنسان هي أم هذا المجال، وأما أبيه فهو الفن ذاته.

و بهذا نصل إلى خلاصة مفادها، أن الفنان الطبيعي الأول في العصر الحجري السفلي والوسيط كان أصدق وأكثر المؤرخين إخلاصًا في عمله، حيث ترك لنا نقوشه ورسوماته لتحكي لنا رواية حياته الطبيعية الأولى وكيف عاش وفكر وعبر عن ذاته في ذلك العصر القديم.

لقد وضع أجدادنا الأوائل تاريخهم بأنفسهم. عاشوه وخططوا لنا جزء من أحداثه على جدران كهوفهم ومعابدهم وبيوتهم، وهذه رسالة كافية لنا لإدراك وجودهم وفك رموز هذه الصور وما خلفها من معتقدات ومفاهيم وقيم إنسانية، وللمزيد والتوسع في الفن والتارخ يمكن العودة لكتاب الصورة الجزء الرابع من مؤلف خارج المنظور. ولكن هذا كان في القديم وفي مرحلة النشوء، وماذا حل بالفن مع التاريخ لاحقًا؟

هذا أيضا من الأسئلة الهامة التي علينا توضيحها.

لقد لعب الفن دورًا هامًا في التاريخ، لدرجة أن هناك اتجاهًا كاملًا نشأ في العصر البرونزي، واستمر وجوده حتى عصرنا المعاصر

يقول هذا الاتجاه بأن التاريخ هو فن من الفنون، وبينما ظهر اتجاهًا آخر يقول،أن التأريخ علما وفنا في آن واحد.

و كباقي المفاهيم الاجتماعية بل ومن أكثرها جدلًا. فإن مفهوم التاريخ قد حاز على مساحة كبيرة من الفكر الإنساني، ومازال كذلك. وفي العصر الراهن طبعًا اختلف دور المؤرخ ومن هو المؤرخ؟ وسنأتي على ذلك في مكانه.

لقد سبق وأشرنا إلى أن الفن هو أبو التأريخ والفطرة الإنسانية أمه. وهذا معناه أنه مهما.

اختلفت التسميات وسواء كان التاريخ فنًا أو علمًا، فإن الفن هو المصدر الأساسي للتاريخ، وهو الحاجة الفطرية المحفزة التي دفعت الفنان القديم إلى القيام بهذا النشاط الإنساني ولكنه لم ينقطع عن أصوله، فما زال علم التاريخ فنًا من الفنون اللغوية في إحدى جوانبه، بحيث تصاغ الابحاث ولأحداث وتكتب بسياق روائي أدبي مبدع منسجم مع جماليات الفنون اللغوية وقواعدها الجمالية.

بل بإمكاننا القول أن أقدم المخطوطات التي بحوزتنا هي على شكل قصص وروايات ادبية من جلجامش إلى الأوذيسة. أو الإلياذة أو غيرها من المخطوطات القديمة. وحتى كتب الدين فهي في النهاية

مصاغة بطريقة أدب وفنون عصرها اللغوية.

لقد شكل التاريخ نفسه بخيوط الفن، وهذا ما أعطى التاريخ طابعًا جماليًا ممتعًا في قراءته سواء كنا مقتنعين بصحة هذه القصص والروايات أم لا. ولكننا في النهاية عدا عن العلم والمعرفة والتعلم تلبي حاجة روحية هامة للغاية، وهي المتعة والتذوق لهذا العمل الفني في النهاية فنحن ننظر لأي أثر تاريخي قديم نظرة المتذوق والمتمتع أكثر مما ننظر إليها نظرة الباحث عن الحقائق. ما عدا حالات المختصين في هذا المجال.

و رغم ذلك فإننا نجد في الغالب الباحثين والمختصين في هذا المجال هم من أكثر الناس شغفا وحبا وتذوقا لهذه الآثار الموروثة.

و لو ألقينا نظرة على تاريخ آثار الحضارات الفعلي فإننا في النهاية سنرى أن غالبية هذه الآثار هي عبارة عن قطع فنية رائعة، سواء كانت كتابة أو رسم أو نحت أو زخارف. وحتى الثياب والأدوات وغيرها لا تخلومن الجماليات وإضافة الرموز والقيم الفكرية والروحية وليس فقط الجمالية.

إن الفنان حين ينتج عملاً فنياً ما، إنما هو يؤرخ عصره، أدرك ذلك أو لم يدرك.

و نستطيع القول في الخلاصة لهذا العنوان.

ما الفن سوى جزءا أساسيا من نسيج التاريخ البشري

"التاريخ ثوبًا منسوجًا بخيوط الفن والزمن"

اتجاهات علم التاريخ

1. الاتجاهات الاساسية لعلم التاريخ

لقد شهد التاريخ الإنساني عبر مسيرته، وفي كافة مجالات العلوم الإنسانية اتجاهات مختلفة في الرؤية والمنهج والتفسير.

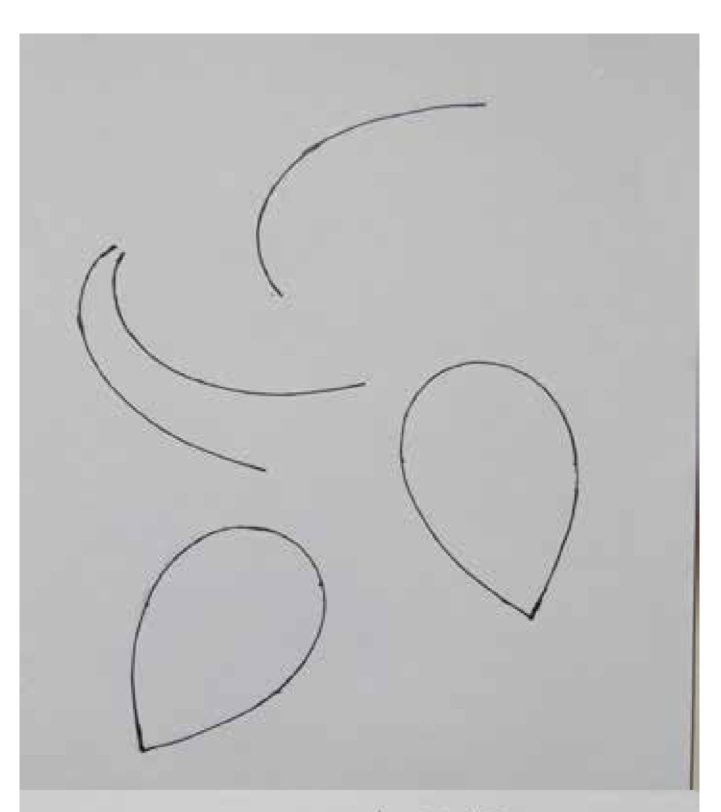
ومنذ فجر الحضارة الإنسانية ونشوء المفاهيم الفلسفية والدينية والسياسية وغيرها، انقسمت الرؤية وتعددت وكذلك في مجال علم التاريخ، ونحن ليس بصدد فرد هذه الاتجاهات وعرضها عبر تاريخ البشرية، فهذا يحتاج إلى مجلدات لا تعد. ولكننا معنيين بإلقاء نظرة عامة على الاتجاهات الأساسية دون الدخول في تفاصيل ومكونات كل اتجاه. فكل اتجاه من هذه الاتجاهات يحتوي على العديد من العناصر المكونة له، سواء من أفراد مفكرين باحثين أو أحزاب وجماعات.

و بإمكاننا تلخيص هذه الاتجاهات الاساسية المختلفة إلى ثلاثة أقسام هي:

الاتجاه القدري في التاريخ.

الاتجاه الانتقائي العبثي.

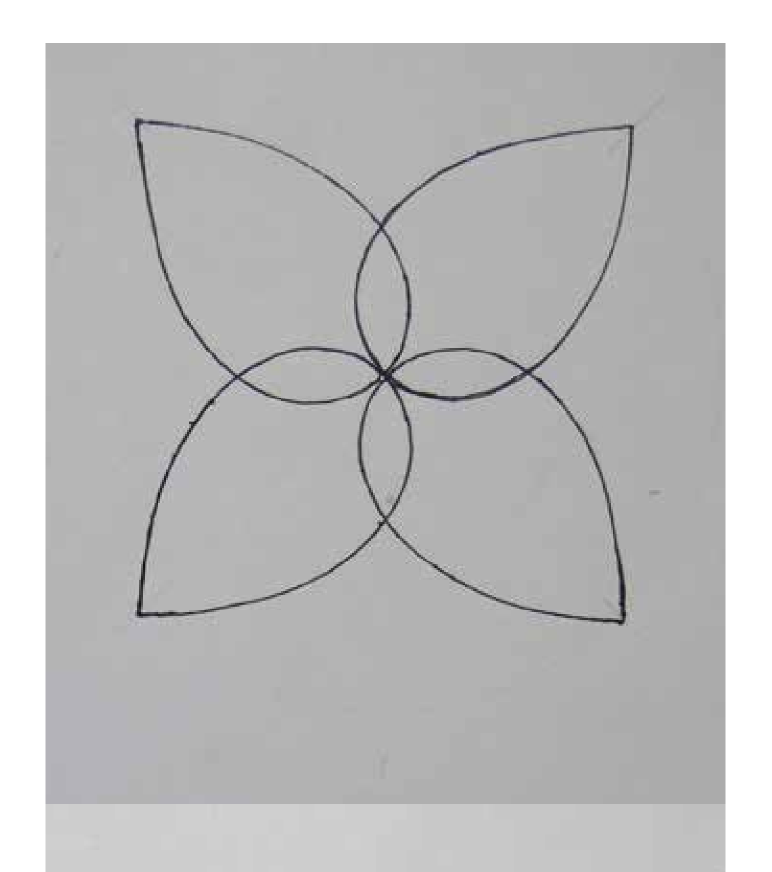
الاتجاه العلمي.



قطرة ماء

قطعة صغيرة من خط لولبي وفي حال
جمعنا هذه القطعة مع قطعة مشابهة
لها بشكل معاكس يستنتج لدينا شكل
شبيه بقطرة الماء.

دعنا نرى ماذا بإمكاننا أن نركب من
هذا الشكل
وهذا تطوراً مشابهاً لتطور التاريخ
وحركته التصاعدية وتفسيرها.



نلاحظ أننا حين جمعنا أربعة أشكال من
الشكل الذي نتج عن قطعة اللولب
نتج لدينا شكل زخرفي بسيط ولكنه أنتج
١٢ شكلاً . كل أربعة منها متشابهة و
متوازية .
والطبيعة كذلك والمجتمع البشري
وجميع ظواهر الحياة .

١٣

الحتمية التاريخية.

لقد ظهرت منذ البداية في التاريخ اتجاهًا ارتبط بالبعد الديني والسياسي والأدلجة في رؤية أن أحداث وصيرورة التاريخ البشري، هي مقدرة ومعدة مسبقا. وقد وصل البعض إلى الاعتقاد بأن هذه الأحداث مكتوبة أصلاً على لوح في السماء أو في مكان ما. وقد كتب عليها التاريخ البشري وأحداثه التي يجب أن تسير وفق ما كتب. لقد تعددت الاتجاهات في التفاصيل ولكن هناك الكثير من الأدلجات القديمة الدينية الطابع، والتي سادت بهذا الاتجاه، ومن أبرزها الإبراهيمية التوحيدية في الشرق الأوسط والمنطقة العربية، وقد تنوعت وتعددت الطوائف والأديان وتعددت أدبياتها ومفكريها وسارت باتجاه الصراع والتنافر والحروب فيما بينها على الرغم من اتفاقها على مبدأ القدرية هذا، واتفاقها على الكثير من القضايا،بما فيها وحدانية الآلهة.

وهناك اتجاهات كثيرة غيرها تؤمن بالقدرية ولكننا نكتفي هنا بذكر أبرز الأمثلة. ومازالت معاصرة حتى يومنا هذا.

إن هذا الاتجاه في تفسير العملية التاريخية والرؤية للعملية التاريخية وذلك بناء على الأدلجة السياسية التي ورثها هذا الاتجاه عن السلف وعلى الرغم من تجاوز علوم الطبيعة جميعها من فيزياء وكيمياء وأحياء وعلم آثار وعلم اجتماع. قد أثبتت بشكل قاطع غير قابل للتأويل المنطقي.

إن التاريخ ليس قدريًا، بل هو حركة لها خصوصيتها وقوانينها كباقي الظواهر الطبيعية. وإن الإنسان جزء من الطبيعة. لقد سيطر مفهوم

القدرية على علم التاريخ وتفسيره منذ نشوء الفكر الديني والسياسي والأدلجة. وقد أقيمت وانشأت أنظمة اجتماعية وسياسية كثيرًا على هذه النظرية.

ومن أكثرها وأشدها خطرًا على الإنسانية، هو الاتجاه الامبريالي الذي يسعى جاهدا لتعزيز هذه النظرية واستغلالها من أجل التأكيد والقول أن الإمبريالية هي قدر لا مفر منه، وأن استغلال الإنسان للإنسان، إنما هو مقدرًا إلهيًا. منحه الله لمن يخصهم من البشر. فسهل لهم سلطانهم وغطرستهم.

وصل الجنون بالبعض لأن يجعل مفاهيمه وسلطته مستمدة من سلطة الله وهي استمرار وامتداد لسلطانهم، بل وضع كلًا إلاه على هواه وفق حاجاته ومصالحه. وهكذا تحولت تلك القوانين الاستغلالية الجائرة إلى موروث مقدس يصنع البشر على أساسه، من أجل استعمالهم وتسهيل استغلالهم وتداولهم بين المستغلين إن اشكالية هذا الاتجاه تكمن في انقسامه على ذاته. وذلك كون جزء من هذا الاتجاه مناهضًا للإمبريالية والنظام الرأسمالي التقليدي. على الرغم من اتفاقه في مسألة القدرية مع الإمبريالية العالمية، وإن اختلف معها في قضية السلطة والسيادة وبعض قضايا الأدلجة الأخرى. إن إشكالية هذه الاتجاهات تكمن في تناقضها الحاد والصراع المحتدم في النهاية على تحقيق نفوذها السياسي وبناء مجتمع قدري قائم على أساس تحقيق مصالح هذه الاتجاهات وليس مصالح الشعب برمته.

إن إشكالية هذه الاتجاهات،أن بعضها يعاني من النظرة الشوفينية

التعصبية التي ورثها عبر الزمن وحركة التاريخ. إن إشكالية هذا الاتجاه تكمن في تعارضه وصراعه مع الإمبريالية على النفوذ والسلطة، وليس على قضايا في مفهوم السلطة والملكية. بحيث تعتبر من المقدسات والقدريات المقدرة للإنسان مسبقا عقائدية أساسية. فعقائديا في القضية الأساسية هم أصحاب نظرة ورؤية قدرية مشتركة.

فقد اختلطت هذه الاتجاهات وتنوعت، منها من غالا في القدرية ولم يترك للإنسان أي مخرج في حياته بينما ظهرت اتجاهات حاولت أن تكون أقل تطرفا وتركت للفرد مجالا ما،وهامشًا من الحرية والتفكير والخيار.

إن إشكالية هذا الاتجاه القدري المعادي للإمبريالية تكمن في كونه فكريًا وعقائديًا يلتقي والرؤية الإمبريالية وفي الوقت ذاته يلتقي مع البرامج النضالية للشعوب، وحركات التحرر. على الصعيد البرامجي والسياسي.

إن هذه الإشكالية المعقدة لدى هذا الاتجاه تجعل منه اتجاهًا متناقضًا مع ذاته ومنقسمًا على نفسه بحيث قدميه في مكان بينما فكريًا من الناحية الفلسفية والمعتقدات يحمل أفكار الاتجاه المعادي لحركة التاريخ والشعوب وهذا ما يجعل هذا الاتجاه متقلب في مواقفه دومًا هذا لا يعني طبعا بأن هذا الاتجاه غير معني بالتغير، ولكن وفق مصالحه وما يراه هو حصريا. وظهرة بكثرة في الفترة الأخيرة تشكيل عصابات ومليشيات مسلحة تابعة لهذه أو تلك من الجهات الفاعلة في الصراع العالمي.

في النهاية نستطيع القول باختصار، بأن القدرية هو اتجاه قديم في علم التاريخ، وقد نشأ كما أشرنا منذ القدم. ومنذ نشوء الفكر الديني والفلسفي ومازال هذا الإتجاه من الإتجاهات الأساسية في علم التاريخ.

2. الإتجاه العلمي وعلم التاريخ

منذ القدم ومنذ نشوء بداية الأفكار الفلسفية، وترافق ظهوره مع ظهور القدري، وكان من قدامى هذا الإتجاه عبر التاريخ ديمقريطس وسقراط وغيرهم من الفلاسفة والمفكرين القدامى الذين رءوا في التاريخ جوانب أخرى لم يلتفت إليها القدريين، وكان من أهمها أن العملية التاريخية ليست قدرًا محتومًا، وان هناك ظروف وقوانين لها دورها وتفعل فعلها في العملية التاريخية.

لقد انقسم هذا التيار مع الزمن، ونشأت منه عدة اتجاهات هي الأخرى منها ما هو متطرف وذو جمود عقائدي وفكري متكلس. هذا الإتجاه لم يختلف في طريقة تفكيره كثيرًا عن الاتجاه القدري، رغم اختلاف المنبع والأساس الفلسفي لهذا الإتجاه. فالإتجاه الأول المذكور قد اعتمد على قوة وراء الطبيعة تقرر سير التاريخ، وأن الإنسان عاجز تماما عن إحداث أي تغيير، فكل شيء مقدر سلفا لا مجال لتغييره بينما اعتمد الطرف الثاني المادي الراديكالي على أساس قوانين حركة المجتمع، والتي تصورها ووضعها موضع لطبيعة الخالصة. مما جعل هذا الاتجاه يقع في إشكاليات، من أهمها وقوعه في نوع من القدرية في النهاية. أما الإتجاه المتوازن فقد ظهر بشكله الواضح في

أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر، حيث ظهر بوضوح الكثير من المفكرين والباحثين في علم التاريخ اقتربوا أو كادوا أن يشكلوا إتجاهًا علميا متوازن في رؤية قدرية التاريخ وحتميته.

وعند العرب ظهر مفكرون ماديون مثل إبن خلدون والفارابي، بينما ساد المعتزلة وغيرهم من القدرين في الاتجاه الآخر «القدرية».

لقد ساد هذا الإتجاه القديم ذو التنازعات المادية عبر التاريخ منذ القدم، أي منذ نشوء الفكر الفلسفي والمنطقي. ورغم انقسامه إلى أكثر من تيار، أو إتجاه فكري إلا أنه في النهاية إتجاهًا يعتمد على رؤية مختلفة للتاريخ عن الإتجاه الأول سالف الذكر.

إن الإتجاه العلمي في تفسير التاريخ وفهمه، قد تبلور بوضوح أكثر بعد هيجل وفيورباخ وماركس وانجلس. بحيث شكلا في نظرتهما للعملية التاريخية نقله جديدة لم يقم بها أحد من الفلاسفة والمفكرين من قبلهم. فقد سحب أنجلز وماركس مفهوم قوانين الطبيعة العامة مثل قانون الوحدة والصراع والتراكمات الكمية والنوعية ونفي النفي. ليس هذا فحسب بل وأضافا على ذلك واثبتا عبر فهمها العلمي المادي للتاريخ. إن لعلمية التاريخية رغم وجود قوانين تحكمها وتضبط تطورها،إلا أنها قابلة لأن تقاد وتوجه. وأن هذه القيادة للعملية التاريخية يمكن أن تؤدي إلى تغيير النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي،فيما لو توفرت الظروف المناسبة لهذه العملية.

لقد اختلفت وتعددت الإتجاهات المادية، والتي أدعت جميعها العلمية ولكنها لم تتفق على فهم موحد لعملية التاريخ وكيفية بناء المجتمع

الحديث وأسس بنائه وقوانين الملكية وغيرها..

لذا بإمكاننا القول أن الإتجاه العلمي المادي في التاريخ لم يكن متجانسا تمامًا. فهناك الراديكالية المتطرفة والمادية المعتدلة. وهناك اتجاهًا مهادنًا ومتذبذبًا مترددًا في، موقفه من العملية التاريخية.

لقد شكل الأحزاب والحركات اليسارية في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتى منتصفه نموذجًا واضحًا لهذه التناقضات. وهناك اتجاها علمياً ماديًا غير منتمي لأدلجة ما، اطلق عليه الاتجاه الالحادي وذلك بسبب رفضهم للقدرية التي تفرضها مفاهيم الأنظمة السياسية ولاستعمارية. وتبقى إشكالية هذا التيار في عفويته المفرطة وعدم وجود إطار ما يجمع هذا التيار. وهو أكثر التيارات عمومية وبساطة، الشيء الوحيد الذي يجمع هؤلاء الناس هو موقفهم من قدرية التاريخ، بالإضافة الى طوقهم للحرية والانفتاح.

3. الحتمية التاريخية:

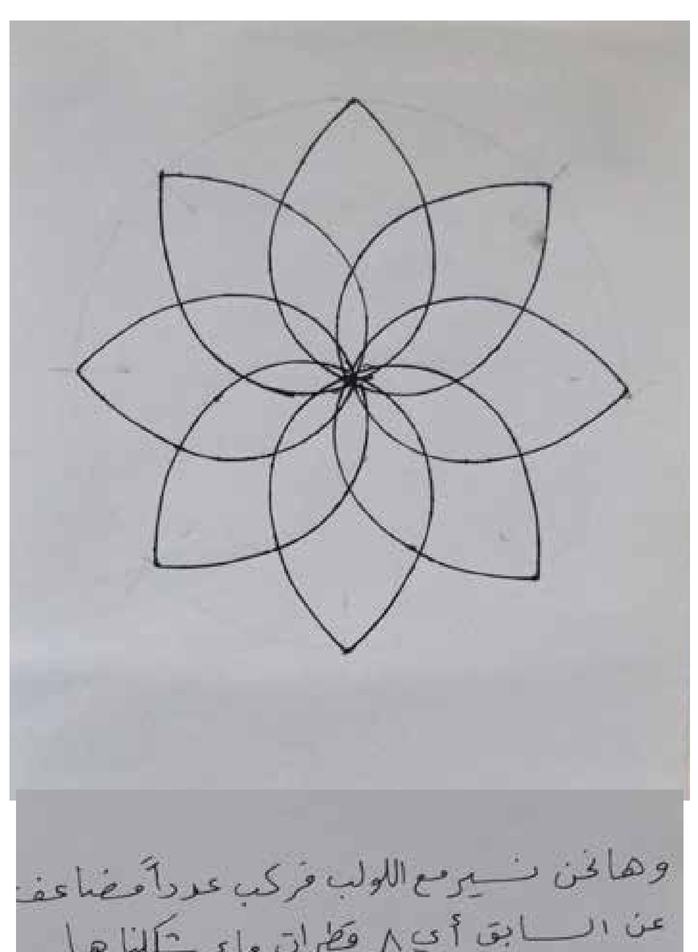
لقد سبق ومررنا باختصار شديد على مفهوم الحتمية التاريخية، ولكن في جانب فهم القدرية ووجود المادية كاتجاه مغايرًا في تفسير التاريخ. أن الفهم الجامد والمتكلس لقوانين التطور الاجتماعي والتاريخي يجعل من هذه الرؤية والافكار وكأنها موازية للقدرية على الرغم من غياب القاسم الفلسفي وتعارضه فيما بينهما. القدرية تعتمد على ان التاريخ مقدر سلفًا أو أن التاريخ محكومًا بشكل مطلق للقوانين التاريخية لحركة التاريخ مما يعني وقوعها في فهم القدرية ولكن بشكل

آخر. إن ما يهمنا نحن في النهاية لا هذا ولا ذاك إن هدفنا هنا فقط فهم وتوضيح هذه الاتجاهات وتطورها الفكري والتاريخي، أي أن الفهم المتوازن للعملية التاريخية هو الطريق الأقرب لفهمها وتطورها بل وقيادتها نحو الطريق الذي يمكنه ان يوصل المرحلة المعاشية إلى بر الأمان بأقل الخسائر الممكنة. وهذا هو الجانب الأهم للفهم العلمي المتوازن لمفهوم التاريخ برمته.

4. الانتقائية في علم التاريخ:

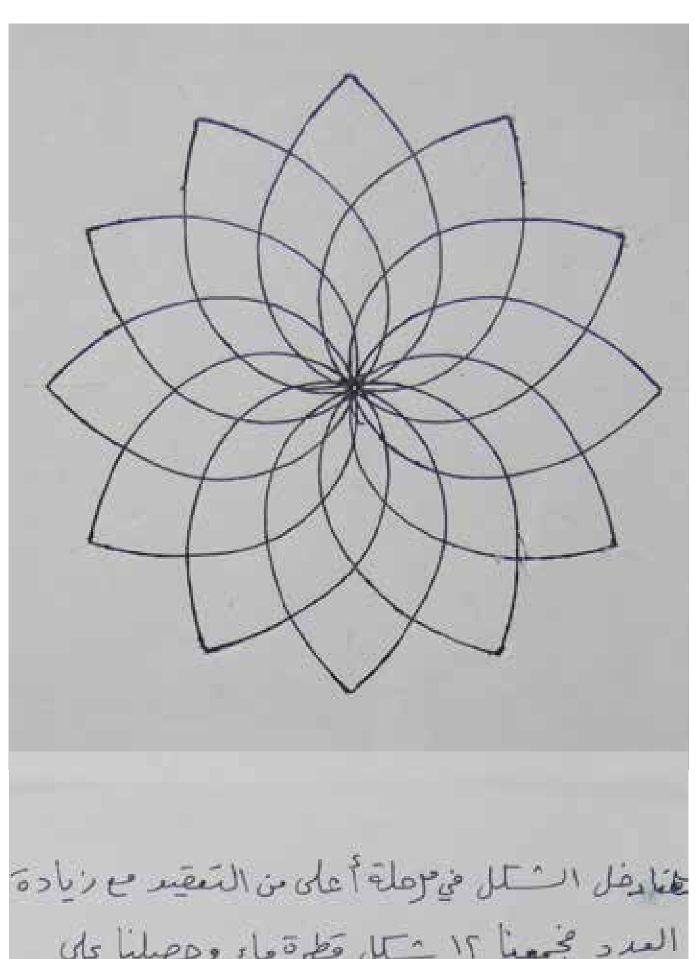
كما في الفلسفة وفي مجالات علوم الأناسة جميعها يبقى مفهوم القوانين وفعلها نسبياً ومختلفًا من مرحلة اجتماعية إلى أخرى ومن عصر إلى أخر ومن ثقافة إلى أخرى. وكما ظهرت اتجاهات قدرية واتجاهات مادية جامدة واتجاهات علمية وقد نشأت اتجاهات انتقائية في التاريخ، بحيث انتقى هذا الاتجاه ما يناسبه وما يتلاءم مع رؤيته ومصالحه في قضايًا التاريخ وقد أخذ هذا الاتجاه أفكارً من أكثر من أتجاه بما فيها الإتجاهات القدرية والحتمية وغيرها بشيء من العلمية ليشكل أفكاره ورؤيته للتاريخ محاولًا بناء وجهة نظر حول التاريخ وتلائم افكاره ومصالحه. لقد لعبت الطبقية الاقتصادية والاجتماعية دورًا كبيرًا في تشكل هذا الإتجاه. أن هذا الإتجاه الأخير قد لا يكون نشأ منذ القدم كغيره من الاتجاهات ولكنه في النهاية عبر عن رؤية انتقائية لفهم العملية التاريخية مما جعل هذا غير مؤهل وغير قادر على فهم الحقائق الموضوعية وتفسيرها. وعاجزًا أيضًا عن قيادة العملية الاجتماعية،

خلاصة هذا العنوان أن كافت النظريات والمفاهيم حول عملية التاريخ هي في النهاية ليس بمعزل عن قضايا المجتمع الاساسية كالاقتصاد و النظام السياسي والاجتماعي والحقوقي ولمفاهيمي والأخلاقي وغيره، بل في نهاية المطاف يهدف كل طرف وكل تيار من هذه التيارات إلى الوصول إلى تغيير معين في التاريخ. يبني عليه نظامه الاجتماعي الذي طمح إليه والمرتبط أصلاً بالرؤية الفلسفية والسياسية والدينية.. الخ. إن الاختلافات الأهم هي ليس في تغيير التاريخ بل تكمن في المراد بناءه على هذا التفسير للتاريخ.



وها نحن نسير مع اللولب فنركب عدداً مضاعفاً
عن السابق أي ٨ قطرات ماء شكلنا ها
بتوزيع دائري متوازي في المسافات .
لقد نتج لدينا من هذا التركيب ٣٢ شكل. كل
ثمانية منها متشابهة وهي جميعها مختلفة عن
السابق ماعدا شكل النقطة الأساسي ٨
فتصبح ٤٠ شكل.

١٤



هنا دخل الشكل في مرحلة أعلى من التعقيد مع زيادة العدد فجمعنا ١٢ شكل قطرة ماء وحصلنا على التالي ٦٠ شكل متماسكة في شكل زخرفي واحد يضاف إليها ١٢ الأصلية لتصبح ٧٢.

ونلاحظ أن الأشكال جميعها قد تطورت وتغيرت ماعدا الشكل الأصل القطرة بقي في هيكله على حاله ولكنه توزع وتقسم مشكلاً أشكالاً جديدة.

١٥

علم المنطق والتاريخ

تعريف علم المنطق:

علم المنطق هو علم قديم ظهر مع ظهور اللغة والفلسفة والتأريخ وهو علم يبحث في القواعد العامة للتفكير البشري السليم وجاء ليساعد العلماء والباحثين على فهم وتأويل التاريخ وتفسيره تفسيرًا منطقيًا يقبله العقل وعلى الرغم من وجود الفكر والمنطق في جميع الحضارات القديمة ما قبل طروادة وأثينا وروما لقد عرف المجتمع الإنساني الفلسفة والدين والمنطق قبل هذا النشؤ المزعوم. إن هذه الحضارات التي غزت غيرها من أمم وأخضعتها بقوة السلاح والحرب. بل واضحًا في التاريخ سلوك الأمم التي غزت غيرها وبادرتها با لحروب. فقد تم القضاء حتى على لغات تلك الشعوب، والتاريخ شاهدًا على ذلك. فقد أعتاد الإغريق وروما ان يطلقوا لقب «بربري.» أو «بربر» على كافة الشعوب التي لا تنطق لغتهم، وهذه الكلمة معناها الأصلي «الهمجية». أو الشعوب المتوحشة وقد اطلقوا ذلك أيضًا على شعب قرطاج الذي كان من الحضارات الافريقية القديمة والعرقية والمتطورة في زمانها سواء أن كان ثقافيًا، لغويًا، فنيًا أو معماريًا وغيره. لقد كانت قرطاج من الممالك الهامة جدًا الواقعة على شواطئ المتوسط. ورغم ذلك فقد أطلق اليونانيون والرومان على ذلك الشعب الإفريقي «برير» أي المتوحشين. ومازال حتى يومنا هذا هنالك الكثر من علماء الآثار والتاريخ يتحدثون عن تلك أحرب التي خاضها «حني بعل» مع الرومان في شمال أفريقيا الذي كان تعداده خمسين ألف محارب بعثتها روما

إلى شمال أفريقيا، فهل كانوا جنود الرومان خمسين ألف جندي روماني بكامل عتادهم وعدتهم وأسلحتهم في نزهة صيفية في ربوع شمال أفريقيا. لقد كانت حملة استعمارية قضى عليها «أمازيغ» قرطاج وكان هذا من حقهم الدفاع عن بلادهم وممتلكاتهم، ثم ماذا لو هزم حني بعل في حينها هل كان الرومان سيعتقون شعب قرطاج أم يستعبدونه بعد تدمير وهدم مدينته وأخذ ما تبقى منهم عبيدًا وأسرى. ثم بعد هذه الواقعة بعدة سنوات يقال عشرة ويقال أكثر بقليل، هاجم الرمان قرطاجة وأحرقوها ودمروها على بكرة أبيها. إننا مع الأسف رغم كل ما أكتشفه العلم وكل ما أثبت حول أن العنصر البشري واحد في كافة أنحاء العالم، وأن لاوجود للأفضلية بين شعب وشعب أخر، بل أن التمايز فقط مقتصرًا على الأفراد من جميع الأمم، وليس من أمة الى أمة فالكل أمة مبدعين ومفكرين وعلماء وفلاسفة كلًا منهم يحب عصره ومرحلته ونظامه السياسي. إلى أن هناك الكثير من المفكرين المعاصرين سواء في الغرب أو أماكن أخرى من العالم مازالوا يحملون وينظرون لآراء متخلفة وشوفينية وغير منطقية أو علمية. بل وجهات نظر استعمارية موروثة من القدم ومازال الكثيرين ينظرون للأدلجة التي عملوا بها او ينظرون أليها نظرة مقدسة. لقد سجل المؤرخين الغربيين التاريخ الفلسفي والفكري على هواهم وقاموا بإهمال بل وإلغاء الاخر كفكر وثقافة ونظامًا كان متناغمًا مع طبيعته وحياتة وبيئتة. لهذا أصبحنا نحن اليوم بسبب استنادنا على هذا الموروث الا إنساني فقط نعتمد على ما فصلوه لنا

لنرتديه ولم نأت بشيء جديد بعد ذلك سوى التقليد وأتباع ما صاغه مفكرين تلك الأنظمة الاستعمار المنقرضة. لهذا لا نجد أي مراجع أو قل ما نجد مراجع فعلية تاريخية لغير تلك الثقافات واللغات.

تاريخ هذا العلم ونشأته التقليدية

لقد كان سقراط وأفلاطون من أوائل رواد علم المنطق في اليونان القديم، وقد أهتم العرب بعلم التاريخ والفلسفة والمنطق وترجموا الكثير من الإنتاج الفكري اليوناني. لقد تأثر الفلاسفة العرب والمسلمين بهذا الفكر لدرجة أننا نجد روح هذا المنطق والفكر في أفكار الفلاسفة العرب. وقد اهتم أبن خلدون وأبن سيناء وأبن رشد بالفلسفة اليونانية. وقد تأثر أبن خلدون بهذه الأفكار لدرجة أنه قد أطلق على أهل البادية وكافة البشر الذي لا تعيش في مباني حجرية كالرومان واليونان بأنهم همج وأعداء الحضارة، وأنهم اذا عاشوا في مدنًا حضارية كما هو يسميها فإنهم سوف يشيعون فيها الفوضى والفساد. إن هذا المنطق لدى أبن خلدون حول فهم الشعوب ومسألة الحضارة نابعًا من تأثره بتلك الآراء التعصبية لفلاسفة تلك الحضارات التي درسها ابن خلدون وتأثر بها تأثراً غير عادي. أن المباني الحجرية والقلاع والقصور في ذلك العصر ليس إلا دليلًا على مدى إستغلال الإنسان للإنسان بطريقة همجية مرعبة وهذا في المقاييس الإنسانية والقيم وأخلاق الحضارات والشعوب أمرًا شائن وعارًا في ألنهاية وليس نخرًا ومدعاة للتفاخر والعظمة.

لقد عمل الفلاسفة العرب على دراسة المنطق اليوناني في التاريخ والفلسفة وعملوا على بناء نظامهم الفكري الخاص بحسب معتقداتهم وثقافتهم.

وقد استخدموا علم المنطق لتأويل وتفسير الأحداث التاريخية السالفة وقد صاغوها وبحثوا بها على أساس علم المنطق ومما لا شكل فيه إن العرب كانوا مبهورين بالعمارة والقلاع والحصون وقد تبعوا تلك الحضارات في خط العمارة ولم يتبعو نمط العراق القديم وبعض مناطق شمال أفريقيا ومصر القديمة في استعمال الطين والحجارة والخشب كمادة أساسية للبناء والعمران وقد تركت لنا حضارات العراق القديم الكثير من التحف والمباني ومن ضمنها كأمثال نطرحه ثور بابل المجنح الذي بني من الطين والحجارة. لقد تأثر عرب الشام والجزيرة بالحضارة والعمارة اليونانية والرومانية وألبيزنطية وقد نظروا إليها بعين التقدير والأهمية لحصانتها وقدرتها على مقاومة الزمن والسنين، وقد ذكرنا هذا فقط مثالًا لتأكيد تأثر العرب بالحضارات المجاورة لهم بل والغازية لبلادهم كبقية الشعوب التي تخضع للاستغلال والاستعمار من قبل حضارات أخرى.

ليس هذا فحسب بل أيضًا أن الشعوب المتجاورة تتأثر بثقافات بعضها البعض في كافة المجالات وحتى اللغة وانماطها ومفرداتها، فهناك الكثير من الكلمات التي تدخل إلى الحضارات من بعض الحضارات المجاورة لها أو التي على احتكاك ببعضها البعض. لقد شكل علم المنطق أساسًا هامًا في تشكيل الفكر والوعي العربي والأسلوب، ولو نظرنا

الى الكم الهائل الذي أنتجه المسلمين والعرب من مواد وكتابات في علم التاريخ والمنطق، سنجد أن هناك الأف مؤلفة من الكتب والمواد التي تدور جميعها في علم التاريخ والمنطق. إن علم المنطق في النهاية هو الأساس الذي أعتمد عليه المسلمين والعرب لدراسة تاريخهم وتدوينه وتأويله.

الحضارات القديمة وعلم المنطق:

لقد عرف قدماء بابل وأشور والسامرين الفلسفة والمنطق ولكنهم لم يخوضوا كثيرًا في علم المنطق وذلك لعدم حاجتهم لتأويل التاريخ السالف كما حصل في المراحل المتقدمة من تاريخ تطور البشرية الأخير. وعلى الرغم من قلة الأثر والوثائق التي تثبت أن الشعوب السامرية والصين القديم والهند وفي الكثير من الحضارات القديمة قد عرفت الفكر والفلسفة وعلوم اللغة والهندسة والعمارة والرياضيات «وبدون ذلك» لما تمكنت من إقامة حضارات متطورة بهذا الشكل الذي مازال حتى اليوم صحيحًا ومدهشًا للعلماء وباحثين.

الأديان وعلم المنطق:

لقد نشأت الأديان بشكلها التقليدي الذي وصلناه وعرفناه اليوم منذ فجر تاريخ البشرية، ولكنها لم تكن بالشكل التي هي عليه اليوم أو بالشكل الذي وضعت وكتبت فيه تلك الأديان التي نعرفها اليوم لقد سبقت هذه الأديان التي نعرفها اليوم ردحا طويلاً من القرون

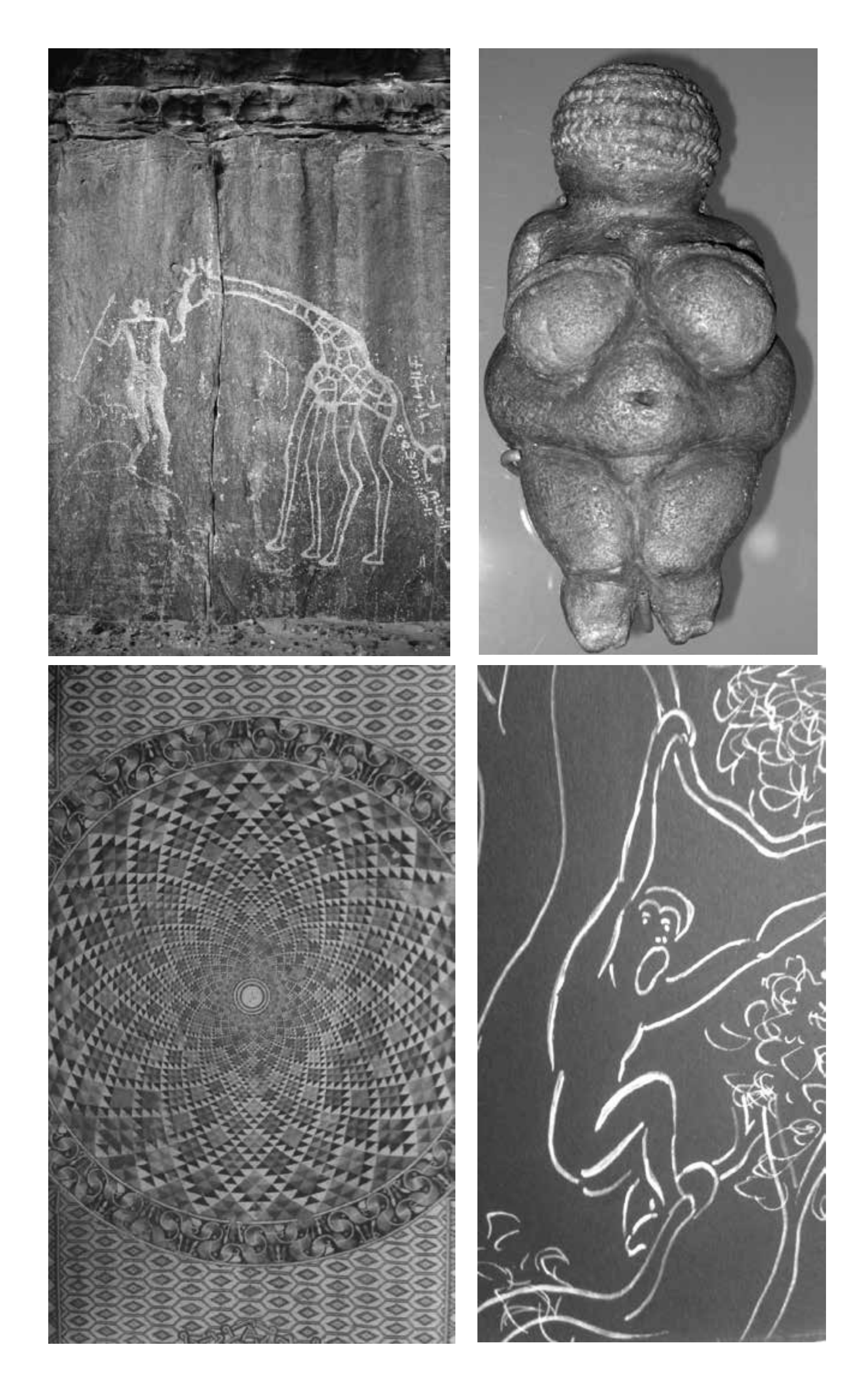
السالفة الضاربة عميقًا في فجر نشوء الإنسان ووعيه، لقد سخرت الأديان الفلسفة وعلم المنطق وعلم التاريخ بحد ذاته إلى رؤيتها وقد اشتغل الكثيرين من الكهنة ورجال الدين بعلوم المنطق والتاريخ، ولكن ذلك في غياب أي وجهة محايدة لفهم التاريخ، بل سخر المنطق والفلسفة من أجل تأويل أحداث التاريخ وتفسيرها.

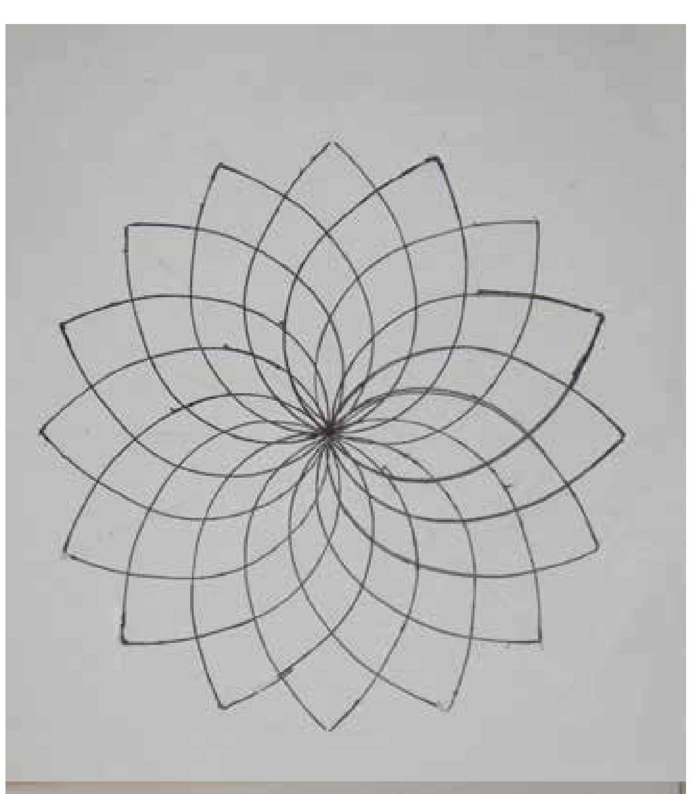
وربما وصل الأمر إلى تزوير ولوي الأحداث بما ينسجم مع الفكرة الدينية المرادة حتى ولو كانت غير منطقية فقد سخروا الحدث نفسه وأعادوا صياغته من جديد ليتلاءم مع المصالح العليا لهذه الأدلجات التي أصبحت تحكم سيطرتها على الدين بل تحول الدين في الكثير من الأحيان إلى أدلجة واضحة لا غبار عليها من ناحية إطلاق تعبير أدلجة على هذه الأديان.

لقد تم أدلجة الدين في البداية وثم أنتقل ذلك تلقائيًا إلى علم التاريخ والمنطق وهكذا أصبح التاريخ منذ نشأته مفهومًا مؤدلجاً وبعيدًا كل البعد عن الحياد والأمثلة لاتعد ولا تحصى فيما لو أردنا ذلك. لقد بدأت أدلجة وتسيس الدين منذ بابل القديمة والصين والهند وأفريقيا قبل نشوء الإتجاه الإبراهيمي في الأديان التي نعرفها حتى يومنا هذا. فالثور المجنح رمزًا عقائديًا، وغيره من التماثيل والاثر التي تجده يعبر عن فهم تلك الثقافات لما تريده وما تقصده في الكثير من جوانب حياتها العقائدية والدينية. لقد صنع النمرود الآلهة وطلب بل أجبر الناس على تقديسها وتبجيلها لقد صنع الحكام والملوك القدامى اللاإه على هواهم وبحسب مصالحهم لقد خضع الدين للفكر والمصالح السياسية

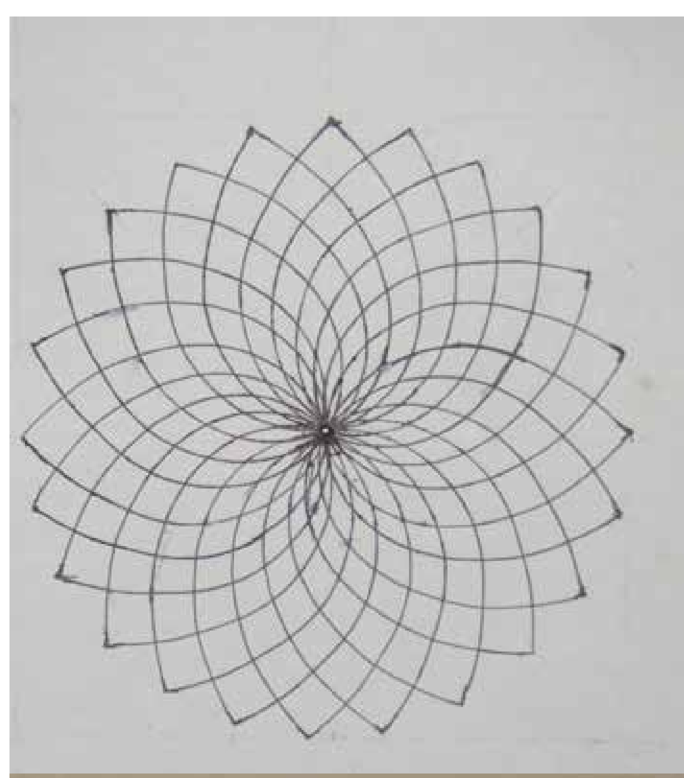
والسلطوية ليس في بداية نشأته وبدايات المفاهيم الفلسفية عن الكون والأنسان. لقد كانت تلك المفاهيم والبذور للفلسفة والدين قد نشأة في أحشاء تلك المجتمعات الطبيعية القديمة، فقد كانت مفاهيم الأنسان في حينها ساذجة وغير ناضجة بما يكفي ولكن مع تطور البنية الاقتصادية والاجتماعية ولمفاهيمية للمجتمع نشأة مع هذه السلطة مفاهيمها التي جعلت من المفاهيم الدينية والفكرية وبما في ذلك علم التاريخ والمنطق اداة لتعزيز سلطتها ونفوذها فظهر التمرد في العراق القديم وكذلك في مصر حيث الفراعنة كانوا يعتبرون أنفسهم الهة.

لقد تبع اليونان وقلدوا ذلك حيث كان الاسكندر يعتبر نفسه إلهًا وكذلك في روما فقد أصبح القيصر إلهًا أيضًا. كان ذلك كله تقليدًا لما سبقهم من حضارات في ذلك، لقد سخر السلاطين علم المنطق والتاريخ لا أهوائهم منذ البدء وقد أستمر ذلك التاريخ منتقلًا من الحضارات القديمة جدًا إلى الأكثر تقدمًا وتوارثت الأمم هذه الثقافة حتى يومنا هذا، فما زال الدين متمسكًا ومستفيدًا من علم المنطق لتفسير التاريخ وتأويل أهدافه رغم وضوح عدم صلاحية هذه الطريقة في تفسير التاريخ. وقد أتينا على ذلك في فصول سابقة، لقد خضع علم المنطق عبر التاريخ ومازال كذلك للأهواء والمصالح الأساسية للطبقة السياسية الحاكمة. لقد استعملت كافة اتجاهات علم التاريخ علم المنطق من أجل صياغة التاريخ بل ووضعته في سياقًا يساعدها على السيطرة على الأحداث بقوة غيبية خارقة بغض النظر عن طبيعة ألقوى سواء كانت ميتافيزيقية أو قوى الطبيعة ذاتها.





وها نحن نسير ونركب شكلاً في ١٦ قطرة ماء.
وقد حصلنا على ٩٦ شكل متداخل منسجم في
قطعة زخرفية واحدة مع ستة أنماط جديدة
من الأشكال المنسجمة والمتشابهة.
ويضاف عليها ١٦ الأصل = ١١٢
لقد انتقل الشكل إلى مستوى عال من التعقيد.
وكلما ارتفعنا في زيادة العدد زاد التعقيد
وتنوعت الأشكال.



أرضية الحمام
قصر هشام فلسطين

لقد ركبنا شكل قطرة الماء حتى وصلنا به إلى
عدد ٢٤ وهذا الشكل ذاته وبعدده الأربعة
والعشرين قطرة ماء كما أسميناه موجود في
قطر يزيد من ٥ أمتار في وسط قصر هشام
أرضية الفسيفساء الشهيرة .

لقد نتج عن هذا التركيب لـ ٢٤ قطعة ما يلي
٢١٦ شكل جديد . شكل جديد + ٢٤
الشكل القديم أي قطرة الماء فهو قطعتين
ومحتوي للأشكال الأخرى وهي مبنية على
أساسه .

لقد وصلنا على ٢٤٠ شكل حين قمنا بتركيب
٢٤ قطرة ماء بطريقة معينة .

هكذا هي الطبيعة والتاريخ والإنسان

١٧

«الفصل الثالث»

« نحن والتاريخ »

1. المرحله البدائية الأولى ما قبل التاريخ:

لقل عاش الإنسان حياته الجنينية كإنسان في أحشاء الطبيعة كباقي الكائنات ولم يختلف عنها في شيء سوى خصوصيته الجينية التي تميزه مثله مثل أي كائن حي كبقية الكائنات وتطورت مسيرته عبر التاريخ كباقي الكائنات الأخرى. وقد أثبت علم الآثار أن الأنسان منذ القدم قد أمتاز بتركيبة جينية قابلة للتغير عبر التفاضل، وكان الأنسان يعيش حياته في جماعات صغيرة تعتمد على الأم. وكما في حالة الفيلة فإن الإنسان يستمر زمناً طويلاً حتى يصل إلى البلوغ والقدرة على الإعتماد على الذات بدون مساعدة ورعاية الآخرين، وخاصة في حياة الطبيعية الأولى التي كان الإنسان فيها مازال في مرحلة جنينية من نشؤه الإنساني. لقد لعبت الظروف الصعبة التي عاشها الإنسان دوراً كبيراً في تطوره ونشوءه ولم يكن الإنسان في حينها قادر على تفسير كل ما يدور حوله سوى بطريقة غريزية محضة كباقي الكائنات. في الوقت الذي كان فيه الإنسان لا يملك دماغاً متطوراً مثل الإنسان الحالي او حتى كالإنسان الواعي المثقف.

إن الوعي هو المرحلة الأهم في حياة الأنسان ونشؤه ولكن هذا الوعي

لم يكن متوفراً لدى الإنسان في حينها ولهذا كان الأنسان ضعيفًا أمام عوامل الطبيعة وجبروتها. لم تختلف حاجات الإنسان في الأمن والغذاء والمأوى من أجل إستمرار البقاء ولقد أثبتت علوم الدماغ والتشريح الحديث. أن الإنسان لم يكن يمتلك دماغًا متطورًا في حينها حيث كان القسم الأمامي للدماغ صغير الحجم. لقد تطور الإنسان عبر التاريخ بسبب التأقلم والقدرة على مشاركة الآخرين في الحياة وتقاسم الطعام والمأوى والعلاقات. لقد لعبت الظروف الصعبة دورًا هامًا في نشوء وتشكل هذا الوعي الإنساني. فليس المشاركة في تقاسم الغذاء وتوفير الحماية وحدها لعبة دورًا حاسمًا في تطور الأنسان. فقد لعبت صعوبة وقساوة الظروف دورًا مهمًا في تطور الوعي ونشوءه.

وقد عاش البشر الأوائل حياة مرتحلة معتمدة على مكان توفر الأمن والغذاء والحماية ولم يكن الإنسان مستقرًا بعد في حياته. ولكنه كائنًا لا يعيش منفردًا، إن الإنسان كالفيلة ولقرود وبعض الكائنات التي تعيش في جماعات.

يستغرق وقتًا طويلًا حتى البلوغ والاعتماد على الذات، وهذا أدى إلى تشكل الجماعة الأولى بناء على عدة أجيال من البشر تعيش في جماعات صغيرة تعتمد على الأنثى ورعايتها للصغار، وعند قدوم صغار اخرين تساعد بقية الجماعة في الحفاظ على الأصغر عمرًا ورعايتهم.

سواء من حيث المشاركة وتقاسم الغذاء والأمن وغيره من مقومات الحياة. لقد كانت لمرأة هي أول من حصل على هذا التطور في الفص الدماغي الأمامي للإنسان وهو المسؤول عن عملية التجديد والتفكير

الأكثر تقدمًا بحيث لمراة هي صاحبة الفضل في هذا التطور الجيني الإنساني الذي نقلته لأبنائها عبر الجينات الوراثية وهكذا توارثت الأجيال هذه النقلة النوعية في الدماغ وانتقلت من الانثى الام الى الاجيال كافة.

وقد تم إثبات هذه البحوث خلال القرن الماضي. ومازالت الاكتشافات العلمية متواصلة وسيتم حسم هذه القضية بالكامل مع مرور الزمن وتطور الاكتشافات العلمية.

إن الوعي البشري والذكاء لا علاقة له بحجم الدماغ بل بتركيب الدماغ نفسه، وقد أثبت علماء هذا المجال ان تعقيد وتركيب الدماغ هو اللاعب الأساسي في تحديد هذه المسالة.

فمساحة التخزين والادراك والتجريد لا علاقة لها بحجم الدماغ وإلا لكانت الفيلة اذكى من الإنسان بدرجة كبيرة.

وكذلك في البشر فقد اعتقد العلماء في القرون الوسطى والمتأخرة أن الذكاء والعبقرية لها علاقة بحجم الدماغ وأن الدماغ كلما كان أكبر لدى الفرد كلما زاد ذكائه، ولكن مع وجود الدراسات المتقدمة في القرن العشرين بعد النصف الأول من القرن أثبت علم تشريح الدماغ اذ سمح بإجراء تشريح ودراسة على أدمغة بعض العلماء والمفكرين العباقرة وبعض القادة ونذكر أمثلة على ذلك: لينين قائد الثورة الاشتراكية ضمن هذه الأدمغة التي تم دراستها والتدقيق بها.

وقد اكتشف بعد دراسة الكثير من الأدمغة أن الذكاء ونسبته لا

علاقة لها اطلاقا بحجم الدماغ بل إن الدماغ تماما كبصمة اليد أو العين، أي أن لكلًا خصوصية وتركيب دماغه ولا تشابه في تجاعيد الدماغ وتركيبها الداخلي، فكلًا له تفاصيل دماغية وتعقيدات خاصة به، وأن هذه التعقيدات والتركيب الداخلي هو العامل الأهم في تكوين دماغ الإنسان.

وهذا معناه أن الإنسان لا يمكن أن يكون نسخًا أو مطابقًا للأخر حتى في حالات التوائم في البويضة الانشطارية. فمهما بلغت درجة التشابه في الشكل الخارجي هناك الفوارق المزاجية والذهنية والدماغية والعضوية فهذه جميعها تمامًا كبصمة اليد أو بصمة العين من الخصوصية الفردية التي لا تتكرر. هذا ما يجعلنا نقع في حيرة وعدم القدرة على الاستيعاب فيما لو تخيلنا عدد البشرية ومقدار هذا التنوع الفريد.

وفي الطبيعة لو تخلينا أي نوع من الأشجار أو النباتات وتفحصنا أوراقها بدقة فقد تحمل الشجرة عشرات الآلاف من الأوراق دون ان تتكرر منها أي واحدة تطابق الأخرى رغم وجود التشابه الكبير بينهما. لقد شكلت هذه المرحلة الأساس والتربة لتي نما فيها الإنسان كفرد وجماعة ووعي.

لقد عاش الإنسان مرحلته تلك مرحلة الأمومة حيث كان مجتمعًا طبيعيًا لا سلطة به لأحد على أحد بل الحاجة والأمن والغذاء شكل الأساس لهذه الجماعة، ولقرود وبعض الكائنات التي تعيش في جماعات وهي جماعة حرة تربطها علاقة الأبناء الصغار بالأمهات

بالدرجة الأساسية لسنوات طويلة. وتتعاون الأجيال والأعمار داخل هذه الجماعة بحكم استمرار الإنسان لفترة طويلة حتى يتمكن من الاعتماد على نفسه.

لقد كانت المرأة أساس هذا التجمع بل والأكثر من ذلك انها أم الجميع وقد رعت الجميع وخصتهم برعايتها. وكان ذلك نابع من طبيعتها أصلاً ولهذا تطور لديها هذا الجزء من الدماغ الواقع في الفص الأمامي للدماغ البشري، ولهذا لم تكن سلطة الأم سلطة سياسية بل سلطة أمومية قائمة على الرعاية والأمن والمصلحة للصغار والحفاظ على حياتهم حتى سن البلوغ بعيداً عن العنف السلطوي أو الهيمنة لقد انتزعت المرأة هذه السلطة والاحترام والتقدير بحكم الحاجة الموضوعية للجماعة واستمرارها في البقاء.

وهذا هو الأساس الكفيل بالحفاظ على استمرار الجماعة واكمال مسار الطبيعة والحياة.

إن شيء من هذه العلاقات البشرية قد علق عبر الآف السنين ووصل إلى يومنا هذا وأكبر مثال على ذلك أن اتباع اليهودية يعتمدون على الأم في النسب الاسري، والأم هي أساس تحديد النسب.

هذا لا يعني طبعاً أن المرأة في الديانة اليهودية لها تبجيلاً بما تستحق، فالديانة اليهودية أيضًا ديانة ذكورية كباقي الاديان الإبراهيمية، فلا نبوءة للمرأة في الاتجاه الإبراهيمي في الأديان.

إن المرأة في الأديان الإبراهيمية لا سلطة لها ولا سلطان بل هناك

الكثير من القضايا محرمة وممنوعة على المرأة بل وفي بعض الظروف مثل الوضع والحيض عند لمرأة فإنها تعتبر نجسة ونكرة وعليها الاعتزال ويتم عزلها فعلاً في القديم من الزمان، وحتى اليوم أحيانًا في بعض الجماعات المتمسكة بممارسة عقائدها كما ورثتها دون أي محاولة أو تدقيق أو تأقلم مع العصر واستمرار الحياة.

لقد كانت المرأة في مرحلة ما قبل التاريخ ومئات الآلاف من السنين هي الأساس وهي الحاضن والمنظم لحياة الجماعة وبهذا هي الراعية الحقيقية لهذه الجماعة وهي القائد الفعلي والمسؤول عن استمرار هذه الجماعة. لقد كانت البشرية الأمومية تعيش حياة ترحالا في الغالب. وذلك لسببين هامين، أولهما أن:حياة البشر كانت معتمدة على الطبيعة مباشرة ولا تخزين ولا من يخزنون فقط استهلاك وترحال. بحيث على الجماعة البحث عن الطعام دومًا وجنية من الطبيعة.

لم يكن في تلك المرحلة مفهوم الملكية بل تُأخذ الحاجة من الطبيعة ويبقى الفائض في مكانة ولا من أحد مسيطرًا أو مالك له. في هذه المرحلة المذكورة تناقل التأريخ عبر الاجيال مشافهة وليس من وسيلة أخرى لذلك التناقل بين الجماعات والأفراد سوى تلك اللغة المحكية أو الإشارية المتفق عليها.

وهكذا تم تناقل الخبرات عبر الأم القائدة إلى أبناءها وأفراد الجماعة الاصغر التي بحاجة الى نقل الخبرات والتعلم للاستمرار في الحياة والبقاء. وهنا لم يكن التاريخ مكتوب بل كان تاريخاَ محكياَ متناقلاً عبر الأجيال.

لقد شكلت الأنثى والتي هي أكثر استقرار ًا واستمرارًا في الجماعة ومرجعًا تاريخيًا للجماعة وإن كان غير مكتوبًا فلم تكن اللغة المكتوبة قد نشأت بحكم عدم تطور الدماغ لدى الإنسان بما يكفي في هذه الفترة من التاريخ.

2. المرحلة الاجتماعية الطبيعية والتاريخ:

لقد كانت المرحلة التي ذكرناها سابقًا هي مرحلة بدائية وجنينية الأولى للإنسان وقد شكلت الحاضنة لنشوء مفهوم المجتمع والجماعة الإنسانية الأكثر تنظيما وتعقيدًا.

لقد أدت التقلبات المناخية وغيرها من الظروف الطبيعية إلى الحاجة الملحة إلى توفير الطعام وتخزينه. وكانت المرأة هي الأكثر استقرار مع الجماعة وذلك بحكم الحمل والرضاعة ورعاية الصغار وفي الكثير من الأحيان تكون المرأة غير قادرة على الترحال أو المشاركة في عملية الصيد.

لقد كانت الأعمال الصعبة من هذا النوع تقوم بها الذكور والإناث الشابة احيانًا التي لا تمر بظروف انثوية خاصة.

وهكذا نشأت الحاجة إلى تقسيمًا ما في عملية توفير الطعام والحفاظ على الجماعة وضمانة استمرارها. فأصبحت الإناث الأمهات والكبار في السن يقمن بإعداد الطعام والحفاظ على الصغار ورعايتهم، وقطف الأثمار واستخراج الجذور والديدان وغيرها من أنواع الغذاء وتوفيرها بطرق أكثر سهولة من الصيد أو بعض الأعمال الصعبة الأخرى.

لقد قسمت مهام الحفاظ على الجماعة والاستمرار في البقاء بين الأفراد كلًا بحسب ظروفه وإمكانيته وموقعه في الجماعة.

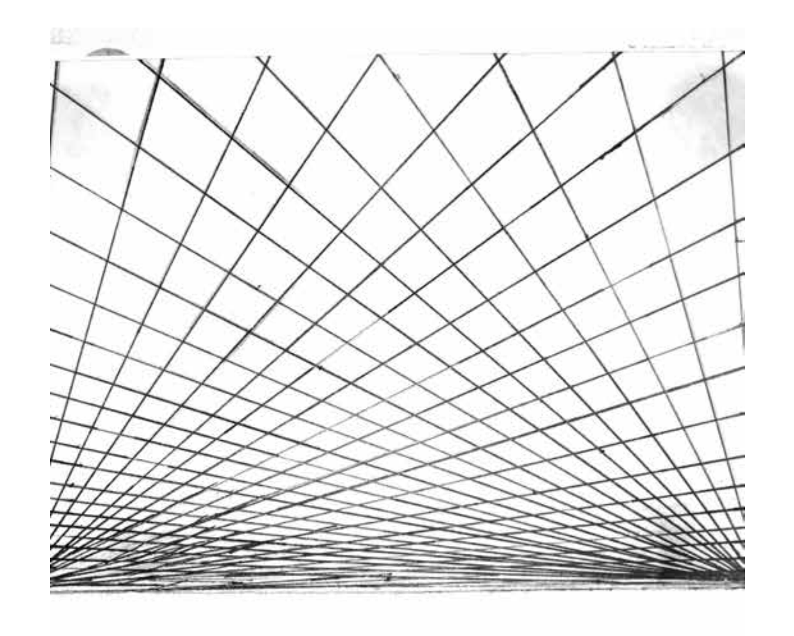
وهكذا انقسم العمل بين فئة تبقى للحفاظ على الصغار والكبار في العمر واعداد الطعام لهم وجلب ما تيسر جمعه بسهولة وعن قرب، بينما القسم الأكثر قدرة على التحرك والابتعاد تقوم بمهمات مختلفة.

لقد أطلق علماء الاجتماع والتاريخ على هذه المرحلة "مرحلة التقسيم الطبيعي الاول للعمل" وكان أول تقسيم فرضته الحاجة والطبيعة بين المرأة والرجل.

لقد نشأت بدايات الكتابة والقدرة على التعبير عن ما يتكون وينشا في وعي الإنسان من صور ومعتقدات وأفكار وخبرات مع بدايات الاستقرار النسبي للإنسان، حيث راح يلون الجدران التي يراها مناسبة لما يريد مخرجها مشابهة للواقع ولكنها تجريدية رمزية اشتقها وابتدعها من خلال دماغه وذاكرته وخياله ووعيه، وكذلك قام بالنقش على الصخور أيضًا سواء داخل الكهوف أو على الصخور والجدران المناسبة لذلك.

لقد شكلت تلك الرسومات البدائية والنقوش الخطوة الأولى لنشوء اللغة المكتوبة والتاريخ المكتوب.

لقد وجد الإنسان ضالته في تناقل خبراته وأحداث الحياة والطبيعة التي شهدها وعاشها حين اكتشف الألوان والنقش وراح يخط تاريخ حياته على الجدران. وقد بقي الكثير من هذه الرسوم وتم اكتشاف المئات



عندما نرى الأفق لوحده بلا أرضية سيكون
هذا بمثابة شعور غريب كمن يقف في الفضاء
يقف على المجهول وهنا نكاد نشعر بالدوران
كلما تعمقنا في الصورة أفق ولكن بلا أرضية
نقف عليها .

١٨

(١٩) هنا أرضية فقط لا أفق لها ما نشاهده

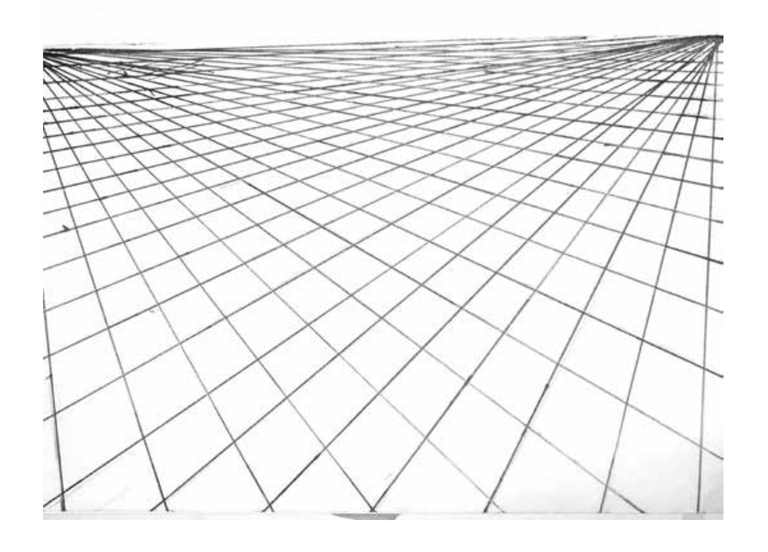
حين مشاهدة هذه الصورة والتعمق بها أن

اتخذنا أرضية شاسعة ولكننا لا نرى الأفق

موقفاً ومشهداً يشعرنا بالأمن ولكنه غامض

لا أفق له يشعر بذباب التوازن

نبحث عن أفق ومدى نراه ونتأمله.



منها حول العالم والتي لو نظرنا اليها بعين الباحث فسنجد أنها حقًا عبارة عن لغة وبداية كتابة وتصوير ونقل لأحداث التاريخ والخبرات الحياتية والطبيعية وغيرها وهنا كانت بداية التاريخ المكتوب.

نصح هنا بالعودة إلى كتاب الصورة الفصل الرابع الرسوم الجدارية والكهفية ص 69.

لقد نشأ التأريخ مشافهة أولًا وبدأ باللغة البسيطة المباشرة كالصورة المشابهة للحدث أو الشيء المراد تأريخه وثم نشوء اللغة الرمزية البحتة والتجريدية.

لقد ساهم تطور اللغة في تطور مفهوم التأريخ وجعله مادة تحتوي على معلومات وأحداث وتمنيات وطموحات وتعقيد عالي في الوعي.

لقد اختلفت المراحل التي مر بها التأريخ بحسب تطور اللغة والتركيبة الاجتماعية الاقتصادية.

وهكذا انتقل الإنسان من مرحلة الجماعة البدائية الاولى للتأريخ إلى مرحلة المجتمع البشري المنظم والأكثر تعقيدًا من السابق، حتى هذه المرحلة لم يكن التاريخ مسيسًا أو مؤدلج على الرغم من نشوء بذور الأفكار الفلسفية والدينية دون ظهور الأدلجة والمفاهيم السياسية حتى تلك المرحلة.

حتى ذلك الحين لم يكن مفهوم الملكية الخاصة قد ظهر فقد كانت الجماعات في ترحالها الذي أصبح نسبياً يميل إلى الاستقرار أكثر، وعلى الرغم من ذلك كانت الجماعات تترك أماكن عيشها وترحل فتأتي بعد

فترة من الزمن غيرها من الجماعات وتستخدم نفس المكان في الطبيعة وتستعمله وتستفيد منه ولاحقًا تترك المكان لغيرها وهكذا لم يكن البشر يمتلكون أماكن عيشهم بل يتركونها ويرحلون وقد يحل غيرهم كذلك فترة من الزمن تطول أو تقصر، هذا يعتمد على ظروف الجماعة نفسها والطبيعة. لم يكن التاريخ حتى هذه المرحلة المذكورة قد بدأت أدلجته أو تسيسه بل كان التاريخ يكتب ويؤرخ كما هو عليه الواقع وكما يراه الانسان وحسب.

إن هذه المرحلة هي الأكثر صدقًا في التاريخ الانساني بل وأكثرها أهمية في نشوء المجتمع البشري.

ذلك لكونها المرحلة الأولى لنشوء اللغة المكتوبة سواء كانت صور او رموز بديلة هذا أولًا، وثانيًا كونها مرحلة لم يكن فيها التاريخ قد أدلج أو سيس. على الرغم من نشوء مفاهيم فلسفية ودينية تحاول تغيير الإنسان والوجود.

3. نشوء الملكية والممالك والأنظمة السياسية:

لقد عاش الإنسان حياته الطبيعية الأولى وكان مرتحلًا وراء الغذاء والماء والأمن. وقد تنقل في الطبيعة كما ينتقل الحيوانات وكلًا له خصائصه وحاجاته. لم يكن الإنسان يمتلك شيء من تلك المواد أو غيره. جميع الكائنات تأخذ حاجاتها من الطبيعة ويبقى الفائض في مكانه لا يمتلكه شيء بل لم يكن أي مفهوم للملكية داخل الجماعة البشرية المثقفة وذات الوعي الفردي والجماعي. لقد كان الرجل

يمتلك سلاحه وحاجته الشخصية ولمرأة ترعى أطفالها لتواصل الحياة والنوع وعندما يبلغ الصغار سن الرشد والاعتماد على الذات يصبحون أفرادًا أحرارًا تربطهم بالجماعة صلات الحاجة والبقاء وعلاقات الدم فقط، دون أي سلطة اقتصادية أو سياسية بل علاقة إرشادية تعاونية متساوية في الحقوق والواجبات. هي أنظمة وقوانين فرضتها حياة الطبيعة ولاستمرار الحياة البشرية وقد أشرنا سابقًا أن الإنسان من الكائنات التي لا تعيش منفردة بل من النوع الذي يعيش في جماعات وبالعادة هذه الجماعات سواء كانت بشرية أو حيوانية فهي ذات سلوك وثقافة ما والفيلة والقرود وغيرها من الكائنات هي دليل على ماتقدم.

شكلت المرأة الراعي والحافظ للجماعة، وفي العادة لمرأة الأكبر سنًا هي المرشد والمساعد الهام للآخرين وذلك بحكم خبرتها في الحياة وتجاربها الطويلة.

وهكذا أصبحت تلقائيًا هي المرشد والمرجع الروحي للجماعة. الأطفال تعيش في أمان ويسر وسط هذه الجماعة وتتلقى رعاية حتى سن البلوغ. وتستقي خبراتها وكيفية تعاطيها مع الحياة والًاخرين من الجماعة نفسها ومع الطبيعة. لقد كان الافراد في الجماعة أفرادًا أحرارًا من الادلجة والسيطرة والسلطة. وكانت العلاقات الداخلية للجماعة خالية من الاستغلال والسيطرة الاقتصادية لأي فرد من الجماعة.

مع ظهور الزراعة ونشوء جماعات زراعية تعتمد في حياتها على الزراعة كأساس. وقد كانت المرأة اول من بادر الى هذا حيث قامت النساء

بزرع النباتات والاعتناء بها بدلًا من السعي ورائها دومًا.

لقد ساهم ذلك في بداية استقرار الجماعة، وكان ذلك بداية بقرب الأنهار وموارد الحياة الدائمة، وذلك لأهميتها في الحياة. والزراعة والري وتوفر موارد الطعام الأخرى. لقد كانت المرءة هي المسؤولة عن ثبات الجماعة في مكان ثابت نسبيًا، وذلك أفضل وأكثر أمنًا واستقرارًا لتربية الأطفال والعناية بهم. وأصبحت النساء تعتني في أمور الجماعة الداخلية وتخزين الطعام وإعداده والإعتناء بالمرضى وغيرها من المهام الاساسية في الحفاظ على الحياة والبقاء.

عزز هذا الواقع دور المرأة وسط الجماعة وجعلها هي الأم الحاكمة والقائدة لحياة الجماعة.

كان الرجال يسيرون للصيد وكثيرًا ما كانوا يعودون فارغي الأيدي مما يجعل حياة الصيد أقل أمان من حياة الزراعة.

فتخزين الطعام وإنتاجه شكل وسيلة آمنة للجماعة تمنع عنها الجوع وقت الحاجة وانخفاض عدد طرائد الصيد لأي سبب من الأسباب.

ولم تعد الجماعة ملزمة ومضطرة للترحال الدائم.

لم تقتصر قيادة الأنثى للجماعة على البشر فحسب، فهناك الكثير من أنواع الثدييات والأمثلة كثيرة أمامنا كالقرود، والفيلة... الخ.

4. اكتشاف الناروأثره على المجتمع:

لقد أدى اكتشاف النار الى تطور خيالي في حياة البشرية، حيث تم

استعمال النار في طهي الطعام واكتشاف الفخار والخزف والمعادن والألوان وغيرها من الاكتشافات المتقدمة في ذلك العصر، لقد لعب اكتشاف النار وتطوره الى وسيلة لإنتاج الكثير من المواد ولخامات دورًا حاسمًا في تطور الإنسان والمجتمع وساهم في تطوير الإنتاج وزاد من إمكانية الإستقرار في المسكن والحاجة الى ذلك وانشاء بدايات الحرف الى جانب قبائل الزراع ومربين المواشي لقد مهد هذا التطور الانتقال إلى مرحلة جديدة من مراحل النظام الاقتصادي الإجتماعي وهي مرحلة أطلق عليها علماء الإجتماعي والاقتصاد التقسيم الإجتماعي الاقتصادي للعمل.

ومع ظهور التقسيم الاقتصادي للعمل بين النوعين من النمط الاقتصادي.

فقد ظهر إلى جانب الزراعة تربية الماشية. وأصبح الذكور بدل من الاعتماد على الصيد، يربون الحيوانات ويقومون بترويضها وتطبيعها وتربيتها والعناية بها واستخدام انتاجها بدل من استعمالها هي كما في الصيد فأصبحت البقرة أو أي حيوان أخر يتم تربيتة لاستعمال حليبه أو مواليده وتربيتها واستعمالها في الغذاء والحصول على البروتين.

هذا الواقع أدى إلى امتلاك الرجل مصدر اقتصادي دائم ولم يعد بحاجة دائمة الى تخزين المرأة للطعام. ولم يعد ذلك يشكل الأمان الاقتصادي للجماعة، لقد أصبح هو الأخر مصدرًا دائمًا للغذاء والطعام.

إن هذا التحول الاقتصادي في نظام الحياة للجماعة جعل من الرجل منافسًا للمرأة.

في القيادة والسيطرة على الجماعة.

لقد كانت روحية ومزاج المرأة الأم هي الحاكمة وهي الأساس في تشكيل وعي الجماعة الإجتماعية حيث لم تكن المرأة بحاجة إلى العنف والقوة لإثبات أو الحصول على هذه المكانة والاحتفاظ بها، إنها مكانة طبيعية اجتماعية صافية.

لقد انطلق الرجل مع تطور وضعه الاقتصادي وقدرته على أن يكون ذو مصدر دائم للغذاء والحماية والأمن، فترك للمرأة شؤون العناية في الأطفال والإدارة الداخلية لشؤن الجماعة.

ولكنه لم يكفي بهذا وحسب، بل سحب مزاجه الذكوري العنيف للتملك والسيطرة على النظام السائد في الجماعة بكاملها.

لقد انقلب الرجل على المرأة مربيته ومصدر أمنه، وألقاها جانبا وجلس مكانها بل وأطاح بنظامها الأمومي بكامله وحول الجماعة إلى جماعة ذات علاقات فوقية ذكورية همجية وتملكية يسيطر عليها طابع العنف والقوة بدل الرعاية والحنان والأمن وهكذا انقلبت الجماعة من جماعة مسالمة تسعى لحياتها وغذائها وأمنها إلى جماعة تسودها السلطة والعنف والتملك والعنف الذكوري واستعراض القوة والتملك.

لقد كان هذا الصراع وظهوره أول صراعًا اقتصاديًا وسياسيًا في التاريخ البشري.

لقد انقلبت الأنظمة الأمومية إلى أنظمة ذكورية، وظهرت المفاهيم والنظم التي تمجد سلطة الرجل ونظامه الابوي.

وهكذا امتلك الرجل قطعان من المواشي والحيوانات كثروات ثم امتلك الأطفال وثم امتلك المرأة نفسها وحولها إلى ملكية خاصة له يستغلها كما يشاء وحسب رغباته.

وهكذا ظهر الشكل الأول لاستغلال الإنسان للإنسان، لقد كان الرجل وعقليته الذكورية العنيفة بطبيعتها وأنانيتها. وهكذا ظهر أول نظامًا اقتصاديًا قائمًا على الملكية الخاصة، وهكذا بدأت الملكية بالظهور عمليًا.

وتلاها ظهور ملكية الجماعات لمناطق أو موارد مياه أو غيرها تسيطر عليها وتستقر بقربها وتحميها وتمنع عنها الأخرين لكونها تابعة بمنتوجها لها هي وحدها، وهكذا بداة أول الصراعات بين الجماعات على الموارد الطبيعية، وظهر الشكل الأول للملكية الخاصة في التاريخ.

إن الانقلاب الجنوني الذي قام به الرجل وبنى سلطته المغرورة عليه واستمر عبر الأف السنين ومازال هو السائد إلى يومنا هذا.

هذه هي أهم الأسباب الأساسية بعد الاقتصاد والملكية، للصراعات العنيفة بين الشعوب والأفراد. إن المزاج الذكوري والطبيعة العنيفة للذكور في الطبيعة لدى جميع الحيوانات بما فيها الإنسان لا ولن يستغنوا عن العنف وحب السيطرة والتملك ومنافسة الاخرين.

هكذا هي طبيعة المزاج الذكوري إجمالًا والهذأ السبب فان من الأسباب الاساسية للعنف وممارسته إجتماعيًا هي مسؤولية المجتمع الذكوري الذي ساد الآلاف السنين ومازال لدرجة أنه.

أصبح مزاجًا موروثًا قد تحمله النساء أيضًا على الرغم من طبيعتهن الأمومية والأنثوية فالأنثى في الطبيعة لا تستعمل العنف أو تلجأ إليه سوى في حالتين فقط، الدفاع عن نفسها وصغارها، أو للصيد وجني الطعام في الحيوانات الصيادة أو الدفاع عن النفس. وهكذا منذ البدء ترافق نشوء الملكية مع العنف الذكوري، ولهذا نجد أن جميع القوانين والأعراف السائدة في المجتمع الذكورية بعيدة كل البعد عن المنطق السوي المتوازن حتى يومنا هذا.

5. الممالك ونشؤها

ظهرت الملكية الخاصة مع ظهور المجتمع الذكوري بل ومن إحدى سماته الهامة والاستنسية. ومع ظهور هذه الملكية المصطنعة والدخيلة والغربية على الطبيعة والمجتمع التي جاء من خلال العنف والسيطرة الذكورية كان لابد من نشوء مفاهيم وقيم وقوانين يفرضها الطرف الذي انقلب وسيطر على الجماعة، وكانت الجماعة قد استقرت نسبياً وتطور الاقتصاد وظهر التقسيم الإجتماعي للعمل بشكل واضح.

ورافقته تغيرات بنيوية في البنية التحتية للمجتمع وتبعتها قيم وتغيرات في البنية الفوقية حيث أصبحت سيطرة الرجل وملكيته تحتاج إلى مفاهيم وقيم تفرزها وتحميها وتؤكد نظامها.

وهكذا ظهرت المفاهيم السياسية والحقوقية التي أخضعت الجماعة لاحقًا إلى رؤيتها ومصالحها.

وهكذا كان أول ظهور للمجتمع ذات اقتصاد مستقر وموارد مستقرة

وسكن وذات نظام إداري فوقي اقتصادي وسياسي مقرر في حياة الجماعة، ليس هذا فحسب بل تم إخضاع الجماعة بكاملها الى التصنيع والقولبة حسب رغبات نظام الملكية الجديد الذي يسعى إلى صناعة الجماعة وإخضاعها للسلطة كجزء من مليكته وحقه في امتلاك هذه الجماعة واستغلالها بحسب رغباته.

لقد وضع الرجل مجتمعه وقوانينه وشكلها حسب غرائزه التملكية سواء للمرأة أو للأطفال أو للجماعة نفسها وهكذا أخضعت الجماعة وصنعت بكل ما حملته من منتوج اجتماعي متطور وقيم ومفاهيم دينية وفلسفية وحقوقية وفنية واقتصادية وسياسية.

لقد صبغت المجتمعات بكاملها بالصبغة السياسية والاقتصادية والسيطرة وكانت ذكورية بحتة ادت الى ظهور العنف بين الجماعات التي أصبحت أعدادها تتزايد ولم تعد جماعات صغيرة مرتحلة في الغالب كما في السابق.

لقد أدى تطور الاقتصاد ونمو عدد السكان إلى ظهور الأمم والثقافات المختلفة.

وبما أن ملكية الأمة أو الجماعة قد ظهرت وتم بناءها على أساس العقلية والمزاج الذكوري. كان حتمياً أن تتصادم هذه الجماعات على موارد الطبيعة وخيراتها، مما أدى إلى نشوء الحروب وظهور الحاجة إلى القوة والجيوش والحماية.

مع تطور المجتمع واكتشاف المعادن وظهور الحاجة إلى نظام مستقر

أكثر من السابق. هكذا نشأت الممالك الكبيرة بقرب تجمعات ومصادر ألمياه والغذاء الكبيرة.

ولو ألقينا نظرة على كافة الحضارات القديمة الكبيرة سنجدها قد أقيمت وأسست بالقرب من كبار الانهار والغابات وموارد طبيعية.

وهكذا اضطرت الحاجة الى القوة الرادعة للأخرين من أجل ضمان الحماية والحفاظ على الملكية الجماعية والفردية من الاعتداء الخارجي فتم تشكيل الجيوش وبناء القلاع والحصون والقصور والمعابد.

وظهرت الأنظمة الحسابية والرياضيات وجني الضرائب الخ...

إن ظهور الممالك بشكلها التقليدي الأول كان نتيجة حتمية لطبيعة النظام الاجتماعي الذي ظهر وتطور من نظامًا طبيعيًا تجمعه الحاجة المتساوية للبقاء إلى نظامًا مختلفًا متناقضًا أنقض فيه جزء من هذا المجتمع على السلطة وفرض عقليته ومزاجه وأقيمت الممالك على أساس سلطة الذكور التي كانت بحاجة إلى القوة الدائمة من أجل الحفاظ على ذاتها وكيانها كنظام سلطة فوقية مسيطرة على المجتمع ومخضعه لما يرغب ويشتهي.

ولهذا لم يكتفي الرجل بالإطاحة بالمرأة عن عرشها الأمومي بل وفرض عليها القوانين التعسفية لدرجة أنه حرمها من السلطة الدينية والسياسية بالكامل وحولها إلى ملكية خاصة له يتصرف بها كما يشاء وكأنها سلعة من السلع بل أكثر.

لهذا أنشئت الممالك وقامت على الاستعباد واستغلال ألإنسان للإنسان

وموارد الطبيعة وظهرت مفاهيم وقيم وقوانين مشتقة من هذه المصالح والقيم والتاريخ والمجتمع بأسره على هذا الأساس وهذه الخلفية ومازلنا حتى اليوم نعيش جنون وسيطرة هذه العقلية.

لقد كانت الممالك ومازالت تمثل العقلية الذكورية وطبيعتها المهيمنة العنيفة المائلة إلى التملك والسيطرة.

6. ظهور الأنظمة السياسية

لقد تحدثنا كيف انقلب الرجل المرأة وعلى الجماعة وسيطر عليها وأطاح بنظام الأنثى الأم الحنون القائم على الرعاية والحضانة والأمن ليقيم مكانها نظامًا ذكوريًا تعسفي مجنون أطاح بكل القيم الإنسانية والعاطفية بل وحقرها وحاصرها ومجد عنفه وطغيانه وقوته وجبروته وهكذا تحولت الرموز والفنون وغيرها من المثل والقيم الطيبة والمحبة والرافة الى تمجيد القوة والعنف والغطرسة واعتبارها إلاهية ممنوحة من قوة خارجة عن الطبيعة والحياة.

بل ووصل الجنون والغرور بهذا النظام أن جعل من نفسه الاهًا مباشرة بعد أن كان يستمد سلطته من إلآه.

وهكذا إنقلبت المفاهيم وأقيم العنف والهمجية مكان اللطف والحنان، والسلطان مكان الإرشاد والتربية، والبغض مكان الحب والملكية والأخذ مكان العطاء والتضحية وانقلب المجتمع في بنيته ورحويته ونظامه بكامله إلى مجتمعًا متناقضًا عدوًا لنفسه يحمل تناقضات وصراعًا تناحريًا في داخله.

إن الحفاظ على السلطة أصعب كثيرًا من الوصول إليها ولهذا لم تعد البنية الاجتماعية الفوقية الذكورية قادرة على الإطمئنان على بقائها ومن خلال فرض النظم والقوانين والسيطرة فقد نشأت الممالك والنظام الملكي والحدود، حدود السلطة والنفوذ والاستغلال.

فنشأت المفاهيم السياسية والحقوقية والفلسفية الطبقية المنحازة لصالح السلطان ونظامه.

وظهرت مفاهيم السلطة السياسية والدنية التي تناغمت في الغالب مع السلطة السياسية أو أصبحت تابعة لها.

إن صاحب السلطة هو صاحب البنية الفوقية الإجتماعية والبنية الفوقية الإجتماعية هي أساس قيادة المجتمع وتصنيع أفراده وقيمه ومفاهيمه، سواء كأفراد او جماعة تساهم صياغتها في أخضاع الأفراد وتصنيعهم.

إن السيطرة على هذه البنية تعتبر من أهم الخطوات الكفيلة بتعزيز السلطة والحفاظ على النظام السياسي واستمراره في السيطرة والوجود.

وبما أن المفاهيم السياسية تحتاج الى فكر ومفاهيم تدعمها وتساندها وتعبر عن طبيعتها وسلوكها فهي بحاجة الى أدلجة ونظامًا فكريًا سياسيًا اقتصاديًا مفاهيميًا يدافع عنها ويصيغ وجودها.

ولهذا ظهرت الأدلجة ومفاهيمها ومفاعيلها، لقد ظهرت الأنظمة السياسية بشكلها التقليدي المعروف منذ آلاف السنين.

نذكر البعض منها: مثل الحضارة السومرية والأشورية والفرعونية

والصينية والهندية الخ.. العشرات من الحضارات التي استطعنا معرفتها عبر تاريخنا المعاصر.

لقد ظهرت الأنظمة السياسية وتطورها في ظل تناسي نشأتها وأصولها بل إن النصوص التاريخية تم تحريفها لصالح الذكر واستمد الرجل سلطانه من الآلهة بل تحول هو ذاته إلى إلآه.

لقد كانت في العصر الأمومي غالبية الآلهة اناث، وعند تحول المجتمع إلى سلطة الذكر أصبح الآلهة نفسها ذكرًا ايضًا. ولو القينا نظرة سريعة على اساطير وابطال مرحلة من هذه المراحل سنجد بوضوح أن الأنثى كانت في السابق صاحبة بطولة وأمجاد. بينما ينقلب الامر في المرحلة الذكورية الى اختفاء لأمجاد النساء ونجد أن الأبطال والقادة وكل شيء هم من الذكور. وكذلك سنلاحظ انقلاب المفاهيم في الحياة ألفتها والحب وغيره من المفاهيم إلى العنف والحروب وتمجيد الحروب واعتبار قادتها عظماء وتسميتهم بصناع التاريخ الانساني على الرغم من دمويتهم وبطشهم بل وجنونهم وشذوذهم أحيانًا ويحق لهم ما لا يحق لغيرهم.

لقد اصبح البطش والعنف والقتل واخضاع الاخرين بالقوة والهمجية فعلًا بطوليًا ممجدًا، والهيًا أيضًا.

لقد اصبح كل مقدسًا ذكر وكل مقدسًا مشبعًا بالدماء والعنف والسيطرة، هذه هي الممالك ونشاءتها. لقد نشاءة الممالك لحاجات اجتماعية ضرورية للسيطرة على المجتمع وإخضاعه وهي ليست ضرورية أو سبب من أسباب التطور للمجتمع البشري كما يحاول

البعض تفسيرها .

لقد شكل نشوء المفاهيم السياسية والممالك ترسيخًا قصريًا لنظام الملكية الخاصة الذي تحول فيما بعد إلى نظامًا مقدسًا ومازال كذلك حتى يومنا هذا .

فهي ليس حتمية تطورية كما تدعي القدرية أو الماركسية بل هي نتاج للمفاهيم والقيم التي فرضها الرجل حين استلامه لمقاليد الحكم والسلطة في الجماعة.

حيث انقلبت الحضانة والرعاية والحب إلى غطرسة وسيطرة وجبروت وسلطان، وغابة مفاهيم المجتمع الإنسانية عن السلطة السياسية ولم تعد سوى أداة قمع يملكها طرف ويخضع بها بقية المجتمع بالقوة حتى يومنا هذا.

وهكذا أخضع التاريخ بأكمله وأحداثه كما يريد لها سلطان الذكورية الذي مجد الذكورية والقوة والعنف والشوفينية.

وهكذا أقيمت المعابد الذكورية والقصور والقلاع وحتى الفنون والزخارف والقوانين والنظم والبنية التحتية والفوقية للمجتمع أخضعت بالكامل للنظام الذكوري المهيمن. وقد كانت الملكية هي الأساس الذي أقيم عليه هذا المجتمع الذي استمر في الوجود حتى ورثناه نحن اليوم.

7. أدلجة التاريخ

لم نعد لهذا الاصطلاح عبثًا بل عدناه هنا من أجل ربطه ببنيته الإجتماعية الأولى.

إن نشوء الممالك ونوعية الملكية وطبيعتها المشوشة بين ملكية الفرد الخاصة والملكية العامة السابقة لنشوء المجتمع الذكوري قد أدى إلى التباسات كثيرة في هذا المفهوم وما نحن بصدده هو مفهوم ألملكية ألخاصة ألذكوري ونشوءه وطابعه العام.

لم تكن الأدلجة في تلك المرحلة واضحة في المجتمع المكية الخاصة ومتطورة كما هي اليوم، ونشأت كبذور أولًا وأفكار تساهم في النظام السياسي والبنية الفوقية في تعزيز سلطتها وترسيخها وإقناع المجتمع واستكمال تبرير وجود نظام القوة والعنف داخل المجتمعات الناشئة.

وبهذه الطريقة نشأت ممارسة فعل وتبرير وتفسير النظام السياسي ودواعيه وتأويله.

ومن الجدير بالذكر أن هناك أفكار سياسية وأدلجة ظهرت أيضًا كانت معادية ومعارضة لطبيعة النظام السياسي السائد.

ولكنها كانت في الغالب تواجه بالعنف والقمع في غالب الأحيان، إن التاريخ والإنسان والمجتمع يؤدلج منذ القدم أي منذ نشأة الأفكار السياسية والحقوقية والملكية ألخاصة.

لقد أحتلة الأدلجة منذ تشكلها القديم مكانة كبيرة في البنية الفوقية لمجتمع الملكية الخاصة، وعلى الرغم إنها لم تكن ظاهرة تحت اصطلاح

أدلجة كما هي اليوم إلى أنها كانت موجودة منذ القدم وقد أشرنا في عنوان سابق إلى ذلك بالتفاصيل.

في النهاية "الخلاصة" إن المفاهيم الفلسفية والدينية والسياسية والأدلجة قد نشأة مكملتا بعضها بعض وكلًا منها ليس بإمكانه الإستغناء عن الآخر بل إن هذه الأفكار هي صاحبة ذلك الكلام والفكر الذي درس علم التاريخ بل والذي صاغ التاريخ نفسه وكتبه وفسره على هواه وبحسب أفكاره وأدلجته السياسية وسلطانه.

8. هل يصنع التاريخ

بداية إن التاريخ هو حدث ورواية. وقد تحدثنا كثيرًا عن الرواية والراوي ولم نتحدث بعد عن ألحدث نفسه، أي السبب في هذه الرواية. وندخل هنا في فعل العلة والمعلول فالحدث يحتاج إلى رواية، وتبعته رواية وذلك بحكم وجود الوعي الإنساني وتطور المجتمع وكذلك حاجة الإنسان للتعبير عن ذاكرته وكتابة ما شاهده من أحداث وانقله للأخرين.

ويبقى هذا السؤال معلقًا هل يصنع التاريخ؟ وفي جدل بين كافة الأدلجات السائدة حاليًا، لقد أشرنا سابقًا إلى إتجاهات علم التاريخ الثلاث الأساسية، القدرية والعلمية والانتقائية. فالتاريخ حدث وحركة مازال في جدل حوله وبنفس مسار الجدل القديم ومفرداته وجهة نظر تقول ان التاريخ قدر مقدر ولا مجال للتدخل وهو أقدار مقدرة. إما من صنع إله أو قوى خفية في النهاية تحدد مسار التاريخ

وهكذا يصبح غير قابل للصناعة بل أقدار محتومة. وجهات تقول إن التاريخ يصنع وتصنعه قادة وافراد.

ووجهة أخرى تقول إن الشعوب هي صانعة التاريخ، وتعددت النظريات والأدلجات السياسية والاجتماعية حول هذا المفهوم وتنوعه وفي النهاية مهما اختلفت وتعددت النظريات فجميعها تتفق على أن التاريخ حدث وأن هذا ألحدث إنما هو مسار متواصل لحركة وحياة البشرية. وهذا يعني أن البشر والمجتمع بأكمله هو صانع التاريخ كلًا في مكانه وكلًا له دوره في الحياة.

فالتاريخ والحدث هو تعبيرًا عن الحياة في حركتها الازلية وما التأريخ سوء محاولة رؤاية جزء أو حلقة من حلقات هذه السلسلة من الأحداث التي تعبر عن جزء من وقائع الحياة عبر الزمن. وبما أن هذه الحركة هي خارج وعينا وهي موضوعية، على الرغم من أننا جزء منها فهي حركة تسير وتشملنا في تيارها. وقد نفقد القدرة على القرار احيانًا كأفراد ولكنها تبقى حركة اجتماعية يصنعها أفرادًا مستقلين في النهاية ولكن تعرضهم لظروف مشابهة يجعل منهم حدث أو جزء من ألحدث والتاريخ، سواء في الرخاء أو السلم أو الحروب والأزمات، فالتاريخ ليس حروبًا وصراعات وحسب بل هناك ايضًا الحب والحياة والثقافة والفنون والإبداع الخ.. إن التاريخ في النهاية هومن صناعة البشر سواء كأفراد أو جماعات ولهذا بإمكاننا القول أن التاريخ برغم إنه موضوعي ولكنه ذاتي في الوقت نفسه ولهذا بإمكاننا الإجابة بأن "التاريخ بالتأكيد يمكن أن يصنع".

9. دور الفرد في التاريخ

بداية نشير إلى أن قضية الفرد في صناعة التاريخ قد كتبت عنها آلاف الصفحات وما زال جدالها حتى يومنا هذا بين مدٍ وجزر وما زالت الآراء منقسمة حول هذا الأمر بحيث مازالت هناك الكثير من النظريات التي تمجد دور الأفراد وتعتبره الدور الحاسم والأساسي في العملية التاريخية وخاصة بما يخص الأزمات والصراعات الاجتماعية التي تحمل المجتمع إلى تغيرات هامة قد تكون سلبية أو إيجابية.

هذا يعتمد على الظروف وطبيعة ألحدث وتاريخه وموقعه، وقد أشرنا في العنوان السالف إلى أن التاريخ يصنع وأن الأفراد والجماعات هم صناع التاريخ الفعلين ومهما كانت طبيعة الحدث الموجود ونوعه لا بد من توفر ظروف وقوانين سببية تحكم هذا الحدث من موازيين قوى وأفكار وا نظم وقوانين موضوعية ووضعية مما يعني أن الحدث ليس حرًا أو عشوائي بل تحكمه تطورات وتوازنات ما تخضع لها كل ظاهرة وظروفها.

ووقوع زلزال في منطقة جبلية مختلفًا عنه في مناطق السهول، ونوعية المباني والمواد المستخدمة وطريقة البناء أو قوى الزلزال تحدد مدى صمود المباني أمام حركة الزلزال وعليها تحدد مدى الخسائر.

إن التاريخ ليس مجرد فعل بشري بل فعل بشري إنساني اجتماعي يتحدد على أساس جملة من الظروف والقوانين والضرورات والصدف والأسباب والنتائج وتفاعلات اقتصادية و اجتماعية وسياسية ومفاهمية.

هذه جميعها وغيرها الكثير من ما يحكم ويتشكل منه نسيج العملية التاريخية، إن العملية التاريخية فعلاً معقدًا تحكمه قوانين طبيعية ما تجعله يسير ضمنها ويتمتع بقسط من الحرية والمناورة ولكن ضمن نطاق محدد وليس مطلق الحرية، ومن أجل نجاح ثورة ما أو حركة اجتماعية ما لابد من توفر كافة العناصر والمقومات التي تساعد على نجاح هذا العمل وإلا أستحالت إمكانية تحقيقه مهما بذلت من جهود وإمكانيات. فالمشكلة ليس في الجهود المبذولة بقدر ما هي في عدم توفر الشروط الضرورية لتحقيق هذا الانجاز او ذاك. إن نطاق المرحلة الزماني والمكاني والتطوري وطبيعة القوى المتصارعة وتوازنات القوى بينها وحجومها ومدى تطورها ووعيها هو ما يحدد إمكانية تحقق الأهداف.

إن طبيعة النظام الاجتماعي البدائي المعتمد على قطيع وزعيم لهذا القطيع يتطلب دومًا فردًا قائدًا لهذا القطيع. وهذا الفرد هومن يقود الجماعة في حركتها وصراعها، ويصبح مع الزمن والظروف مثلها الأعلى ورمزها المعبر عن وعيها الإجتماعي.

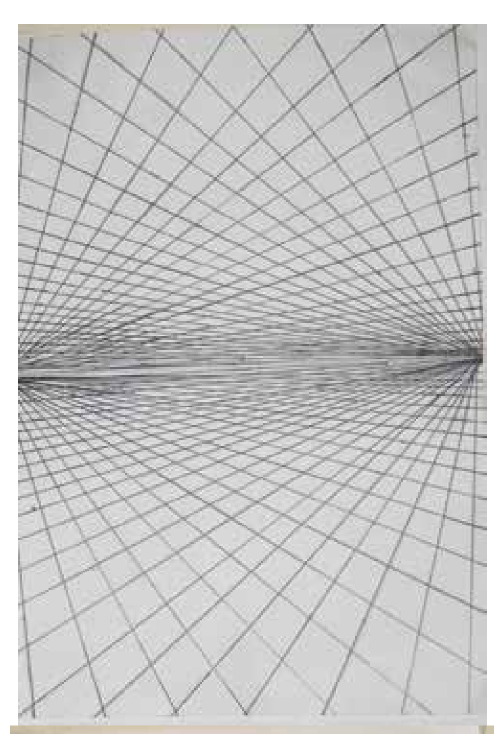
إن الأفراد حين تحولهم إلى رموز يصبحون مثلًا ينتقلون من مكان مادي إلى مكان مثاليًا مصفى، بحيث يتحول الفرد إلى فكرة معبرة عن جماعة ما ووعييها وطموحها.

إن طبيعة تركيب الجماعة وديناميتها الداخلية تتطلب قائدًا محركًا لها وهكذا يقرَر القادة وينتخبون طبيعيًا بحسب المراحل وظروفها وطبيعتها، إن القادة هم هؤلاء الافراد الذين أعدت لهم الظروف

دورًا في مسرحية الأحداث والزمن وقد دعت الضرورة إلى من يقوم بهذا الدور أو ذاك، وقد تختلف الصفات الفردية الخاصة للأفراد ولكن نوعية المرحلة في العادة هي ما يقرر طبيعة الزعماء ونوعيتهم. فليس بالإمكان أن تفرز مرحلة تراجع وضعف ثوري زعيمًا ثوريًا قويًا وجذريًا فالمرحلة تفرز النوع الذي تحتاجه والأفضل لقيادتها ففي النهاية دور القائد دورًا ذو اعتراف اجتماعي وإلى لما وجد، إن دور الفرد في المعادلة إما أن يسرع أو يبطئ من العملية بينما تحكم العملية التاريخية طبيعتها وقوانينها وظروفها فلا مكان للقادة الضعفاء في مراحل المد والحسم الثوري واذا حصل ذلك فهذا حتمًا سيشكل انتكاسة للثورة لو استمر فكل مرحلة من التاريخ تفرز رجالها وروادها والحركة نفسها وتفاعلاتها عبر الزمن تفرز قادتها ومحركيها الاساسين وهذا طبعًا لا يلغي الدور الذي يلعبه الأفراد بصفاتهم الشخصية العامة.

إن الأنظمة الدكتاتورية تحافظ على وجودها من خلال القوة والقمع والأنظمة البوليسية مما يجعلها قادرة على الحفاظ على وجودها في الحكم لأطول فترة ممكنة، ولكن في النهاية التاريخ وحركته تسير متجاوزة إياها رغم كل ما تبذله هذه الأنظمة من جهد، إنه قانون التحول والتاريخ وكل شيء. سائر إلى زوال وتجدد وخلق حركة لا تنقطع عبر الزمن.

على الرغم من تأثير ذلك وانعكاسه على الحدث في النهاية ما يحكم حركة المجتمعات ليس مزاج فرد ما بقدر ما هو موازيين قوى بين



عندما ننظر إلى الأفق من خلال أرضية
واضحة أمامنا نشعر بالاعتدال والتوازن
إنه قانون الحياة الشامل
التناقض التوازن الوحدة
الأفق (الأبعاد العمق) الأرضية

كما الوحدة والفراغ وقانون
التوازن أيضًا قانون فلولا
التوازن بين المتناقضات
لما وجدنا أي وحدة في الحياة
بل لما وجدت الحياة ذاتها.
١٩

الإمكانية والواقع.

الممكن والغير ممكن الاحتمالية والوجود، قد يتلاعب الافراد ويخطؤون ويعبثون فيما لو تركوا على هواهم ولكن في غالب الاحيان ورغم كل التجاوزات ما يحكم العملية برمتها هي ظروف تاريخية ونظام قائم وفق قوانين ونظم وقوى لا تعطي للقائد الحرية الكاملة في التصرف بل يتصرف بحسب الظروف وقد يصيب وقد يخطئ.

ولكن في النهاية مهما بلغة قدرات الأفراد لوحدها فهي لا تشكل شيء أمام قوة وحركة التاريخ، فالقائد الثوري ما يجعله منتصرًا هو الجماعة وتحوله إلى رمزًا لها، هنا انتقل الفرد من مكان إلى أخر من الفردانية الى الرمزية الجماعية. لقد اصبح جزء من روح الجماعة ولم يعد فردًا قائمًا بذاته بل اصبح يمثل معتقدًا ومثلًا ولو عزل من مكانه ودوره سيتحول إلى شيء عادي لا قوة ولا قيمة له، فمكانته والحاجة لدوره وممارسة هذا الدور ما جعله كما هو عليه وليس بذاته الفردية وعبقرتيه كما يدعي أصحاب الكثير من النظريات الجبرية أو القدرية في التاريخ، هذا لا يعني إننا ننفي التفاوت بين إنسان وآخر في الذكاء ولكن في غالبية الأحيان تفرز المرحلة قادتها وتصنعهم كما يصنعونها والشعوب هي صناعة التاريخ الفعليية وما القادة سوى تعبيرًا عن طموحات الشعوب في حال كانوا قادة فعليين وذات حاجة تاريخية وحالة تعبر عن طموحات الأمة والشعب.

1. الجماعة والتاريخ

شكلت الجماعة الأساس القاعدي للمجتمع البشري وقد قامت الجماعة البشرية ألأولى وحدة قاعدية تربطها علاقات الدم والقربى وقد كانت ومازالت الأسرة هي الخلية القاعدية الأساسية التي تقوم عليها الجماعة البشرية وقد تشكل الوعي البشري وولد في وسط جماعة بشرية وثقافة متوازنة مما جعل الجماعة هي الأساس في صناعة الفرد. أي أن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد الوعي الاجتماعي وفي حال انتقال الطفل إلى جماعة مغايرة فحتمًا سيكون ذات وعي وسلوك مغاير للجماعة الأصلية.

إذًا الجماعة هي التي تصنع أفراد وبحسب مفاهيمها وموروثاتها ومعتقداتها وكذلك تصنع زعمائها، إن الجماعة كائن له نظامه وقوانينه وقيادته وحركته. وهي بذاتها تشبه الكائن الواحد ذو حاجات واهداف ووجود. إن التنافس بين الجماعات على موارد الاقتصاد والعقلية والنظام الذكوري السائد ومزاجه يشكل اهم الأسباب بعد الاقتصاد للصراعات والحروب بين الجماعات البشرية. إن المجتمع البشري يتشكل من أفراد في الدرجة الأولى ولكن هذه الأفراد منظمة ومنتمية إلى جماعات صغيرة يتشكل منها المجتمع الأكبر القبيلة. وهي عبارة عن إتحاد عدة عشائر وعائلات وأسر في النهاية.

وعلى الرغم أن العملية الإبداعية والإبتكارية هي إنتاجًا فكريًا فرديًا أي أن الجماعة هي الحاضن الأساسي والمنشئ للأفراد، ولذلك نجد أن الجماعة هي أساس صناعة التاريخ وتطوره بينما الأفراد والقادة يشكلون

الرؤية المستقبلية والمتقدمة للجماعة، فالمبدعين والنخب هم افرازات ضرورية لإستمرار الجماعة والحفاظ على بقائها وهكذا هم يفرزون وتنسجم لجماعة وفق امكانيتها وتطورها وقدراتها ولكنها في لنهاية تخضع لهم ولرؤيتهم للعالم والاشياء اذن من يصنع التاريخ؟؟

لقد تحدثنا عن الفرد وصناعة التاريخ وتحدثنا عن الجماعة وصناعة التاريخ وكدنا نلتبس في الفهم والنتائج من الذي يصنع التاريخ فعليا الفرد أم الجماعة..؟؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال علينا أولا العودة إلى الأصل من جديد. ألفرد والجماعة ومن الأسبق في الوجود الفرد أم الجماعة.

قد يبدو هذا السؤال كذلك السؤال الذي يقول من الأسبق في الوجود البيضة أم الدجاجة.

في الحقيقة إن سؤالنا مختلف، ومن أجل تسهيل الفهم علينا العودة إلى أصل الإنسان كحيوان طبيعي.... الإنسان من الثدييات المتطورة التي تعيش في جماعات صغيرة مثل القرود والفيلة والضباع والأسود وغيرها من الحيوانات.

إضافة إلى حاجة الإنسان للرعاية لفترة طويلة من الزمن قد يتجاوز العشرين عامًا أحيانًا إن هذا الوضع الطبيعي للإنسان يجعله بطبيعة الحال كائنًا يحتاج إلى الجماعة لفترة طويلة من حياته ثم إن حياة الإنسان بطبيعتها حياة حيوان يعتمد على الحياة في الجماعة.

إن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي، والجماعة هي من ينتج هذا الفرد

وينشأه وذلك لغاية الحفاظ على الجماعة والنوع وهذه هي أهداف إنتاج الافراد في الجماعة وتربيتهم وإنشائهم.

إذًا فالفرد محكومًا بالجماعة التي تنشأه ولا خيار له في وجوده الإجتماعي بل يرثه تمامًا كما يرث جناته الوراثية، فيرث لغته وثقافته وبيئته ونوعية طعامه بل وسلوكه الإجتماعي ومكانته الإجتماعية ايضًا.

إن الجماعة تمارس دورًا تطبيعي على الأفراد حتى سن البلوغ لتصنعهم متناغمين مع طبيعة هذه الجماعة وحاجتها وثقافتها، ليس هذا وحسب بل إن الجماعة تعطي نفسها الحق في قمع ومعاقبة الأفراد على تجاوزهم لثقافة الجماعة وأعرافها وقد تصل العقوبة احيانا إلى القتل.

إن الجماعة تمارس دورًا قمعيًا على الأفراد وذلك من خلال تصنيع وعيهم وتطبيق قوانين الجماعة وأعرافها بقوة العادة والعرف أي بقوة قناعة الجماعة بصحة هذه القضية أو تلك.

ماذا يبقى للفرد في هذه الحالة من حرية اختيار، إن الخيارات في حياة الفرد محدودة جدًا وسط الجماعة فبعد عشرين عامًا من التصنيع للفرد من قبل الجماعة يتم إقناعه بانه قد أصبح حرًا الأن وعاقلًا.

عن أي حرية وخيارات يتم الحديث الآن؟؟ بعد عقدين أو ثلاثة من الزمن تحت قائمة التعليم والتربية والخبرات التي تلقاها حتى كيف ينام ويأكل ويشرب ويلبس الخ...

إن الجماعة أو بشكل أدق العائلة هي المنتج الفعلي للأفراد وفي حال

انغلاق الجماعة.

فبإمكانها أن تنشيئ الأفراد تمامًا كما هي رغم اختلاف الوسط المحيط من ثقافات مغايرة، ما الذي بقي للفرد الآن؟

الفرد هو العنصر الأساسي الذي تقام عليه الجماعة، والفرد هو الذي ينتج الجماعة ولولا الأفراد.

.والحاجة لوجود حيات الإنسان وأستمرارها لما كانت الجماعة.

والجماعة في النهاية ليس سوى شكل حاضن لحماية الفرد وتمكينه من البقاء والاستمرار، والعلاقة بين الفرد والجماعة علاقة جدلية وجودية عضوية لا يمكن فصلها، فالفرد صانع جماعته والجماعة صانعة الأفراد.

والإنسان قد صنع بطريقة ما وعلى شكل ما وحدد مكانه ضمن خيارات منها جبريًا مورثًا وبعضها اختياريًا نسبيًا بين السيء والأسوأ.

وهكذا تبقى إبداعات الأفراد وعلمهم محدودًا ضمن الإطار الذي حدد لهم سابقًا وتبقى إمكانياتهم تحت سقف الوسط المحيط والبيئة والظروف وغيرها.

وهذا ما يجعل من المبدعين قلة في المجتمع وليس الأغلبية، فرغم وجود التفاوت النسبي في ذكاء البشر إلا أن كلًا بإمكانه أن يكون منتجًا ومبدعًا في مجاله فيما لو أحسن تأسيسه منذ الأصل.

جميع الأطفال هم عباقرة ومبدعين ولكننا حين نتدخل من أجل تربيتهم وتوجيههم وتصنيعهم نقوم بقتل تلك العبقرية التي نحن في الأساس نبحث عنها ونسعى لتمكينهم منها وبلوغها لديهم بقدر الامكان.

إن الإبداع هو نشاطًا فرديًا بامتياز، يسلكه فردًا ما ويثبت صحته ونجاحه بالتجربة والخبرة ويتم تعميمه بعد ذلك وعلى الرغم من اتساع وثراء العقل والإنتاج الجماعي، إلا أن الإلنتاج الفردي هو أساس التجربة الأبداعية ومنتجها، فحتى أكبر المقطوعات الموسيقية والأفلام وأكبر الأعمال الجماعية الفنية كالسينما والمسرح وغيره ينتجها كفكرة شخصًا واحد في البداية. ثم تقوم الجماعة بتنفيذها معًا، إن الفرد وتفكيره الحر الواعي هو أساس العملية الابداعية. ومن النظرة الأولى للأبداع والإنتاج الفني عبر التاريخ نكتشف حجم الإبداعات الفردية في التاريخ وأهميتها وغناها.

إننا في أمس الحاجة اليوم إلى إعادة فهم وصياغة العلاقة بين الفرد والجماعة في للتاريخ فقد تشوهت هذه العلاقة منذ قديم الزمان، منذ أدلجة التاريخ والثقافة الإنسانية، اننا بحاجة إلى المصالحة بين الفرد والجماعة وإعادة النظر في العلاقات بين الجماعة والفرد وداخل الجماعة نفسها. الأسرة وكافة انواع الجماعات الاخرى، إن العالم على هذا الصعيد يعيش في غيبوبة ثقيلة ومازال تحت تأثير الجماعة الأبوية الذكورية ومزاجها ولهذا وجب الغطرسة والقوة في القيادة، والشخصية القيادية هي تلك الشخصية التي تفرض نفسها على الآخرين وهي ليست الشخصية التربوية أو الروحية بل هي الشخصية الإدارية القوية وذات الطاقة السلطوية وحسب، إن الأفراد هم المبدعين والمنتجين لكل جديد في التاريخ.

، إن الجماعة والفرد في العملية التاريخية هما نسيجًا واحدًا وذو أهمية

بالغة لكلًا منهم وما العملية التاريخية سوى عملية إجتماعية يعيشها المجتمع بأفراده وعناصره كلًا له دوره ووجوده في العملية الإجتماعية والتاريخية سواء كانت مرحلة حسم وأزمات أو رخاء وأعتدال فكلًا يعيش دوره ومرحلته في العملية التاريخية.

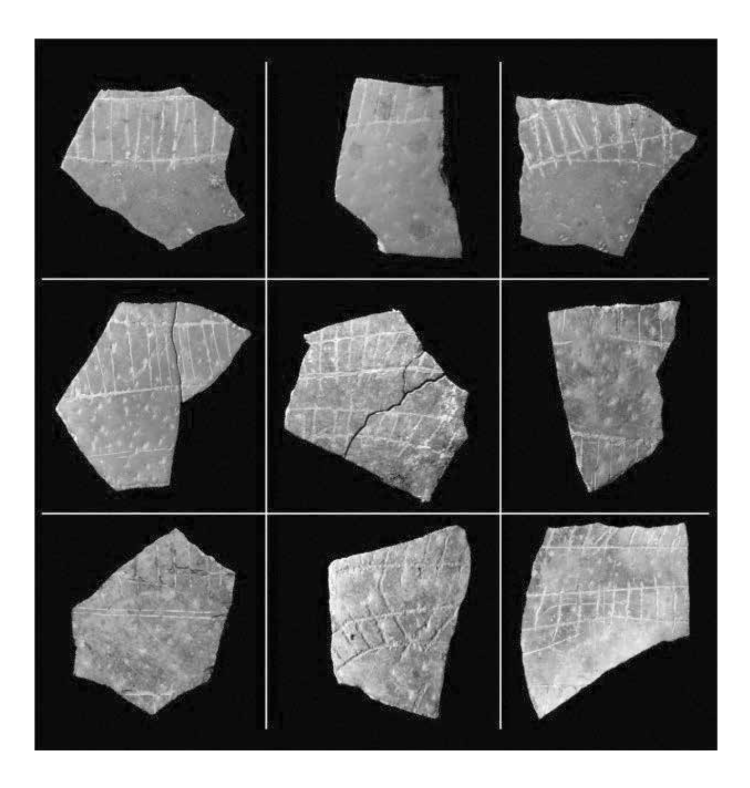
إن التاريخ تصنعه الشعوب والجماعات كلًا حسب وجوده الإجتماعي وليس من فرد أو جماعة تقوم بصناعة التاريخ فالتاريخ يعاش ويصنع معًا.

وعندما نعيش حياتنا نكون قد صنعنا التاريخ بطريقة ما، وتأتي نخبة من الناس لتصنيعه لنا من جديد في روايات تروى من زاوية ما بينما يراها الأخرين من زاوية أخرى.

2. حركة التاريخ وقوانينه

المجتمع من أعقد الظواهر حركة على كوكب الأرض وعلى الرغم من خصوصية المجتمع البشري وتطوره إلا أنه يخضع لقوانين الطبيعة في النهاية وتفعل فعلها به كما في الظواهر الأخرى ومن أهم قوانين الطبيعة المؤثرة في المجتمع هي:

- قانون الوحدة والصراع
- قانون التراكمات الكمية تؤدي إلى تغيير نوعي
- قانون التوازن
- قانون نتفي النفي



قشر بيض نعام نقشت عليه زخارف ورموز يرجع تاريخه الى ٤٥ الف عام







- الضرورة والصدفة
- والزمان والمكان والحركة
- السبب والنتيجة
- الإمكانية والواقع
- ألفرضية والإمكانية والواقع
- الخاص والعام
- الإحتمالية والوجود

إن فعل هذه القوانين في الطبيعة يختلف عنه في المجتمع وليس من ظاهرة في الطبيعة إلى وتخضع لهذه القوانين وفعلها وتفعل فعلها بحسب طبيعة الظاهرة أو العنصر المعني إن فعل هذه القوانين في المجتمع يصبح فعلاً معقداً بتعقيد المجتمع البشري والوعي البشري ذاته، فالمجتمع البشري من أعقد اشكال الحركة والوجود. والوعي البشري اكثرها تعقيداً على الإطلاق فما بالك مع خضوعه لقوانين الطبيعة العامة المعقدة التي تفعل فعلها في هذه الظاهرة المثالية على قاعدة مثالية الظاهرة الجديدة والتي أخضعت القوانين لطبيعتها وتأقلمت معها واصبح فعلها متناغماً وخاضعاً لطبيعة الظاهرة الجديدة في جوهرها أي "مثاليتها".

إن خصوصية هذه القوانين في فعلها داخل الوعي والمجتمع الإنساني ينقلها إلى مكان آخر ومساحات جديدة من الوجود المثالي تلك المساحة الوهمية الواقعية معاً.

مما يجعل من هذه القوانين قوانين خاصة بعد أن كانت عامة لقد خضعت للخاص في شكلها بينما حافظة على العام في مضمونها واستمرت في الوجود ومن هنا نسميها قوانين التطور الاجتماعي أو ألتاريخي.

إن حركة التاريخ هي حركة طبيعية داخلية تسير وفق قوانين عامة تشمل الواقع بأسره وتفعل فعلها في العملية التاريخية خارج الوعي وهي فاعلة سواء قمنا بإدراكها أم لا.

إن أهم قانون في الطبيعة والذي يشكل جوهر الظواهر جميعها هو قانون الوحدة والصراع. يشكل هذ القانون أساس كل ما نشاهد فهو يحتوي في جوهره على تناقضات غريبة وتوازنات قوى، فهو قانون الصراع والتوازن والبقاء ضمن الوحدة، إنه قانون الصراع والتناقض والتوازن معًا قانون ثلاثي الأبعاد ورابعها الوحدة، والتغير في التوازنات سيؤدي حتمًا إلى تغير على شكل وجودها، قد يصل إلى نفيها بالكامل وحلول شكل جديد مكانها مكونًا من عناصرها القديمة. علينا تفهم هذا القانون وفعله في التاريخ، إن هذا القانون ينطبق على أي وحدة كانت ومهما اختفت انواعها فإن لهذا القانون العام الطبيعي فعله الدائم والذي يلعب دورًا حاسمًا في عملية التغيير والتقدم الاجتماعية.

وفي حال اخذنا الإنسان كفرد أو المجتمع كوحدة ومثل وبحثنا عن فعل هذا القانون داخل اي وحدة وألقينا نظرة على فعله بأشكال مختلفة ومتنوعة فالأسرة تعيش تناقضات بين أفرادها والجماعة كذلك والعشيرة والقبيلة والحزب والدولة الخ...

فأي وحدة إجتماعية لها تناقضاتها الداخلية العميقة والتي تسير وفق اولويات وتوازنات القوى والمصالح، إن العلاقات البشرية بالأساس علاقات اجتماعية وهذه العلاقات قائمة بالأساس على مصالح مشتركة بين الفرد والجماعة وتشكلت الجماعات والقطعان وليس من تناقض أساسي بينما هو تعارض وتوازن مشترك بطبيعته ولكن أدلجة الجماعة والمجتمعات ونشوء الملكية والعبودية، نشأت علاقات غير طبيعية بين أفراد الجماعة بحيث اصبحت الطبقية والفوارق الاجتماعية هي الاساس بين الافراد العبد والسيد مما جعل من العلاقات الداخلية للجماعة تصبح علاقات تناحرية بدل علاقات التوازن والمصالح البشرية.

لقد حولت ادلجة الملكية والعبودية الخاصة الفرد والجماعة الى وسيلة استغلال واستثمار مربحة ليس هذا وحسب بل واستحوذ السيد الرجل عليها بذاتها وامتلكها واصبحت للجماعة عبارة عن مزرعة واستثمار له واقطاعية خاصة مما جعل من التعارض داخل الجماعة يتحول الى تناقض بل إلى تناحر على ملكية الانتاج والمنتج نفسه.

إن نشوء الملكية قد أدى إلى نشوء مجتمع الطبقات التناحري.. ومنذ تلك الساعة والمجتمع يعيش حالة الانقسام على نفسه وفي ظل قوانين الملكية الخاصة وحمايتها مما يعني التناقض الحاد والصراع التناحري بين فئات وطبقات المجتمع على ملكية المنتوج الاجتماعي.

إننا ما زلنا نعيش نفس المرحلة مع تطورات تقنية وتكنولوجية وواقعية، إن نظام العبودية الأساسي لم ينتهي بعد بل مازال في

أوجه وقادرًا على تجديد إنتاج ذاته بشتى السبل والتأقلم مع الظروف مع بعض التعديلات. إن طبيعة التركيبة الاقتصادية الاجتماعية وعلاقاتها الانتاجية ونظام الملكية هو الأساس في حركة المجتمع وتناقضاته وفي حال تعارضة هذه العلاقات مع مصالح أفراد معينين سواء كانوا أقلية أو أغلبية فإن هذا يعني إن المجتمع سيكون متعارض وفي حال وصول هذا ألتعارض إلى مرحلة التناقض فإن الصراع يصبح تناحرياً بل وجوديًا.

إن أساس صراعات الجماعة اقتصاديًا بالدرجة الأولى وليس حضاريًا أو ثقافيًا بل على صعيد الثقافة وأثرها فإن كافة الحضارات قد أخذت الكثير والمتنوع من الثقافات المجاورة لها أو ذات التواصل وما زالت تتعلم منها وتتأثر بها.

إن أساس الحروب والعنف والثورات الاجتماعية ينبع من المصالح الاقتصادية للطبقات الحاكمة أومن أجل السيطرة على موارد جديدة أو قمع ثورات تطالب بتغير العلاقات الاقتصادية ونيل حصة أكبر من المنتوج الاجتماعي. إن أساس مقومات الحياة الإنسانية ليس إجتماعياً فحسب، فالمجتمع بحاجة إلى منتوج وسلع منتجة إجتماعياً من أجل العيش وفي حال لم يملك الإنسان ما يكفيه من هذه السلع فانه يتعرض للضرر وعدم القدرة على الاستمرار في العيش ويستمر تحت وطأت ذل العيش وقساوته من الطبقات والفئات المسيطرة في المجتمع، إن هذه الطبقة الغير مالكة المعدمة هي الطبقات المرشحة للقيام بالثورة دومًا. وإشكالية هذه الفئات انها بالعادة وبحكم صعوبة ظروفها

فهي طبقات غير مثقفة وبحاجة إلى المثقفين والنخبة لتقودها وتوجهها وهذا ما يعرضها للفشل في تحقيق الأهداف رغم نضج الظروف الموضوعية لثورتها في الكثير من الأحيان. إن القيادة تلعب دورًا حاسمًا في الكثير من الأحيان بحيث تهادن وتجهض مطالب الثورات من خلال الحلو ل التي تقبل بها على حساب القضايا الأساسية التي تقوم الثورة على اثرها فالتناقضات الاجتماعية تختلف بحكم تطور المجتمع وتعقيد تركيبته وعلاقاته الإنتاجية وتداخلها وأختلاف النمط الاقتصادي من بلد إلى أخر، إن أساس حياة الإنسان هو الإنتاج الاجتماعي والمجتمع يعيش صراع من يمتلك هذا المنتوج الاجتماعي ويتحكم به.

هذا هو المحرك الأساسي للصراعات عبر تاريخ البشرية فالصراعات السياسية بكافة أشكالها هي صراعات قائمة على تقاسم المنتوج الاجتماعي ومن يمتلكه ويحتكره، سواء كان هذا الصراع بين أفراد أو جماعات و أحزاب ومؤسسات أو دول.

فهوا في النهاية صراعً اقتصاديًا تناحريًا.

بين المالكين لهذا المنتوج وغير المالكين وبين حجوم الملكية المختلفة وأنواعها إن تناقض العلاقات الاقتصادية الاجتماعية التحتية مع البنية الفوقية للمجتمع البشري هو القانون الهام والاساسي للذي يؤدي إلى الصراعات السياسة في المجتمعات البشرية. بحيث ترزح الطبقات والفئات الفقيرة تحت قساوة العيش والإستعباد وفي الوقت الذي تراكم به الأقلية المالكية ثرواتها بشكل فاحش.

إن تراكم الثروات في أيدي قلة يؤدي إلى تغيرًا نوعيًا في المجتمع حيث تصبح الاغلبية الساحقة المعدمة غير قادرة على الاستمرار في نفس الظروف.

بينما تزداد ثروات المالكين وتزيد غطرستهم خوفا على مصالحهم وضررها.

أن هذه التراكمات تخل بالتوازن القائم سابقًا في تقاسم المصالح المشتركة بين أفراد الجماعة من غذاء وأمن وحماية وحياة، فتغير التوازنات وبتغير الواقع الاقتصادي من ضيق إلى اكثر ضيقًا.

مما يدخل المجتمع في أزمة لا تحل إلى بتغير ما في البنية الفوقية وقوانينها.

بهذه الطريقة يفعل قانون التراكم الكمي ويؤدي إلى تغيير الوعي وهنا يدخل قانون النفي حيث تنضج مرحلة ما منتقلة إلى مرحلة أخرى أي أن الجديد بنفي القديم ويحل محله مستفيدًا من موروثه ما أمكن، إن فعل القوانين الاجتماعية باطنيًا وبحاجة إلى دقة وشمولية في الرؤية من أجل فهمه فقوانين التطور الاجتماعية دائمة الفعل في كافة المراحل وقد عاش المجتمع البشري منذ نشوءه خاضعًا لهذه القوانين متأثرًا بها.

من كتب التاريخ

الكتبة الأوائل للتاريخ:

نشاة فكرة التأريخ وتدوين الأحداث منذ قديم الزمان منذ أن نشأ الإنسان والوعي وقد كان الإنسان في البداية يروي تاريخه رواية، والقصة والرواية والأسطورة هي أقدم أشكال التأريخ الإنساني بحيث تناقل البشر الأحداث والوقائع التاريخية في حياتهم رواية وقصص ولكن هذا لم يكن كافيًا. فقد نشاء الوعي والتعبير الفني لدى البشر ولهذا عبر الإنسان بالصورة عن الحدث والوقائع.

لقد كان التعبير والتأريخ بالصورة والنقش على الصخور تعبيرًا فنيًا وتاريخيًا ليس لمن يعيشون المراحل ذاتها بل لكافة الأجيال القادمة أيضًا.

لقد شعر الإنسان الطبيعي القديم بأهمية الصورة والتعبير من خلالها ولهذا أنتجها.

وبهذا كان مؤرخًا وموثقًا بطريقة أكثر حفظًا ودقة من المشافهة بحيث تبقى الرسوم والنقوش تمامًا كما تركها صاحبها لا يوءثر بها سوى تقادم الزمن والسنين.

فالمشافهة قابلة للتحريف والتأويل من شخص لأخر ومن جيل إلى أخر بينما النقش الصخري أو الصورة تبقى كما تركها منتجها وهذا معناه أننا نعيش ونستطيع أن نلمس بصمته وأفكاره وما يريد وصفه لنا فعلًا مباشرًا وليس وصفًا وكأننا نعيده إلى الحياة ونتواصل معه عبر مساحة زمانية خاصة، نستطيع من خلالها التواصل عبر الزمن قاهرين

بذلك فعل الزمن نفسه.

إن الفنان هو المؤرخ والموثق الأول للأحداث التاريخية بغض النظر عن طبيعتها ومستوى تطورها وعصرها.

ولم تكن تلك الرسومات والنقوش الأولى سوى محاولات لاشعورية بضرورة توثيق الحدث الاجتماعي والحياة بطريقة ما.

لقد شكلت تلك الرسوم الرائعة مرجعًا إنسانيًا حضاريًا، بحيث عكست وعي الإنسان بشخصيته الطبيعية الصافية الغير مؤدلجة أو مصنعة تمامًا كما صنعتها الطبيعة.

وسنرى في المراحل القادمة كيف تم تصنيع الإنسان والتاريخ معًا وكيف تحول الفنان من مورخًا صادقًا إلى بو قًا لاتسمع منه سوء صدى الاخرين.

لم يكن ذلك الفنان القديم ذات إختصاص فقد كان من الرعاة أو الصيادين أو الزراع وقد تكون النساء أكثر إستعدادًا لذلك وهذا بسبب بقائها بقرب الأطفال وكثرة تعاملها مع إشعال النار وإعداد الطعام، لقد كان الفحم المتبقي من أثر ألنار مادة جاهزة للإستعمال في التلوين.

المرحله الطبيعية:

من كتب لنا التاريخ في المرحلة الطبيعية؟

لم يكن ذلك الفنان القديم ذات إختصاص في تلك المرحلة، فالفن في

الأساس ظاهرة فردية يقوم بها الإنسان لحاجة ما في داخله، حاجة روحية عميقة متاصلة في اعماقه تسري وتدب في جوفه دبيب النمل في مسالكه وسط الغابة.

فلا يقوى على مقاومتها بل يتبعها راضياً متألقا في عوالم فريدة عجيبة لا يعيشها سواه ولا يمكن أن يعيشها البشر إلا فرادى حتى وإن كانوا مجتمعين.

لقد كان ذلك الفنان صياداً أو راعياً أو مزارعًا أومن النساء التي هن بالعادة أكثر إستقرار من الرجال.

بل قد تكون المرأة أو الأطفال المتوسطين العمر هم أول من استخدم الفحم كألون وربما كان غصنًا محترق الطرف من بقايا النار في احدى الكهوف.

لقد كان التعامل مع النار والفحم ذو تأثير مباشر على تفهم قدرة الفحم على ترك أثر على كافة الأجسام التي يحتك بها بما في ذلك جسد الإنسان نفسه والجدران وغيرها.

إن تجريد الوعي لفعل الفحم وتأثيره والقدرة على القيام بذلك بشكل هادف ذات سيطرة على المسار وعلى التعميم قد أدى إلى نشوء الإستعمال للفحم كالون ونحط يشكل أساس هامًا في تشكيل الصورة. ولا يمكننا الحسم من كان أول من التفت إلى ذلك وإستعماله...... الأطفال أم النساء أم البالغين ولكن في النهاية إكتشف الإنسان ذلك ومارس الرسم عبر خطوط وهكذا تم إكتشاف أول لون وأول خط

تم رسمه على الجدران.

عبّر ذلك الفنان عن ذاته أولًا وعن إنطباعاته ورآها الآخرين فنالت إعجابهم، سره ذلك وزاد نشوته وتطور عمله، وهكذا نشاء الفن وكتب التاريخ الأول وكان طبيعيًا أصيلًا... صادقًا معبرًا عن الفنان ومجتمعه وكل ما أحتوته حياته من سلوك وقيم وثقافة الخ...

لقد أوقف ذلك الفنان الطفل الأصيل الزمن، أوقفه في صورة تخترق الزمن وقوانين التواصل عبر الأجيال والقرون وتستمر حيتًا متواصلتًا من جيل الى جيل في عالم الوعي الإجتماعي والذاكرة الجماعية البشرية.

إن هؤلاء الفنانين الصغار الرائعين الذين كانوا في مراحل نمو الانسان الأول هم الأكثر صدقًا و أصالة من كل ما كتب لاحقًا حتى عصرنا الراهن.

فعصرنا الراهن من أقل العصور صدقًا وأصالة وثقافة إنسانية. فالذي صنع ذلك الفنان الأول هي الطبيعة وقوانينها والوعي وما وصله من تطور.

فجاء إنتاجه أصيلا صافيًا بعيدًا عن جنون الأدلجة والتصنيع السياسي الطبقي أو غيره.

لقد أنتج الإنسان ذلك العمل دون إدراك أن هذا سيكون عملًا ذات قيمة عالية ذات يوم.

أدرك الإنسان قيمة هذا العمل لاحقًا، وأنتشر كظاهرة لدى غالبية

الشعوب مما يعني انها ظاهرة إنسانية عامة نشأة في مرحلة متقدمة من تطور وعي الإنسان الفردي والإجتماعي.

لقد بدأ التاريخ فعلا منذ ذلك الحين الذي خطت بها أول صورة جدراية صخرية بحيث إن إحدى أهداف هذا العمل هي التأريخ والتوثيق ونقل صورة الفكرة الحدث وليس المتعة الفردية وحدها وهكذا نشأ التاريخ.....

فالفنان والمبدع هو المؤرخ والموثق الأول وتأتي بعد ذلك كافة أشكال الفنون وأدوات العمل وغيرها الخ...

الكتبة ونشوء الممالك:

أي نوع من الجماعات في العالم سواء كان بدائية أو تجمعات متوسطة أو بشرية متطورة فإن أساس أي جماعة هو البقاء، والحفاظ على الإستمرار في الحياة، واليس تجمع الجماعة في جماعات سوى حفاظ على حياة الأفراد والأستمرار في بقائهم.

وهو سر الحياة الأساسي وهذا القانون يقابل قانون الوحدة والصراع في الطبيعة فقانون البقاء هو القانون الأهم والشامل لكافة الظواهر الحية بما في ذلك الحيوان والإنسان ولهذا سنة غالبية القوانين الإجتماعية والأعراف بناء على هذا القانون.

وتعمل على تغطيته وتحقيقه بطريقة ما بحسب المجتمع وحاجاته ومن أهم حاجات المجتمع من أجل الحفاظ على هذا البقاء سواء للفرد أو للنوع فالجماعة توفر الحاجات الضرورية للعيش من مأكل ومشرب

وثياب وغيرها من البنية التحتية كالمأوى والأدوات المنزلية وغيرها من الحاجات اللاأساسية الضرورية لكل مجتمع.

وهذه الحاجات يجب أن تكون منتجه إجتماعياً حتى يتم إستهلاكها.

ومن أهم العلاقات التي نشأت بين البشر هذه التركيبة المعقدة من العلاقات الاقتصادية الإجتماعية، أي علاقات الناس بالمنتوج الإجتماعي، وبما أن المالكين للمنتوج الإجتماعي ليس منتجيه بل منتجين النظام السياسي القائم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وهم أصحاب السلطة وهم المسيطرين والمالكين للبنية الفوقية، فهم من يقرر كل شيء في حياة الجماعة.

إن نشوء المجتمع القائم على ملكية وسائل الإنتاج أو موارد الطبيعة سواء لأفراد أو جماعات قد أدى إلى ظهور المجتمع الطبقي المتناحر والفاقد للتوازنات في العلاقات الاقتصادية بحيث المنتج الحقيقي لا علاقة له ولا يمتلك إنتاجه بل عليه هو حتى وإن كان حرًا في ما سينتج كما هو الحال في المجتمع المعاصر فعليه اللاإتزام بحاجة السوق وطبيعة السلع المستهلكة التي إعتاد عليها الناس وإلا كانت النتائج فشل تلك السلعة في السوق حتى وان كانت تلبي حاجة للإنسان.

إن العلاقات الاقتصادية هي الأساس الذي تحدد عليه طبيعة المجتمع ونوعيته لقد كان نظام الملكية الشخصية نظامًا طبيعيًا منسجمً مع الإنسان والطبيعة.

فقد كانت ملكية الإنسان تحدد في حاجاته الشخصية فحسب،



صورة ايدي مطبوعة على جدران الكهوف في الكثير من مناطق العالم مختلفة التواريخ ولكنها نفس لتقنية حيث توضع اليد على الجدار وترش الالوان عن طريق انبوب صغير ينفخ به بالفم حول اليد لتثبته على الجدار وعند سحب اليد من مكانها يبقى مكانها مطبوعا على الجدار بطريقة عكس الطباعة المعروفة وادارجة ويتراوح تاريخها ما بين ٢٥ الى ١٥ لف عام.





عصاه أو سلاحه ثيابه أدواته الخاصة مأواه وغيرها على قاعدة الحاجة والإنسجام مع الطبيعة وقوانينها حتى في موضوع التكاثر فقد إعتادت القبائل القديمة على الإبتعاد في النسل عن دم العشيرة.

راحت الكثير من القبائل المتجاورة تتبادل التزاوج فيما بينها والإبتعاد عن الزواج الداخلي في العشرة.

لقد كان كل الفائض عن حاجات الجماعة يبقى في الطبيعة لا يمتلكه أحد أو يكتنزه، يأخذ الإنسان حاجته من الطبيعة، ولكنه لا يمتلكها، بل تبقى كما هي عليه، وبذاتها للحياة جميعها وتطورها وإنسجامها وبهذه الطريقة يتحقق التوازن بين الإنسان والطبيعة وكافة أشكاك الحياة وتنوعا.

لقد أدى مجتمع المكية الخاصة إلى تدمير البنية الإجتماعية الطبيعية المتوازنة وأحل مكانها نظامًا ذكوريًا ودكتاتوريًا تحكمه العقلية الذكورية وافكارها وسياستها.

مما جعل العنف واستعراض القوة وتوازناتها هو أحد قوانين المجتمع الجديد «المجتمع الذكوري» وهو مجتمعًا بدائي حيواني يعتمد على القوة وأستعراض كبار القرون أو الأنياب وطولها أو ضخامة الجسم والعضلات وفي النهاية الغالب يحظى بالإناث والمكافأة وغيرها مثل حق التناسل والبقاء إن هذا بحد ذاته قانون التنافس والبقاء من أجل حفظ النوع وتحسينه في الطبيعة.

هذا لدى الحيوانات وفي الطبيعة العمياء الصرفة.

أما في حاله الوعي فإن الأمر شيء مختلف بحيث إن المجتمع عبارة عن وعي جماعي ذات نظام خاص مختلف وإلى لما استطاع التكيف عبر ملايين السنين والبقاء حتى هذا اليوم.

لقد تحول هذا القانون المعتمد على الفطرة والقوة إلى قانون حاكم حتى لأكثر المجتمعات رقيًا وحرية. إن العقلية الذكورية وبنيتها ونظام الملكية الذي نشاء منذ الآف السنين قد أطاح ببقايا معالم المجتمع القديم ومحاها من الذاكرة الجماعية للمجتمع.

وأصبح السلوك الذكوري البدائي هو الطابع المهيمن على التركيبة الاجتماعية بعلاقتها وبنيتها وثقافتها.

لقد عاش المجتمع البشري ملايين السنين في راحة وانسجام داخل مجتمع وجماعة منسجمة في حياتها مع وجودها كأفراد وجماعة.

وكان مجتمعًا متوازنًا في علاقاته مع نفسه ومع الطبيعة وبذلك كان الإنسان شيء مختلفة تمامًا عن المجتمع المعاصر الهمجي المتوحش وان كان مقصوص الشعر مقلم الأظافر.

مع ظهور الملكية والأنظمة السياسية وبناء الممالك ظهرت الحاجة إلى تأريخ تمجيد الملوك وأنظمتهم والدفاع عنها وهكذا ظهرت الطبقية في المجتمع وظهر مؤرخين السلطان والنخبة العاملة في البلاط ومن ضمن حاشية السلطان الأطباء والحرفين والطهاة والرسامين والكتّاب والمشعوذين والكهنة الخ....

من أفضل ما توفر في أمتداد سلطانه، فافضل الأشياء أولًا للملك حتى

في النساء والخيل والسلاح والقصور والثياب الخ....

وبهذه الطريقة يصبح كل ما أنتج حول هذا الملك أو ذاك هومن إنتاج حاشيته ومحيطه ولهذا سيذكرونه ويصورونه في سلوكه وفي كل شيء بحسب رغباته هو ذاته وليس هم أو الشعب أو كما هي عليه الحقيقة.إ ن منتجين السلطان ليس سوى مرتزقة منافقين وأدوات تكمل للسلطان مراده ومبتغاه وشهواته وتعدل له مزاجه ولا قيمة لهم خارج ذلك.

بل إن ما جعل أعمالهم خالدة هو خلود السلطان وليس خلود الأعمال بذاتها ولما تحمله من قيمة انسانية تاريخية وفنية مغايرة أو مختلفة عن سواها من حيث الإتقان والتقنية والقيمة التايخية.

إن مرتزقة السلاطين بلا إستثناء هم من حثالة النخبة وليس نخبتها، بغض النظر عن قيمة أعمالهم الفنية والتاريخية، وعلى الرغم من ذلك يصورهم التاريخ الذكوري بأنهم من خيرة المبدعين كلما كانوا بلاط تحت أقدام السلطان وعائلته الكريمة، ونادرًا ما نجد مبدعًا أو فنان عبر التاريخ إشتهر وحاز على مساحة كبيرة من الأهمية خارج نطاق مبايعة السلطان أو معاداته.

هذه حقيقة التاريخ في مرحلة السلطة فمنذ نشوء العبودية وحتى يومنا هذا مازال الإنسان عبدًا يعيش في مجتمع القوة والهمجية حتى على مستوى علاقات العالم بين الدول.

فالفحل الأكبر يقرر، ومن يمتلك القرون الأكبر والأقوى يمتلك قرار

وسلطان بسبب هذه القوة وليس بقوة الحق والمنطق والعدل بل القوة هي العدل والحق والنصر والسعادة.

الكهانة وكتابة التاريخ:

مع ظهور الممالك والأنظمة السياسية ظهرت إلى جانب السلطة السياسية إمكانيات السلطة الدينية وقدرتها على تسخير الناس لسلطان الحكم.

وراح الملوك يقيمون المعابد بل إن بعضهم كان رئيسًا للكهنة في مصر القديمة والحضارات السومرية القديمة وغيرها فقد جمع الكثير من الملوك بين الكهانة والسلطة السياسية وفي أوروبا في العصور الوسطا كما يسميها البعض وصلت السلطة الدينية للبابا إلى القرار السياسي، فقد أصبح الملوك عبارة عن موظفين يعينهم البابا ويعزلهم حسب رغباته وبكامل حريته.

لقد لعب الكهنة دورًا هامًا في كتابة التاريخ.

فقد كان غالبية الكتبة من رجال الدين يعيشون في المعابد وكانت تلك المعابد في غالبية الأحيان أماكن لتداول العلوم والمعارف، واعتبارها من أسرار الكهنة والمعارف التي تبقى للخاصة من الناس وليس للعامة.

إن الكثير من المخطوطات والمعلومات التاريخية التي حصلنا عليها حتى اليوم هي في غالبيتها من إنتاج الكهنة أومن كان في حواشي السلطان أو النظام السياسي فلم يكن التعليم في المجتمع الإقطاعي العبودي متاح

للعامة من الناس بل كان مقتصرا على الخاصة وقلما كان أديبًا أو مؤرخًا من عامة الناس عبر التاريخ.

إن سيطرة الكهانة على التاريخ قد أدخل إلى التاريخ الكثير والكثير من الخزعبلات والأساطير التي شوهت حقائق التاريخ وزورت فهمه ولوت الأحداث وصنفتها بحسب معتقداتها وسلطانها.

إن دراسة التاريخ تحتاج إلى الحذر الشديد ومنتها الدقيقهة قبل إعتماد ما وجد وقرائته بشكل مجرد يشكل جريمة كبرى بحق ألتارخ ذاته والإنسانية بأسرها.

مواد التاريخ:

أ. مادة التاريخ المعتمدة رسميًا:

اعتاد الناس منذ القدم اعتماد مواد معينة بذاتها لدراسة التاريخ وهناك تصنيف صادم في التعامل مع هذه المواد واولوية بعضها على بعض وقد اختلفة بحسب المرحلة والثقافة ومستوى تطور المجتمع، وقد صنفت المواد في كافة الأحوال إلى مواد شعبية وأخرى رسمية الشعبية شائعة ومنتشرة بين أيدي غالبية الناس وهي ملكًا للجميع وكلًا يراها ويرويها كما يرغب وحسب مزاجه وهدفه بلا حساب وهذا أحد إشكالياتها، بينما الرسمية موثقة مدونة لاتتغير إلا قليلًا تتعرض للتحريف بين الحين والأخر والتاويل بحسب حاجة السلطان وهذا معناه انها رغم توثيقها إلا أنها تتعرض للتغير والتأويل كلما أصبحت مغايرة أو متعارضة مع مصالح السلطان.

إن ظهور الكتّاب والمختصين قد ظهر مع ظهور الممالك والمعابد والأدلجة السياسية.

وهذا أدى إلى أدلجة كل شيء بما في ذلك التاريخ نفسة وطبيعة مواده وتأويل هذه المواد والأحداث كما تتطلب مصلحة النظام السياسي.

ولهذا أصبحت مواد التاريخ المعتمدة لعبة في أيدي النخبه المرتزقة تلعب بها على هوى السلطان ورغباته وأما القسم الأول منها الشعبي فقد ترك ملهاتًا في يد الشعوب والبنية التحتية، ويمكننا إختصار القول أن مواد التاريخ مقسومة بين البنية التحتية للمجتمع والبنية الفوقية.

وكل مكان من هذه الأمكنة يعبث بالتاريخ ويشكله على هواه وكما يحب ويشتهي.

هذه هي حقيقة مادة التاريخ المعتمدة والتى إقيمت عليها مجتمعات وأنظمة لآلاف السنين وما زال القطار سائرًا.

إن التاريخ الرسمي المعتمد تاريخيا مصنعًا تمامًا كالدمية العجيبة حيث تتشكل عناصرها من الواقع ولكنها مركبة بطريقة مختلفة لا مثل لها في الواقع.

إن التاريخ الرسمي المعتمد تاريخيًا مشكلًا تشكيل وليس كما كانت عليه الأحداث في الواقع وهذا معناه إن التاريخ لابد من غربلته وفصل الغث من السمين من أجل القدرة على رؤيتة الواقع كما وقع وتشكيل صورة أكثر حقيقة للعالم والإنسان والتاريخ.

ب. مكونات التاريخ الرسمي:

كتب الدين القديمة وموروثاتها ومخلفاتها.. تشكل كتب الدين القديمة في العالم مرجعًا تاريخيًا هامًا إن لم يكن من أهم المراجع إن صح التعبير، إن أهمية هذه الكتب ليس كونها تروي أحداثٍ تاريخية فحسب، بل هي كتب فلسفية مؤدلجة تمثل رؤية للعالم والإنسان وتحدد مسارات وشكل معين لحياة الإنسان، وعلى أساسها تبنى مجتمعات وأنظمة سياسية إجتماعية وإقتصادية.

وسواء كانت هذه المراجع التاريخية صحيحة أو مزورة أو مختلطة بينهما لكنها في النهاية تشكل رؤية العالم والإنسان وهذا مرد خطورتها وأهميتها في الحياة البشرية.

فهذه المراجع لعبت وتلعب دورًا هامًا في تشكيل وعي غالبية الأمم والثقافات، وليس من شعب في العالم خالي من الأفكار الدينية أو مايشبهها، وهي مراجع موروثة منذ الآف السنين تفسر الطبيعة والإنسان.

وتحتوي على الكثير من الروايات لأحداث بداية الحياة والنظم والقوانين والتشريعات والأخلاق وطبيعية الملكية وغيرها من المفاهيم الحقوقية والإنسانية سواء إقتصادية أو غيرها.

لقد رافقت الأديان الكثير من الانظمة السياسية مرافقة الحاجة والإندماج أحيانًا وأصبح الدين من أهم أدوات النظام السياسي وجزء هام من البنية الفوقية فقد سخّرت اللأنظمة السياسية كل ما توفر تحت سلطانها من أدوات وأدلجتها وصاغتها على هواها في بعض الأحيان.

ج - الأساطير القديمة:

تشكل الأساطير القديمة أهم المصادر التاريخية للشعوب في فهم معتقداتها وحضاراتها وطريقة تفكيرها في الكثير من الأمور بما في ذلك الإنسان وطبيعته ومجتمعه.

أثّرت الأساطير على الوعي الجماعي للأمم أثرًا لا يستهان به فالأسطورة تنطبع في الوعي الجماعي للشعب بل وتساهم في صناعته، ورغم أن الشعب يدرك أنها أسطورة إلا أنه يتناقلها ويفاخر بها كجزء هام من ثقافته وهويته ومعتقداته وحضارته.

إن الأسطورة رغم خيالها وعدم مصداقيتها إلا أنها تحمل تاريخ أماكن وأحداث في الغالب قد وقع وحدث في الواقع ولكنه أول وصنع خياليًا لهدف ليس له علاقة بالأسطورة ذاتها فالرموز المراد توصيلها والفكرة والهدف قد يكون ديني أو سياسي أو أي شيء أخر في حينها.

إن الاساطير والرواية القديمة الرسمية المكتوبة تشكل أحد المراجع الهامة للتاريخ.

د - الشعر والأدب الرسمي:

يشكل الأدب التاريخي شعرًا أو نثر أهم المراجع التاريخية المكتوبة لدى الأمم بل ومرجعًا لغويًا وتاريخيًا هامًا وكذلك القصة والرواية وكافة أشكال الأدب المكتوب.

فالأدب وإن كان ملاحقًا ومحاصرًا من قبل الأنظمة، إلا أنه أكثر تعبيرًا وحرية من الأساطير والمواد الدينية وذلك كونه شعبيًا في الغالب.

ففي الأدب تتجلى الأحداث كفن أكثر منها تاريخًا وهذا الفن لا بد أن يحمل نوعًا من المصداقية، التجديد والحرية مهما بلغت درجة حصاره.

هـ - الوثائق السياسية والرسمية:

تشكل الوثائق السياسية والرسمية والمعاهدات وغيرها من المواد الرسمية المكتوبة جزء هامًا من تاريخ الشعوب الرسمي المتعارف عليه كمراجع تاريخية، وقد عاش الإنسان فترة طويلة من الزمن ولا يوجد طريقة للحفاظ على الإتفاقيات المكتوبة سوى بأرشفتها بعد أن أصبحت مكتوبة على أوراق بدل الخشب أو الألواح الطينية.

إن إشكالية الأوراق أنها لا تحتمل عوامل الزمن مثل الطين والمعادن كالنحاس والبرونز أو الحجر أو الجلد وحتى الأوراق ألقديمة المصنعة فهي مقاومة للزمن حيث تكون معدة للكتابة أفضل بكثير من الأوراق الحديثة، وهناك الكثير من منتجات ورق نبات البردي ما زالت موجودة في المتحف وقد مر على انتاجها الآف السنين وقد استخدمها المصرين القدامى للكتابة وصناعة الحبال والكثير من المنتجات الأخرى.

وتشكل الوثائق السياسية والمخطوطات أهم المراجع للباحثين في علم التاريخ فهذه الوثائق تحتوي على إثباتات العصر الذي عاشته وتعكس طبيعته وتوازناته الإجتماعية والسياسية والإقتصادية.

مواد التاريخ الفعلية:

1. العصر الحديث والتاريخ:

إمتاز العصر الحديث بكثر البحث والباحثين في علم التاريخ ولم يعد الأمر مقتصرًا على المحترفين بل أصبح مفتوحًا على هواه والناشئين في هذا المجال.

وقد سهلت وسائل التواصل والإعلام هذا الأمر وافتحت الباب على مصراعيه في عالم المعلومات والبحث والتحليل.

وكذلك شكل وضع كافة المنتجات المتاحة على الفضاء الرقمي إلى سهولة الوصول حتى لأقدم المخطوطات دون الحاجة إلى السفر والبحث عنها في أدراج المتاحف.

لم تعد مادة التاريخ متاحة للجميع بل وسهلت المنال في أي وقت، وليس هذا وحده بل إتسع محيط هذه المواد حتى شمل الكثير من المجالات مثل الصحافة والتلفاز والأفلام الوثائقية وغيرها من مواد العصر الحديث وأستعمالاته.

لقد إنقلب مفهوم المصادر والمراجع التاريخية المقدسة والصعبة المنال والتي تحتاج إلى إختصاص صعب إلى مواد شاسعة سهلت المنال بإمكان الباحث الحصول على الكثير منها وهو جالس في بيته خلف جهازه الحاسوبي.

لقد أصبحت مواد التاريخ بكم متراكم مذهل وأصبح توفرها سهل المنال مما يتيح المجال للتوسع وإعطاء الوقت الكثير من جهد العمل

أثناء البحث إلى التأمل والتفكير بدل جمع معلومات الذي كان يستغرق أكثر من نصف وقت البحث.

لقد إتسع مفهوم مواد التاريخ ومراجعه ولم يعد بالإمكان حصره في المستوى الرسمي بل إن الأثر الشعبي في الكثير من أنواعه قد أصبح موثقًا ويشكل مراجع تثبت أو تدحض روايات تاريخية ما في بعض الأحيان، كالصحف والمجلات والرسم والكاريكاتير والرسم الزيتي التصويري وغيره من المواد.

لقد إنفتح العالم في كل شيء من ناحية معلوماتية وحدودية وثقافية وحضارية.

إن الموروث الكتابي للبشرية بكامله هو المرجع الفعلي التاريخي الحقيقي في تاريخنا المعاصر.

2. الموروث الفني:

إن الموروث الفني من شعر وأدب وموسيقى وكافة الفنون المرئية من رسم ونحت تصوير وزخرفة قد أصبحت اليوم من ضمن مسائل التاريخ، وهذا يعني إن بمقدور الأجيال القادمة وإن لم تلتقيها ستكون لديها حصيلة غنية وكافية لإعطاء صورة حقيقية وأكثر واقعية عن هذا التاريخ واميسرته في أي مرحلة من المراحل.

3. الموروث الحرفي والمهن التطبيقية:

المهن والحرف وطرق معالجة المواد تشكل مرجعًا تاريخيًا هامًا لمن

يرغب في دراسة التاريخ وفهمه وليس من حرفة تقليدية في المهن الأساسية إلا ولها تاريخها ومعلوماتها الخاصة ومصطلحاتها الخ... وهذه المعلومات والمواد تشكل مراجع صادقة ودقيقة منتها الدقة في الكشف عن حقائق أساسية هامة عن العصر المقصود، وذلك كونها معلومات تطبيقية يمكن تطبيقها وممارستها في أي وقت وإنتاجها وممارستها كحرفة يثبت لنا مدى دقتها ، لهذا تُعتبر الحرف اليدوية، معلوما ومواد وإنتاج، مادة صادقة وثررية لدراست التاريخ ودلاءله وإثبات مدى دقة الحقاءق ألمكتوبة عن التاريخ.

4. العمارة والزخارف المعمارية:

يشكل الفن المعماري إحدى أهم مراجع التاريخ البشري فبناء المساكن والزخارف تشكل مرجعًا تاريخيًا هامًا ومكملًا للموروث الإنساني الحضاري والتاريخي.

فمن خلال العمارة بإمكاننا التعرف على الكثير من القضايا الإنسانية الحياتية للمجتمع وتفاصيلها سواء نظام إقتصادي أو زراعي أو حرفي أم مدن ومراكز إدراة، فالعمارة والمباني تصور لنا حياة البشر ونوعيتها ومعتقداتهم ومدى رفاهيتم ونوعية المرحلة ومعالمها الأساسية.

إن المرجع الحقيقي لعلم التاريخ المعاصر لم يعد محصورًا في أوراق وجلود قديمة بل إن الموروث الإنساني بكامله هو المرجع التاريخي الحقيقي لداسة التاريخ وفهمه.

أضف ألى ذلك إنفتاح علم ألآثار على علم التاريخ وفرض حقائق

جديدة ذاتها في الواقع قد جعل من مواد التاريخ بشكلها المجرد غير كافية ولا تعني شيء أمام الحقائق الصارخة التي أثبتها علم الآثار وخاصة تلك الحقائق التي تثبت إن تاريخ الإنسان العاقل يزيد عن الثلاثة ملايين عام أو أربعة.

لقد أثبتت إحدى القطع الفنة الأثرية بع الفحص وهي من الطين المتحجر إن تاريخها يعود إلى ثلاث مليون و٦ عام وهي عبارة عن مجسم طيني لوجه إنسان قديم. إن أهيمة هذه المنحوتة تكمن في إثباتها أن الإنسان الواعي المثقف يزيد عمره عن الثلاث مليون عام وهذا يتناقض مع كل ما وجد مكتوبًا.

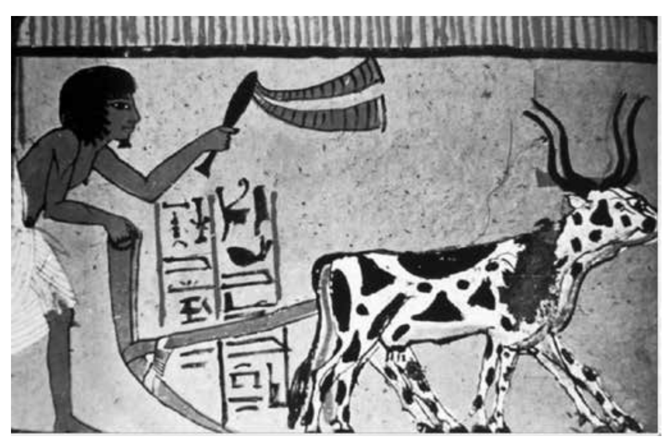
إن مفهوم المواد التاريخة الخاضعة للبحث وإثبات التاريخ وتسجيله من خلالها

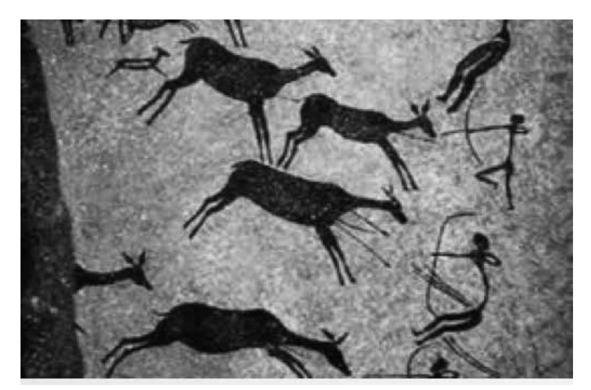
قد إنتقل إلى عوالم جديدة أصبحت شاسعة وشاملة للموروث الإنساني بكامله بغض النظر شعبياً أو رسمياً بالإضافة إلى دخول وسائل تأريخ وتسجيل الأحداث والحياة البشرية وقد ذكرنا كم حجم الأكتشافات الإنسانية في القرن الماضي وأهميتها في نقل المجتمع نوعيًا إلى مرحلة جديدة كاملة من مراحل التطور، وهي مرحلة العالم الإفتراضي والثورة ألرقمية التي شكلت أحد الأسباب الرئيسة والمحركة لنشوء الأزمة العالمية المعاصرة المستعصية.

الخلاصة النهائية بإمكان أي باحث أن يأخذ أي مادة من التاريخ أو الأثر ويستعملها كدليل على إثبات رأيه ومكتشفاته أو إستنتاجاته وتدعيمها.

لقد إنفتح علم التاريخ بلا عودة على تلك المساحات التي أصبحت تستوعب تفاصيل ومعلومات حول المواد والاثر وغيره مما سيُعزز قدرة الأجيال القادمة على فهم ذاتها والحياة والعالم.













الفصل الرابع

أهميه التاريخ للبشرية

يشكل علم التاريخ أساسًا هامً اللبشرية المعاصرة فاغلبية المجتمعات والأنظمة مقامة على أساس تاريخي وسياق متواصل للحدث التاريخي. كظهور الأديان مثلاً أو إحتلال الدول لأراضي بعضها بعضًا وأستمرار ذلك وغيره من الأمثلة.

ومن الجدير بالذكر أن الكثير من المفاهيم والقيم والقضايا الحقوقية الخاصة منها والعامة مازالت قائمة حتى يومنا هذا على الأساس الذي وضعت عليه قبل الآف السنين والإشكالية ليس هنا فحسب ; بل هناك إشكالية أخرى وهي إشكالية كيفية فهم هذه القوانين والمفاهيم وكيفية تطبيقها.

ففي العالم الكثير من النماذج لوعي اجتماعي معين وخاصة في تلك الأديان المطلقة والشوفينية حيث بقيت القيم والسلوك كما هو عليه منذ نشوء هذه الأفكار في الوقت الذي تغير المجتمع من حيث تطوره وطبيعة المرحلة التي يعيشها ونوعيتها بل وتغير الأدوات والمفاهيم الأخرى بما فيها المفاهيم الفنية والإجتماعية والسياسية.

أما القضايا الأساسية فقد بقيت على حالها ولانقصد هنا المفاهيم الإنسانية العامة مثل الحب والصدق والأمانة وإحترام الذات

والأخرين وغيرها من القيم الإنسانية الأساسية التي لا تتغير عبر التاريخ والزمن فهي من ضمن فطرة الإنسان وطبيعته الأصلية وهي جزء أصيلًا منه.

فأهمية هذا العلم تكمن في كونه شكل الأساس ألذي قامت عليه المجتمعات الإنسانية بكاملها وبما أن الإنسانية تعيش أزمة مجنونة، وجب عليها إعادة النظر ليس في أساسها وبنيتها الفوقية وحسب بل اعادت النظر في التاريخ ذاته الذي بنيت وأقيمة هذه الأنظمة استنادا إليه، إن على البشرية إذا أرادت الحياة فعلًا أن تعيد النظر في مفاهيمها وأساسها الأول ومنه إلى صياغة ذاتها من جديد بما ينسجم مع الحياة الجديدة ومرحلتها.

ويمكننا تلخيص أهمية علم التاريخ للبشرية في النقاط التالية:

1. التوثيق والتدوين
2. تعلم وتوراث
3. فهما الأحداث والتعلم منها
4. الأستمتاع والترفية

ونستطيع القول إن التاريخ أيضًا:

أ. ذاكرة فردية وجماعية

ب. ثقافة وقيم

ج. خبرة ومعرفة

د. التاريخ حضارة

- التاريخ معرفة وعلم:

إن التاريخ معرفة وعلم في الوقت ذاته ودراسة التاريخ ليس فقط عن أحداث ماضية أو حياة كانت في السابق فهذا السابق هو أساس الحاضر وسلسلة المستقبل.

ومن أهم ميزات مادة التاريخ إنها مادة معرفية، أي نزيد معارفنا ونوسع نطاق رؤيتنا وفي الوقت نفسه تزيدنا علماً عن الحاضر والمستقبل ونتمكن من القدرة على فهم الحقائق عن ذاتنا والعالم.

ويمكننا تلخيص العنوان بكامله بالنقاط التالية:

أ. إكتشاف وعلم

ب. معرفة وتطور

ج. فهم الحقائق

د. تكوين رؤيه للذات والعالم:

من أهم القضايا التي يستفيدها الإنسان من دراسة التاريخ وفهمه بطريقة علمية ومنطقية هي:

1. تطوير الذات ومعرفتها
2. فهم العالم المحيط
3. فهم المجتمع. والتاريخ
4. فهم الماضي والحاضر وعلاقتهما
5. رؤية المستقبل والتخطيط له
6. إمكانية قيادة التاريخ

الفصل الخامس

الاتجاهات المعاصرة في علم التاريخ

أحفاد هذا العالم:

سبق لنا في فصل سابق تحدثنا حول مدارس وإتجاهات علم التاريخ وقد أشرنا في حينها وقسمناها إلى ثلاث إتجاهات أساسية وهي:

1. ألقدرية الجبرية
2. العلمية الحتمية
3. الانتقائية العبثية

إن هذه الإتجاهات الأساسية السالفة الذكر هي الإتجاهات نفسها وليس الحديثة المعاصرة سوى إمتداد لهذه الإتجاهات مع بعض التطورات على ديكور وإخراج هذا الإتجاه أو ذاك ولكنها في النهاية ذات جذور واحدة ولكل منها جذوره عبر التاريخ ومراجعه ومشتقاته التاريخية.

فالاتجاه القدري مازال متواصلا بأشكاله المختلفة بل وزادت سيطرة في بعض المواقع.

والإتجاه العلمي كذلك فقد شهد القرن الماضي نشوء تجارب وأنظمة إجتماعية قامت على أساس التغيير العلمي والمنطقي للتاريخ وقد إستطاعت رغم فشل بعضها أن تعطي نموذجًا حيًا عن إمكانية إقامة مجتمع يسير نحو تحرير الإنسان من عبوديته المزدوجة وكذلك

الانتقائية العبثية التي تطورت حتى وصلت إلى مرحلة سيطرتها على العالم وتشكل جزء هامًا من نظرياته.

إن الأهداف العليا لهذا الإتجاه تطمح دومًا الى السيطرة على العالم فرض هيمنتها وصرف الصراع عن مساره الحقيقي.

وذلك من خلال استغلالها للإتجاه القدري المتوتر ومفاهميه وأعادت إحياءه من أجل الإبتعاد عن الرؤية الفعلية والحقيقية للصراع.

إن هذا الإتجاه الأخير هومن الإتجاهات العالمية ألأكثر وحشية وخطورة وضبابية بحيث ينتقي ما يشاء و يبقي ما يشاء سواء في علم التاريخ أو العلوم الإنسانية الأخرى.

إن طبيعة المرحلة التي نعيشها في غاية الخطورة حيث هناك إتجاه يسيطر على إتجاه آخر ويستعمله كاداة في تحقيق مايريد. إن هذه الاتجاهات في علم التاريخ ليس بمعزل عن التوازنات السياسية العالمية والصراع العالمي بل هي اداة في الصراع وتعتبر كل نظرية أو إتجاه في علم التاريخ في النهاية تابعًا أو مدافعًا عن جهة سياسية يتفق مع آرائها ونظرايتها بكاملها بل وتقيم أنظمتها بناء عليها.

إن تناقضات المجتمع المعاصر وصراعاته هي إمتداد وإنعكاس لحركة التاريخ المعاصر ومن أجل الحفاظ على النظام السائد واطبيعته المتناقضة بالأساس لا بد من وجود صراعات وتناقضات تشغل العالم عن السعي وتشكيل رؤية جديدة للعالم.

إنه صراع القديم والجديد صراع الإنسان من أجل حريته وحياته

واستعادتها.

إن إتجاه القدرية في التاريخ لم يعد سوى أداة في يد القوى المسيطرة على العالم، هذه القوى التي أصبحت تملك ثروات العالم بكاملة وتركزها في يد أقلية لا يزيد عددها عن خمسة الآف من عدد سكان العالم.

إن الإتجاه الإنتقاءي العبثي في علم التاريخ إتجاه غامض في رؤيته للتاريخ بل يحاول إخفاء حقيقة رؤيته الرجعية والعنصرية للتاريخ حيث يصنف البشر على أساس أعراقهم ومقدار ممتلكاتهم اخ من التصنيفات التي لا تمت بصلة للإنسانية، حيث يسير الصراع العالمي الحالي باتجاه الضبابية والتطرف ومحاولة صناعة عالم وإنسان من نوع جديد ووعي جديد يتانسب مع طبيعة الإنتاج ونوعيتة.

1. العلمية الطبيعية

إن الإتجاه العلمي الطبيعي إذا جازت التسمية هو الإتجاه المعبر عن حركة الشعوب ومصالحها العليا وذلك بحكم تلائمه في إستنتاجاته ورؤيته للتاريخ مع المصالح والرؤية البعيدة المدى للشعوب ومساعدتها على كشف الحقإق العلمية حول مفهوم ألتاريخ وإمكانية صناعته وقيادته نحو مستقبل أفضل للبشرية والحياة بأسرها وإعادة صياغة مفاهيم ألبشرية على أسس.

الإنسانية الحقيقية من تقاسم الثروات إلى المساوات بين جميع أصناف البشر ولثقافات والأمم والحفاظ على الحياة والبيئة والتخلص من كافة أشكال العنصرية وإستغلال الإنسان للإنسان. إن إتجاهات علم

التاريخ قد شكلت أساس الأدلجات العالمية واتجاهاتها عبر التاريخ ومازالت حتى يومنا هذا تشكل أساسًا ورؤية مؤدلجة للتاريخ وتفسيره وذلك من أجل صناعة المستقبل والإنسان بناء عليه.

إن مبررات القوى الرجعية ونظرياتها في علم التاريخ سواء كانت العبثية أو القدرية الجبرية قد أصبحت ضعيفة وهشة أمام مواجهة قوة الإكتشاف العلمي والأثري من جهة ومواجهة السهولة في تناقل المعلومات والتواصل بين أفراد البشر وفتح الباب على مصراعيه أمام الباحثين والهواة بل وغيرهم من عامة الناس للمعرفة والبحث والإطلاع على جني البشرية الثقافي والفكري والعمي.

إن العالم يعيش حتى يومنا هذا على ذلك في المستقبل أيضًا، صراعًا متصاعدًا بين هذه الإتجاهات وذلك بحكم طبيعة الصراع الذي يعيشه العالم، فالعالم يعيش صراعًا تناحريًا بين قوى متصارعة بالأساس على السيطرة على العالم وموارده الاقتصادية بكاملها، بل إن العالم يسير بإتجاه مملكة إستعمارية همجية متغطرسة مجنونة لا تعرف حدود لأطماعها وطموحاتها الوحشية المريضة.

والهذا تسعى هذه الأقلية للسيطرة على العالم من خلال خلق بديل للصراع العالمي الأساسي صراع ألمالكين والغير مالكين إلى صراعًا وجوديًا حضاريًا بين شعوب ذكية ومن حقها إستغلال الأخرين تحت الكثير من الشعارات الزائفة والهمجية.

2. كيف نقرأ التاريخ:

سبق لنا الإشارة إلى أهمية التاريخ كمادة وحركة تفيدنا دراستها في فهم مقاييس حياتنا الإجتماعية بكاملها ولكن الأهم في هذا العمل نفسه هو طريقة القيام بهذا العمل أي المنهجية في حال كان هذا العمل ذات طابع إجتماعي بحثي.

إن المنهجية العلمية هي وحدها الكفيلة بالوصل بنا إلى الإجابات الصحيحة عن جميع اللأسئلة المطروحة أو على الأقل جزئيًا إن لم يكن كليًا في بعض التسائلات، فالبشرية مازالت في بدايات معارفها وإطلاعها، فماذا نعرف حتى الأن عن الحيات والكون والحقيقية عن ذاتنا.

إن الخطوة الأولى التي يجب على دارس أو باحث التاريخ إتخاذها من أجل ظمانة نتإجه يجب أن تكون منه إلى ذاته أولًا وقبل كل شيء أي، النظرة الحيادية الخاصة للتاريخ ومواده وأحداثه فالحياد وإن كان ليس سهلًا، إلآ أنه الضمانة الكفيلة بأن توصلنا إلى الحقيقة.

فالحقيقة محايدة ولا تعرف ألتحيز أو الإلتباس، والحقائق المطلقة العامة لا تحتمل التأويل ولا يمكن تحريفها أو أدلجتها وإلا كانت مهزلة تاريخية.

فالتربية ألإجتماعية والأدلجة آلة صنع عليها كلًا منا وليس من السهل التخلص منها وذلك كونها قد أصبحت جزء من وعينا وسلوكنا ورؤيتنا الفكرية والمفاهمية للحياة والعالم.

ولهذا يحذر البقاء تحت تأثير الأدلجة وضيق الرؤية، فقبل أن نتجه

لدراسة التاريخ علينا أن نهيء وعينا وذاتنا للحياد أمام تلك الحقائق وطريقة البحث ذات المنهجية العلمية وحدها الكفيلة بايصالنا إلى مانصبوا اليه من حقائق صافية واضحة لا التباس فيها أو في نتائجها.

إن إستنادنا على مواد محددة وخاصة المواد الرسمية للتاريخ سيجعلنا نرى التاريخ بعين واحدة وسيغيب عن وعينا وعن رؤيتنا مادة غنية جدًا إن لم تكن أكثر ثراء وغناء بالحقائق من المواد الرسمية. بل تشكل الوجه الأخر لمادة التاريخ المراد بحثها ودراستها.

إن المواد الشعبية الغير رسمية جميعها بما في ذلك الأمثال والحكم وغيرها من الموروثات الإجتماعية تشكل الأساس الأكثر صحة وواقعية على الرغم من ضعفها بسبب عدم توثيقها ولكنها في النهاية تشكل مادة غنية وتعزز أو تنفي التاريخ المكتوب الرسمي.

إن إعتبار التاريخ ومادته وإقتصارها على المكتوب الرسمي والموثق قد يشكل كارثة كبرى على مدى تاريخ البشرية في دراسة التاريخ وفهمه. وهذا ما وصلت اليه البشرية منذ أوائل القرن الماضي حيث نشأة تيارات فلسفية وفنية وسياسية واضحة انفتحت على مواد التاريخ في الدراسة والبحث ودخل التاريخ المكتوب الرسمي تحت طائلة البحث والتنقيب والمقارنة مع الإكتشافات الأثرية وغيرها شكل حركة وإعادة النظر ودراسة شاملة للتاريخ.

فأبسط الأشياء التي صنعها الإنسان هي في النهاية جزء من التاريخ بل هي التاريخ بذاته، فبدلًا من القراء ة عن الشيء لمعرفته، نجد أن الشي نفسه بين أيدينا وحواسنا كلها من أجل فحصه والأطلاع عليه

ودراسته. وخلاصة القول إن الذات المحايدة والجادة النشطة وشمولية المواد وعلمية المنهج هذا الثلاثي هو الضامن الضروري لتحقيق النتائج المرجوة من قراءة التاريخ.

فنحن من نحدد ماذا نقرأ وكيف نقرأ هذه المواد، والذات الفاعلة والمحايدة هي الطريق وهي الهدف في النهاية فالهدف النهائي للموضوع هو الإنسان النقي الواعي لذاته ومالكها.

المحرك الأساسي للتاريخ:

التاريخ حركة اجتماعية:

إذا ما اتفقنا على هذا التعريف فإن ذلك سيسهل علينا الكثير بحيث إن الحركة في النهاية تعتبر من مظاهر الطاقة وتفاعلها وليس من حركة في الكون سواء كانت فيزيائية أو كيميائية أو بيولجية أو اجتماعية فهي في النهاية حركة، والحركة من إحدى مظاهر الطاقة وتفاعلها، وما دام المجتمع من ضمن الظواهر الكونية الطبيعية في النهاية هو خاضع لنفس القوانين، ومادام المجتمع حركة فلا بد من طاقة ما وأسباب لهذه الحركة والصراع في التاريخ، فما هو هذا المحرك وما هي أبرز القضايا التي تسبب الصراع وتدفع الناس كأفراد وجماعات إلى النشاط السياسي المناهض للتخلف والرجعية، مما يدفع بتاريخ البشرية في طريق العودة إلى حقيقته وأصوله في تقاسم الحياة ومواردها ووقف جنون السيطرة على العالم واستعباد الشعوب.

و بالإمكان تلخيص هذه القضايا بأولويات:

1. الحاجات الأساسية للحياة
2. النظام الاقتصادي الإجتماعي
3. نظام ألحقوق والملكية
4. حل ألتناقض بين البنية الفوقية والتحتية والذي يصل الى حد التناحر والصراع

لكون البنية الفوقية ثابتة دومًا وغير متحركة فالمفاهيم والقيم والقوانين والأنظمة على الرغم انها نتاج لبنية تحتية ما وهي تسيطر على النظام الإقتصادي والسياسي وجميع مؤسسات البنية الفوقية إلا أنها تبقى على ثباتها في الحفاظ على طبيعة العلاقات القائمة

والتي تحمي النظام الطبيقي القائم على ملكية خاصة لوسائل الإنتاج وموارده الطبيعية.

بينما البنية التحتية هي الحركة الدائمة والفاعلة والمنتجة أيضًا، وهي الأساس في المجتمع وحياته.

أولًا: هي تشكل الغالبية من الناس.

ثانيًا: هي القوى المنتجة والمبدعة.

ثالثًا: هي القوة المتحركة والمنتجة لوسائل العيش على الرغم أنها لا تملك منتجاتها وهذا أساس التناقض وسببًا أساسيًا له، فالبنية الفوقية طابعها إداري مكتبي فوقي وهي أقلية دومًا وغير ديموقراطية.

أما البنية التحتية فهي دومًا نطاقًا شعبي جماهيري واسع شامل متحرك

ويخضع لتصنيع البنية الفوقية فهي التي تشرف على إنتاج المواطن الصالح.

ذلك المواطن الذي يعيش حياتة كلها في خدمة وطنة ويدفع ضراءب... الخ وعليه أن يضحي في سبيل هذا الوطن، هذه الفكرة، وفي النهاية عليه أن يدفع ثمن كل شيء يستعمله ويستهلكه، مسكنه،غذاءه، كل شي ضروري للحيا، وكل شيء بثمن وإلا لا مجال للحصول على شيء، لا مكان لأحد خارج نطاق نظام الملكية الخاصة وإلا فلا مكان له حتى تحت الأرض، فلا يدفن الإنسان الميت قبل أن يدفع ثمن قبره ويملكه، وكم من المنافقين يتاجرون ويرتزقون من خلال الموت واهله.

فمن لا مال معه حتى الأرض ترفض إحتواءه قبل أن يدفع ثمن. هذا ما وصل اليه نظام الملكية الخاصة، حتى الأرض وجوفها أصبح مملوكًا للطبقات الحاكمة سواء كانت سياسية أم دينية.

وفي علوم الاقتصاد السياسي تسمى هذه العملية «التناقض بين القوة المنتجة وعلاقات الإنتاج» وهذا يطلق عليه في المادية ألتاريخية "القانون الأساسي المحرك للثورة الإجتماعية" إن التناقض بين الثابت الفوقي والمتحرك التحتي يشكل أساس عملية الإنتقال والتغيير في المجتمعات بحيث لا يمكن إستمرار الطبقات المحرومة من حقوقها على نفس الحال بحيث يصل التطور التحتي إلى مستوى تصبح معه العلاقات الاقتصادية والسياسية والحقوقية غير قادرة على تلبية حاجات البنية التحتية المتطورة والتي اصبح تطورها بحاجة إلى تغيير في العلاقات

بكاملها.

إن المجتمع المتناقض المنقسم على ذاته لن يتمكن يومًا من تحقيق العدالة والمساواة بين أفراده فلن تكتمل أي مساواة، إن لم تشمل المساواة في الحقوق والملكية والمنتوج الاجتماعي وكيفية توزيع الثروات وموارد الطبيعة الهائلة.

والراجع إلى التاريخ القديم والحديث يلاحظ بوضوح إن قضية الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وموارد الطبيعية لم تعالج جذريًا خلال العصور السابقة جميعها بل دومًا يتم التحايل عليها، ويتغير كل شيء حتى النظام الثقافي والحضاري بأسره، بينما تبقى قضية الملكية الشيء المقدس الوحيد الذي بقي عالقًا كما هو عليه، كل ما تغير في الأمر أن المالكين والمسيطرين قد إزداد عددهم وتقاسم الملك أو الأمبراطور مع قادته وعصابته اللغلة والثروات وبقية الشعب بقي رازحًا تحت سيطرة الأقلية الحاكمة.

لقد بقي نظام الملكية الخاصة السياسي بطبيعته الجوهرية ملكية خاصة لوسائل الإنتاج وموارد الطبيعة منذ نشوء مرحلة العبودية والإقطاعية وحتى الآن مخافظًا على جوهره رغم التغيرات الشكلية وربما الهيكلية التي دخلت عليه وتطورت مع مرور الزمن.

ومن أهم الأسباب لهذه الظاهرة توازنات القوى، فالجهة التي تسيطر على السلطة بالقوة في غالبية الأحيان وعلى البنية الفوقية، ولهذا فهي تحافظ دوما على الطابع الخاص للمكلية وموارد الطبيعة مما يبقي النظام في جوهره على حاله نظامًا عبوديًا إستغلاليًا.

إن غالبية ما سمي بثورات عبر التاريخ لم يكن سوى محاولة التغير من قبل الطبقات المعدومة وإستغلال الحدث من طبقات أخرى والإنقضاض على السلطة، بينما تبقى الطبقات الأساسة في الصراع خارج اللعبة السياسية في القرار والواقع رغم أنها مادة ألثورة ووقودها ومصالحها تشكل أهم أسباب ألثورة وأهدافها، لهذا بقية علاقات الإنتاج منذ نشوء الملكية الخاصة والإقطاع والعبودية متوارثة حتى ورثناها نحن وها نحن نعيشها ونمارسها.

إن بقاء نظام الملكية على ماهو علية حتى يومنا هذا يعني إن جميع الثورات عبر التاريخ لم تغير في جوهر الأمر شيء سوى في الشكل والبنية الهيكلية وبعض المظاهر الأخرى.

ويبقى الأساس على حاله فعدم المساس بقدسية الملكية وقوانيها الجائرة أدى الى بقاء جوهر الصراع التناقضي فعلاً متواصلاً عبر الزمن، رغم مرور الآف السنين عليه ورغم الصراعات التي عرفتها البشرية وويلات الحروب التي خاضتها الأمم في تناحرها بسبب هذا المفهوم الذي بني عليه أنظمة وقوانين وحقوق وأخلاق.

لهذا ينبغي على الشعوب إعادة النظر في إستراتيجتها وتكتيكاتها في كيفية خوض هذا النوع من الصراعات فلم يعد مجدياُ القيام بثورات وتقديم التضحيات الكبرى دون تغير أساس المجتمع التناحري الغير متوازن.

إن التغير الوحيد الذي طرأ على نظام الملكية إن الملك كان شخص واحد ولما تطور الحال تقاسم الملك ومجموعة من المقربين والقادة أطلق

عليهم إسم الإقطاعين.

وكذلك في البنية الراسمالية فإن النظام الجديد قد وجد طريقة يحافظ بها على الأساس في جوهر النظام وجزء كبير من هيكليته والسيطرة عليها وإستعمالها لتحقيق مصالحه، وهكذا بقية الأغلبية على حالها ولا علاقة لها بالمنتوج الإجتماعي ولا تحصل منه سوى على القليل، الرأسمالية رغم وحدانيتها في نمط الملكية مع سابقاتها إلا أنها تمتاز بخصائص حديثة ومعاصرة، حيث تنوع أشكال الرأسمالية وطرق الإستغلال وتعقدة، وأصبح كل ما في المجتمع ربحيًا وخاضعًا للتجارة ومنطق الربح بما في ذلك أكبر القضايا الإنسانية وأهمها مثل ألحب والجنس والغذاء والعلاج والتعليم والمواصلات والإتصالات وغيرها من قضايا الحياة الضرورية للإنسان، والتي يجب ومن الضروري بحد أدنى أن تكون غير تجارية، وخاضعة للتجارة في حال وجود بنية إجتماعية إنسانية متطورة. إن ما تغير في النظام الرأسمالي عن سابقه أن علي بابا قد قتل وحل محله الأربعين لصًا.


92687

المرحلة التاريخية المعاصرة

العصر المعاصر

عصرنا المعاصر إنما هو مرحلة عصرًا لا محالة، عصرًا تعتصر فيه قوى الهيمنة والطغيان ما تبقى من استثماراتها وتحاول الإستدارة من الطاقة السوداء إلى الطاقة المتجددة النظيفة. فقد انتهى عصر الطاقة السوداء والجميع يعرف ذلك. والإستراتيجيين والاقتصاديين الربحيين ينظرون إلى السوق على المدى الاقتصادي البعيد المدى كونهم يتربعون على رأس الهرم الاقتصادي الاجتماعي. اما الطبقة السياسية فهي من الشرائح التحتية والتي تقع تحت اصحاب النفوذ المباشر، فهذه الشريحة لا ترى اكثر من فترتها الإنتخابية وتعتبر برنامجها لا يتجاوز عمرها الانتخابي المتاح، لهذا تبقى رؤيتها معلقة بين الأعلى، من دعمها وتعبر عن مصالحه وبين من إنتخبها وتلك الطبقات الإجماعية التي تمثلها، فهي تمثل طرف بينما تتساوق في مواقفها مع الطرف الذي تراه أقوى في ألمعادلة رأس ألسلطة ألسياسية وما يمكنها أن تلبيه له من مطالب وطموحات. ولهذا فهي عاجزة عن تكوين رؤية استراتيجية للمجتمع.

فالطبقة السياسية كما أشرنا عبارة عن شريحة رؤيتها محدودة بسقف مايريده الأعلى منها في المرحلة ومايريده الأدنى. وهي في النهاية ملزمة بالأعلى منطقياً وإلا راحت بين المطرقة والسندان...

والهاذا ترى السياسيين دومًا هم من يتعرض للاغتيالات والإعتقال والمحاكمة في حال خرجوا عن النطاق المسموح لهم التحرك من خلاله، وقد تصل الإعدام أو إلى النفي الخ...

لقد أصبحة شريحة السياسيين شريحة إجتماعية معروفة ومنتفعة ومرتزقة تنال الفتات من الإمتيازات على حساب بقية أفراد الشعب.

وهي طبقة شبيهة بطبقة النبلاء في العصر الإقطاعي. إن لم تكن تطورًا عنها فقد ورثت الرأسمالية ألنظام ألإقطاعي، هيكليته وخبراته وطورتها وأخضعتها لنظامها وقوانينها. ولكن بدل أن يكون النبيل مالكًا لأراضي وإقطاعيات يستثمرها يجبي الضراءب وايسن القوانين ويقدم الضراءب للسلطان بعد أخذ نصيبه منها مقابل هذا الإستثمار. لقد تحول ذلك الإقطاعي إلى موظف بالأجرة وبعض الإمتيازات بدل ملكيته الإقطاعية ألتي يديرها.

لقد أصبحت المدن وما يحيطها ملكًا لأشخاص قلة والسياسين موظفين إدارين لدى صاحب العقار. والبقية جزء منهم شرائح منتفعة تعمل تحت خدمات وإطار مصلحة صاحب الإستثمار والبقية الفرق بينهم وبين القن في الإقطاع إن إرتباط القن كان في الأرض. أما اليوم فالغير مالكين لا يملكون عملًا ثابتًا ولا مأوى. بل هم يعيشون في أكناف أصحاب العقار والمدن فالمالك هو صاحب المكان. والبقية يدفعون مقابل إقامتهم ووجودهم فحتى الميت يدفع ثمن قبره وإلا فلن يجد قبرًا يأويه.

إن طبيعة المرحلة المعاصرة معقدة للغاية وهي ألأكثر تعقيدًا عبر تاريخ

البشرية وذلك لسببين رئيسين

الأول: قوانين ألمجتمع والطبيعة وتطورها، فأي ظاهرة تسير من البسيط إلى الأكثر تعقيدًا في حركتها وتطورها عبر وجودها.

الثاني:- طبيعة تطورات المرحلة وسرعة الإكتشافات العلمية والمعرفية وخاصة عالم الفضائيات بالإضافة إلى جملة من التعقيدات في بنية العالم الاقتصادية وطبيعة الأزمات وإدارتها، والكوارث الطبيعية والحروب وإقتسام العالم بأكمله. والهجرات الجماعية المستمرة، إن طبيعة المرحلة التي نعيش مرحلة إنتقال بنيوي للمجتمع. مرحلة تدخل فيها التكلجة والفضاء الألكتروني في صناعة الإنسان والمجتمع... وهذا يعني إن طريقة صناعة الإنسان سوف تختلف نوعياً كما وتقنياً. إن الإنسان المراد تصنيعه من جديد انسان مستهلكًا ومؤهلًا لاستهلاك منتجات النظام الجديد والتعايش معه... أو الإنقراض والإنتهاء... وهذا ما ستتعرض بسببه الكثير من الشعوب والحضارات في المدى المنظور من الايام.

لقد شهد القرنين الماضين إنقراض المآت من الثقافات ولكن هذه المرة سيكون أكثر سوء، بحيث أن الإنقراض سيكون مباشرًا وليس ثقافياً فحسب بل إن الإنقراض والإبادة ستكون جماعية لملاين البشر... وليس بالحروب والدبابات وحسب، بل من خلال الأوبئة ونقص الغذاء وتلوث البيئة وغيرها.

في النهاية إن النظام السياسي العالمي هو المسؤول عن كوكب الأرض وهو صاحب المسؤلية وهو المسؤل عن كل ما يدور في مملكته

وإقطاعيته.

أليست هذه هي قوانين الملكية.

إن ترك الشعوب تعاني ويلات الفقر والهجرة والتشرد. إنما هي محاولة لغربلة البشرية. من يصلح لإستهلاك منتجات المجتمع الجديد يصلح ومن لا يصلح فلينقرض وهذا أفضل، فوجوده لا حاجة له سوى عبئ على النظام وشاهدًا على غطرسته وجريمته. ولهذا يغض النظام العالمي الربحي نظره عن تعرض هذه الشعوب للكوارث والفقر والجوع والتشرد فهي شعوب لا فإدة منها للنظام السائد لعدم إستهلاكها وإنسجامها مع طبيعة النظام الإستغلاكي وحاجاته، ويمكننا تلخيص المرحلة في النقاط التالية:-

يتكون الرأسمال المعاصر من العناصر التالية:

- الرأسمال المسيطر على ألعالم بحسب أولوية السيطرة
- الرأسمال المالي.
- الرأسمال العقاري.
- رأسمال الطاقة النفط وما شابه
- الرأسمال البوليسي والأمني.
- الرأسمال الحربي.
- الرأسمال التكنولوجي والإتصالات.
- الرأسمال الغذائي والعلاجي
- الرأسمال التجاري.

- الرأسمال الصناعي.

- الرأسمال الزراعي.

هذا الملخص لتركيبة الرأسمال المسيطر على العالم بالدرجة الأولى ويسير بأولويات ولكن الرأسمال المالي هو الأساس وهو صاحب السلطة والقوة الأولى في العالم وهو الوحيد الذي أصبحت لعبته في جميع الأحوال رابح رابح. فجميع القوى الأخرى ألمشاركة في لصراع والمنافسة في ما بينها في غالبية الأحيان هناك رابح وهناك خاسر أما الرأسمال المالي، فهو الرابح في جميع الأحوال كونه يقرض الجميع، الخاسر والمنتصر. فعائدات ضرائب الدول كلها وعملتها في النهاية تسير من خلال المصرف الكبير المسيطر.

إن تركيب الرأسمال العالمي المعاصر لا يتيح لأي من الفئات الحصول على هذا الأمتياز الثابت سوى الرأسمال المالي الدولي، يدين ويقرض مقابل ضمانات يوفرها له نظامه المبتكر وليس الواقع. ففي الواقع هذه البنوك هي المتحكمة في السوق النقدي وهي من يقرر نسبة الفوائد والسوق بكامله. وهي تقرض الدول الخاسرة قبل الرابحة. فهي من يتحكم ويحقق القيمة الفأضة التي يتصارع الجميع من أجلها القيمة الزاءدة بينما هو في الحقيقة لا يملك شيء فعلياً يؤهله لتحقيق هذا الربح من هذه القيمة، إنه يملك إعترافاً به فحسب وهذا الإعتراف الإجتماعي والسياسي هو ما يعطيه هذه القوة، فقوته ليس في ذاته بل يستمدها من النظام الإجتماعي والسياسي. لذلك لم يعد بحاجة

إلى إمتلاك الكثير من الإمكانيات المادية والنقدية.

ومع دخول التكلجة المالية والرقمية أصبح المساحة في الإستغلال الرقمي الوهمي شاسعة وتضاعفة عدة مرات عن ما كانت عليه في السابق. فلم تعد النقود والتحويلات سوى أرقام وهمية يتقاضا عليها المصرف الدولي أرباحًا بلا أي مقابل. سوى لكون النظام هو كذالك وهكذا يسير. أنت تدفع مقابل أي إستعمال للعملة الفعلية، وفي التجارة العالمية قد تستخدم في الساعة الواحدة مبيعات بمئات مليارات الوحدات النقدية فقط بأرقام وهمية حاسوبية ودون الحاجة الفعلية إلى إي استعمال فعلي لأي وحدة نقدية.

وهنا يكمن مضاعفة أرباح البنوك من خلال إدخال إستخدم الأنظمة الحاسوبية في المصارف والمعاملات التجارية.

في البورصة العالمية لوحدها يتم تداول المليارات اليومية وتدفع عليها العمولة والفوائد مقابل فقط أرقام حاسوبية بلا أي مقابل حتى خدمات وظيفة تصبح ملغات، فأنت وحدك تقوم بإعداد الصفقة ودفع المبلغ عبر الأرقام والكتابة وحسب وتنتهي العملية دون أي تدخل فعلي من المصرف. فقط يقدم الصفحة الحاسوبية للخدمة وهذا كل ما يقدمه.

كما ويستغل هذا الرأسمال بقية أشكال الرأسمال الأخراى ويسيطر عليها وخاصة تلك التي يحتاجها مثل رأسمال التكلجة والأتصالات. تشكل هذه الإخيرة جزءً كبيرًا من أرباحه فهوا يتخلى عن جزء يسير من ربحه لصالح هذا النوع من الرأسمال الناشئ الذي ظهر مع ظهور

المرحلة الجديدة.

فالإتصالات ونظامها الذي أصبح ضروريًا للمرحلة من كافة النواحي بل أصبح جزء من النظام الاقتصادي والإجتماعي والتجاري العالمي، وجزء أساسي من النظام العالمي الجديد برمته، إن المرحلة الراهنة ليس على ابواب مرحلة انتقال كما يدعي بعض المفكرين، بل إننا نعيش هذه المرحلة حاليًا على الرغم من عدم إكتمال شروط الإنتقال إلى العلاقات الجديدة. فالنظام القديم كالعادة يحاول تجديد نفسه دائمًا والتأقلم مع طبيعة المرحلة والحفاظ على النظام القديم الًاساسي للملكية وقوانينها.، وهذا من أهم ما تسعى إلى الحفاض عليه هذه القوى التي ما زالت تسيطر على مقدرات العالم بأسره الأن. بل تطورت مصالحها وطبيعتها لدرجة أنها أصبحت على إستعداد للقيام بأي شيء من أجل الحفاظ على ذاتها، فالقضية وجودية بالنسبة لها فتسليمها يعني إنتهاء وجودها كفئة مسيطرة على العالم.

إن الرأسمال العالمي الحالي يعيش حالة من التناقض الداخلي الذي لا ينتهي ولن يتوقف الا بتغير ألنظام العالمي الحالي برمته وهذا معناه، إن الصراع بين الرأسمال نفسه واشكاله يشكل جزء من الصراع العالمي الجديد.

فالتناقصات الأساسية هي تناقضات لا يمكن حلها. كون التركيبة التناقضية أصلا هي أساس تلك التناقضات، وقانون الربح وليس قانون ألعدل هو ما يحكم التركيبة الرأسمالية، وبما أن قانون حرية الربح

ولإستغلال هي قاعدة هذا النظام فهذا يعني أن المنافسة والصراع بين أشكال رأس لمال هي أساس التشكيلة والاقتصادية الرأسمالية.

ويأتي الرأسمال العقاري في المرحلة الثانية من مراحل سيطرة رأس لمال. فالرأسمال العقاري يسيطر على العالم برمته وقد تحول في عصرنا ألراهن كوكب الأرض بكامله إلى عقارًا مملوكًا من قبل أقلية صغيرة جدًا تتحكم به وبمقدراته الاقتصادية جميعها بالقوة إن لزم الأمر مستغلة الرأسمال الأمني والعسكري وكذلك مؤسسات تجارت الطاقة وإمكانيات العالم من موارد طاقة سوداء مثل النفط وغيره من أساسيات البنية التحتية من طاقة. فالرأسمال النفطي أو الطاقة السوداء هو رأسمالًا أساسيًا ايضًا في الصراع العالمي، وهناك شركات نفطية تعتبر هي المسيطرة على أكثر من نصف نفط العالم تحت ملكية شركة واحدة. وهذا يعني أن مصادر الطاقة العالمية تتحكم بها أقلية قليلة وتحتكر ملكيتها وتجارتها.

ومن أهم اتجاهات هذه القوى الطاقية محاربتها لكافة الأشكال البديلة للطاقة ومحاولة إطالة عمر النفط والطاقة السوداء على قدر الإمكان، ما دامة المسيطرة على هذا السوق وقد وصل بهذه القوى المسيطرة أنها حاربت وقامت بإغتيال الكثير من أصحاب الإكتشافات العلمية من بداية نشوء النفط وتجارته، فهناك الكثير من الأمثلة قد كشفها التاريخ تؤكد أن هناك إكتشافات للطاقة ألبديلة تم إتلافها

وإعدام أو إغتيال أصحابها خوفاً في إنتشار هذه الطاقة ومعرفتها كونها تشكل البديل النظيف والاقتصادي للطاقة التي تشكل ألعمود ألفقري

للحياة البشرية المعاصرة.

إن وحشية هذه الفئة تكمن في كونها تعلم أن البديل متوفر فكل العالم عبارة عن طاقة وكل ما في الطبيعة يحتوي على طاقة، ولكنها تعيق وتمنع منذ عدة عقود استجراج هذه الطاقة وانتشارها وانتشار المعلومات حولها وإمكانية إستعمالها وإستغلالها في خدمة المجتمع البشري.

إن ألإبادة الجماعية للكثير من أنواع الحياة والبشر أيضًا التي تسبب بها إستعمال للطاقة السوداء تحمل مسؤليته بالكامل القوى الرجعية المتوحشة التي ما زالت قادرة على السيطرة على اجزاء كبيرة من ألعالم لصالحها، وما زالت قادرة على الحفاظ على مصالحها وأستمرار وجودها ولكن الإنفتاح العالمي على الفضاء الألكتروني وإنتشاره على نطاق واسع سايؤدي إلى فقدان السيطرة على المعلومات من قبل هذه القوة الغاشمة...

فهذه ليست سوى بدايات إنفتاح المعلومات حول هذا الموضوع الغاية في الأهمية للحياة البشرية على كوكب الأرض. لقد أدى إدراك هذه القوى للمرحلة القادمة إلى السعي في المرحلة الحالية للتخطيط ومحاولت السيطرة على موارد الطاقة الجديدة. وهذا سيكون محالًا في حال وجد المواجهة الكافية من قبل المستهلكين في نشر ثقافة الطاقة البديلة المجانية وتعميم إستعمالها على نطاق واسع.

إن صراع الرأسمال الربحي والتنافسي بين القوى المسيطرة على العالم يشكل أهم وأبرز الأسباب للصراع العالمي.

هذا هو العصب المحرك للصراعات العالمية جميعها بغض النظر عن المظاهر التاريخية للصراع. من قومية أوحضارية أو أي تسميات أخرى مختلفة. فالتنافس بين القوى المسيطرة على العالم ومصالحها وإكتمال السيطرة على الكرة الأرضية بكاملها وتحويلها إلى عقارًا إستثماريًا يمتلكه حفنة من اللصوص والطغاة يشكل الأساس للصراع العالمي المعاصر.

- علم التاريخ ونظرية الصراعات الإجتماعية

حاول الكثير من علماء التاريخ المرتزقه التابعين للنظام الاستعماري المسيطر على العالم، تبرير وإخفاء حقيقة هذه الصراعات العالمية من جديد، وعلى الرغم من حسم العلم لقضية أساس الصراعات في لعالم وإثبات تخلف وتزوير نظرية الصراعات الحضارية والدينية والعقائدية والثقافية التي حاول البعض الترويج لها كمفهوم تصادم الحضارات الذي حاولوا الترويج له بعض المتخلفين، بناء على النظرية الإستعمارية للإنسان والطبيعة والمجتمع، وعلى الرغم من وضوح لرؤية الفعلية لأسباب الصراعات في العالم بكامله وفي المحتمعات البشرية.

إن هذه الأقاويل ونقول أقاويل كونها لا ترتقي إلى مفهوم النظرية وقد وجدت رواجًا واسعًا لها في الكثير من الدول المختلفة والتابعة المستعمرة أصلا وقد توقفت هذه الخزعبلات الكثير من مفكرين وأذناب النظام الإستعماري وقد قام الكثير من هذه النخب المرتزقة

بالترويج لهذه الخزعبلات الفارغة.

بل وصل الأمر في بعض الدول إلى تشكيل قوة إرهابية إجرامية مرتزقة تسعى فقط للحروب وتفجير الصراعات مع الأخرين على خلفيات عقائدية وثقافية.

إن قضية صراع الحضارات ومفهومها الأخرق واضحة التخلف والرجعية والتفاهة، مع الإحترام لمنتجيها ومروجيها، لدرجة أنها لا تستحق الرد عليها.

بل إن الرد الحقيقي يجب أن يكون عمليًا وليس نظريًا، يجب الإنتقال إلى وضع الخطط والمراجع الفعلية والمناسبة لمواجهة هذا الصراع من أساسه، بدل من الانحراف إلى متاهات اللغة والعرق والثقافة وغيرها من اللغو والثرثرة الفارغة. في نهاية المطاف حتى الأدلجات جميعها ذات رؤى ومصالح إقتصادية محضة تسعى لتحقيق نظامها الإقتصادي ورؤيتها.

إن محاولة التنظير لمثل هذه النظريات قد أصبح فجًا وعقيمًا ومتاخرًا جدًا، فلم تعد شعوبًا وبشرًا ذات وعي يوافق على مثل هذه الرؤية البدائية للتاريخ.

إن الإنسان الذي يفضل البقاء على ضلاله ولا يريد أن يفتح عينيه على الحقيقة فليبق عبدًا أبد الدهر، وقد تحدثنا سابقًا في فصل خاص حول اكتشافات القرون الماضية العلمية والأثرية والتكنولوجية، إن

المفهوم القديم المهترء للتاريخ قد عفا عليه الزمن ولم تبقى تحت تبعيته سوى اتجاهات إما مستفيدة، أو متخلفة، وستبقى مئات السنين الإضافية تحت نير الإستعباد، بل هي الشعوب المرشحة للإبادة من قبل النظام الاستعماري المعاصر.

إن حياة البشرية والطبيعة وكل ماهو على كوكب الأرض لم يبقى أبدًا مملوكًا من قبل أقلية جاِرة ولن تستطيع أي قوة في العالم أن تمحي وتزيل قوانين الطبيعة في التنوع، وفي حال حصل ذلك فسيكون بمثابة تدمير ذاتي للبشرية على كوكب الأرض، وربما تكون بعض الحضارات قد مرت بمثل هذه التجارب البائسة التي تمر بها الحياة البشرية على كوكب الأرض في مجرات كونية أخرى.

إن كارثة النظام العالمي ألجديد تكمن في كون القوى المسيطرة مازالت في قوتها، وهناك نمو لقوى جديدة متصارعة قوية وتخوض نزعات السيطرة والمنافسة، تسعى هي الأخرى للمنافسة على تقاسم العالم كقوميات أو أدلجات وبنية سياسية. إن إعادة إحياء ألنظام الديني السياسي هي ليس أكثر من ملهات للشعوب من أجل الإبتعاد عن جوهر الأمر.

ففي النهاية النظام الديني المؤدلج والمسيس سيكون معززًا لنظام الملكية القديم المقدس الذي أصبح باليًا وليس بالإمكان الإستمرار في قدسيته بالقوة.

وعلى الرغم من إدراك بعض المفكرين لأهمية وضرورة إعادة النظر في فهم الموروث الديني التاريخي مازالت هناك أطرافًا وهي ليس بالقليلة

تؤيد هذه الفكرة بشدة وهذا يجعلها أي هذه الفئة عرضة للإستغلال والإستعمال كأداة صراع سهلة الإنصياع والإستغلال.

وبالإمكان إختصار القول وتلخيص مادة الفصل، نحن نعيش مرحلة ثورة علمية تقنية حضارية مخاض وولود مجتمع جديد.

إن المرحلة المعاصرة مرحلة ولود ألمستقبل الذي ستعيشه الأجيال القادمة وسيكون الثمن غالياً جداً على البشرية فيما لو ترك الأمر بايدي القوى المسيطرة تقود العالم إلى الهاوية بلا محالة، فالنظام العالمي الحالي يعيش حالة من الجنون والغطرسة قد تصل إلى درجة التدمير الذاتي لكل شيء بدل الإستسلام والإنتهاء إلى الزوال منفرداً.

وهذه آخر مافي جعبة النظام العالمي الاستعماري المعاصر، إن جوهر الصراع في النهاية ينقسم بين نوعين مختلفين من الناس مالك وغير مالك وطبيعة نظام الملكية نفسة وحجم الملكية ونوعيتها.

هذا هو المحرك الأساسي والعامل الحاسم للصراعات عبر التاريخ التناحري بكامله وحتى يومنا هذا نحن ما نزال نعيش مرحلة الملكية الخاصة البدائية الذكورية.

الفصل السادس

الاسباب الرئيسية للأزمة العالمية

لقد ثبت لنا بالملموس إن الواقع في حركة داءمة وتغير أزلي بينما المفاهيم والقيم تبقى على حالها لآلاف السنين أحيانًا. وهذا من أهم أسباب الأزمة التاريخية للعالم. فالواقع المادي الاقتصادي داءم الحركة بينما تبقى علاقات الإنتاج على حالها ولهذا يعتبر قانون التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج من القوانين الرئيسة المحركة لعملية التغير الإجتماعي لجميع المراحل والتشكيلات الإقتصادية الاجتماعية عبر التاريخ.وفي أزمتنا العالمية الراهنة يضاف إلى هذا القانون التوضيحات ولأسباب التالية:

1. لعلاقات الاقتصادية الإجتماعية والمتمثلة في نظام الملكية الخاصة للمنتوج الاجتماعي وموارد الطبيعة
2. الاكتشافات العلمية وتطور العلوم
3. تناقض المفاهيم والقيم مع الحياة الفعلية
4. الاكتشافات الأثرية
5. ثورة التكنولوجيا وعلم الفضائيات، كإلغاء الحدود في التواصل والتعبير
6. أزمة هوية وانتماء

7. أزمة حريات وثقافة وقيم

8. أزمة حقوقية وأخلاقية

9. أزمة جغرافيا ومكان

تجدر الإشارة إلى أن هذا الترتيب ليس اعتباطياً بل أولويًا على الرغم من اختلاف بعض الأولويات من مجتمع إلى آخر لأن العلاقات الاقتصادية ونظام الملكية وطبيعته هو العامل الأهم والأساسي الأول بين هذه العوامل والأسباب.



خلاصات المادة واستنتاجاتها

1. مادة التاريخ الرسمي المعتمد

مادة مزورة ومشوهة وصنعة بحسب رؤية الحكام والأنظمة، السياسية أو الجهات المسيطرة في المجتمع المعني عبر التاريخ المكتوب بحسب التسميات التقليدية

فالإشكالية ليست في طبيعة المواد وقدمها ومحتوياتها بل الإشكالية في رؤية وكيفية قراءة هذه المواد. والإشكالية الثانية في حصر التاريخ وفهمه وتغييره بهذه المواد التي أصلاً هي من صنع جهات صنعتها وأولتها بحسب معتقداتها، وليس بحسب الحقائق التي وقعت عليه تلك الأحداث.

لقد إتضح لنا من خلال دراستنا كيفية كتابة التاريخ المكتوب ومن الذي صنع هذه الأحداث ولهذا تكون أول خلاصة وصلنا إليها أن التاريخ الرسمي المعتمد مزور وصنع بطريقة ما وذلك من أجل الوصول إلى نظام معين وتبريره بناء عليه.

2. لإنسان يصنع صناعة

الإنسان كائن اجتماعي وثقافي ذات سلوك واعي وهذا أخطر ما في الأمر ولهذا وجب صناعته و تأهيله إجتماعياً ليصلح للإستعمال بحسب حاجة المجتمع الإستعمالية

وقد أشرنا في فصول سابقة إلى أهمية صناعة الإنسان وكم من

المؤسسات والجهد الذي يبذل من أج صناعة الإنسان بما يتلائم مع إمكانية إستعماله إجتماعيًا.

3.التناقض بين الفرد والجماعة في المصالح والحاجات بحيث طغت الجماعة على الفرد وتقوم هي بصناعته وليس من حرية أو خيارات لأي فرد ان يحقق مكانة اجتماعية أو سياسية بدون الاعتراف الإجتماعي بهذا المكان والدور.

4. من أهم الخلاصات التي بإمكاننا استنتاجها أن الإنسان رغم هذا التطور المزعوم والحريات الزائفة مازال عبدا لصانعه ومازال يعيش الهمجية بمئة لون وشكل.

5. تشكل الوعي المشوه لدى الإنسان، يشكل أهم القضايا وأعقدها في هذا الشأن.فالإنسان بعد تشكيل وعيه ليس من السهل أن يرى العالم خارج نطاق هذا الوعي الذي أصبح يشكل شخصيته ورؤيته لذاته وللعالم.مما يعني أن الإنسان سيصبح عبدًا للأفكار التي صنع عليها وعيه وشخصيته دون أن يعي أو يستطيع رؤية ذاته خارج هذا الإطار، فالعبد يُصنع عبدًا والسيد سيد كلًا يرث مكانه وواقعه الإجتماعي وليس من السهل تغير هذا الواقع فهو جبري كلون البشرة أحيانًا

إن الإنسان المعاصر يعيش حاله من العمى وعدم القدرة على التوقف للحظة واحدة للتفكير من هو ومن أين جاء وكيف عليه أن يعيش وهل هو حر حقًا أم أنه يعيش خدعة كبيرة إسمها الحرية.

6. التاريخ الواقعي في جوهره عملية اجتماعية ذات قوانين وحركة

دائمة ويمكن دراستها وفهمها وقيادتها والسيطرة عليها وأي ادعاءات تشير أو تلمح إلى غير ذلك فهي باطله وبطلانها أصبح واضحًا ومحسومًا. وما تلك المحاولات البائسة لإعادة الحياة لغير المفهوم العلمي للتاريخ ستكون حتميتها الفشل مادام هناك وعي اجتماعي ينشر بإطراد حول مفهوم التاريخ، وليس ما نراه من تطور في دراسة التاريخ وتضاعف أعداد المهتمين بهذا الشأن سوى خير دليل على ذلك

لقد أصبح واضحًا أن التاريخ عملية اجتماعية وأن تاريخ الإنسان المثقف وذو الوعي على كوكب الأرض يعود لملايين السنين وليس عشرة آلاف تاريخًا مكتوبًا. أو ما دون ذلك بل إن الكثير من العلماء المتشددين يعتبرون أن التاريخ المكتوب يرجع إلى خمسة آلاف عام. وهذا يعني أن هذه مهزلة تاريخية نقترفها بحق أنفسنا وعلم التاريخ

إن إمكانية فهم العملية التاريخية وقوانينها يعني أنه بالإمكان قيادة التاريخ... وبالإمكان تسيير العملية الاجتماعية وقيادتها...أي بمعنى أن الحروب ليست قدرًا على الشعوب وأن العنف ليس قدرًا وأن تقسيم الأرزاق يجب أن يكون متساويًا بين الناس حتى ولو لم تتساوى عقولهم في الذكاء.

إن العدالة الاجتماعية والحرية والسلم والرخاء ليس بالإمكان تحقيقها دون خلق الوعي الكافي بأن المجتمع قابل للتغيير والتخلص من هذه الآفات التي هي أصلًا مصطنعة ودخيلة وليست أصلية على الحياة البشرية.

ولن تتحقق أي عدالة وقيم إنسانية ما لم تعالج قضية الحق في المنتوج

الإجتماعية وكيفية توزيعه وإعادة النظر في مفهوم الملكية وطبيعتها

7. العامل المحرك للصراع الاجتماعي

ومن ضمن الخلاصات الهامة والأكثر تقدمًا في الرد على جميع الرؤى المتخلفة المحتضرة كصدام الحضارات وما تشابهها من أفكار استعمارية ارتدادية إلى الوراء، وذلك من خلال الكشف الواضح عن حقيقة جوهر الصراع الاجتماعي والعصب المحرك لهذا الصراع، وهو الاقتصاد، وبعد إثبات هذا الأمر الذي أصبح معروفًا وواضحًا حتى لأبسط الناس العاديين وحتى الأميين، فالفقراء بسليقتهم يشعرون بالظلم ويعيشون القوانين الجائرة مباشرة ولكن إشكاليتهم تكمن في الوعي المصنع والتشويه حيث يقتنعون أن هذا قدر عليهم وأن هذا هو الحال الطبيعي.

فالصراعات الاجتماعية التناحرية بكاملها.بل والعلاقات الاجتماعية الإنسانية ذاتها كالحب والأبوة والأمومة والصداقة وغيرها من العلاقات تتشكل وتتأثر بالعلاقات الاقتصادية بالدرجة الأولى.ومن منا لا يرى طبيعة نظام الميراث وقوانينه، وبل أن جميع قوانين المجتمع مركبة على قوانين الملكية والحقوق وهذا أصبح ملحًا إعادة النظر به... وهذا ليس بين الحضارات، إنه من ضمن مفهوم الملكية الذكوري الذي انتشر واتسع في المجتمع وأصبح هو النظام الإجتماعي السائد على صعيد العالم بأسره فقد تم القضاء على المجتمع الأمومي كنظام ومفاهيم منذ الآف السنين.ولدينا أمثلة المجتمعات القديمة ماثلة أمامنا فهناك الكثير من القبائل مازالت تعيش حتى يومنا هذا بنظام خاص

لمفهوم الملكية. فلا من أحد يسيطر على موارد الطبيعة والأفراد في داخل هذه الجماعة لا يسعون للمال والملكية والسيطرة من خلاله على الآخرين بل يعيشون حياة تكافل وانتماء فعلي للجماعة ويحقق التوازن بين الإنسان والطبيعة وحاجاته... والجماعة التي يعيش في وسطها

لقد أصبح واضحًا للباحثين ذات البصيرة أن الصراعات الًاجتماعية التناحرية لم تكن يوما من الأيام سوى اقتصادية بحته بالدرجة الأولى، على الرغم من وجود العديد من العوامل التي سنأتي على ذكرها ولكن رغم كثرتها وأهميتها يبقى العامل الاقتصادي هو الاساس المحرك للصراعات الإجتماعية التناحرية.

ومن أهم الخلاصات التي وصلنا إليها وبانت واضحة لنا من خلال هذه الدراسة أن العالم يعيش مرحلة تحول وانتقال خطرة للغاية وحساسة من تاريخه ومن أهم ميزات هذه المرحلة وسماتها.

مرحلة ثورة وانتقال إلى العالم الجديد وهنا تبرز العديد من التسألات الهامة:

من المقرر في هذه العملية للتغيير وإعادة البناء؟

دور الشعوب والقوى المناهضة للعلمنة السلبية.

مرحلة تمر بها الطبيعة والمناخ والإنسان بأخطر المراحل. فالطبيعة لم تعد قادرة على احتمال جور المجتمع المعاصر وطبيعته ونظامه.

لقد تحدثنا سابقًا عن ثورة التكلجة والفضائيات. وليس من حاجة للعودة لها ثانية وذكرها هنا للتسلسل في الخلاصات. أن الحركة

الإجتماعية المعاصرة هي حركة تغير في النظام العالمي يفرضها واقع معاشًا، فلا بد من قوى مسيطرة وعناصر هامة تقود هذه العملية. ولو نظرنا بإمعان إلى من هي القوى الاساسية المسيطرة على هذه الصراعات وقيادة المرحلة،سنجدها هي نفسها القوى الأساسية في الصراع. قوى مازالت تسير وفق نظام القوة والغطرسة والفحولة ... ومازال الصراع بين الدول يعيش مرحلة القطيع البدائي

بحيث الفحل ذات القرون الأقوى والأكبر هومن يسيطر على باقي القطيع ويحوز على كل ما يريد.

هذا مع الاسف هو النظام الحاكم للعالم بين كافة القوى المتصارعة. فجميعها بلا استثناء تسعى لتطوير قرونها ومخالبها لتتمكن من تحقيق الأسبقية في القدرة على القضاء على الآخر.

إن هذه القوى المسيطرة هي نفسها القوى صاحبة نظام الملكية الخاصة القديم البالي وهي تتنافس وتتصارع أصلا على هذه القاعدة فيما بينها على إقتسام العالم وملكيته على أساس نفس نظام الملكية وغير مطروحًا في برنامج أي قوة من هذه القوى والدول إعادة النظر في نظام الملكية وطبيعتها بل المطلوب فقط هو تغيير ما في المالكين وتحقيق ذلك من خلال الصراعات والحروب والعنف، مع وجود أطراف ورأسمال خاص يعيش ويتغذى على الأتجار بالحروب وكافة سبلها وأقذارها.

إن أسوء ما تعيشه المرحلة أنها متروكة في بنائها وإعادة صياغتها لنفس الاتجاه المسيطر، والمرحلة ليست في انتظار بل هي سائرة وفاعلة

وتحقق كل يوم خطوات نحو البناء والتغيير وهما سائران على نحو متسارع يومي ولحظي. فالعالم تعاد صياغته على أيدي نفس القوى المهيمنة تاريخيًا وفي النهاية المواطنين جميعًا هم مادة هذا الصراع وهم وقوده وهم من يدفع ثمنًا باهظًا دون تحقيق أي مكسب حتى ولو بسيط. فلم يعد يعني الإنسان في حال الأزمات والصراعات سوى النجاة بحياته، فهذا أكبر غنيمة. ولا حاجة إلى شيء آخر الآن. إن الحروب والصراعات العالمية الحالية لا علاقة لها إطلاقا بمصالح الشعوب الفعلية، بل هي مصالح أنظمة متصارعة على حدود ومزارع وشعارات لهذه المزارع. تقام الحدود وتصك العملة ويصنع المواطن الصالح الذي عليه أن يكون عبدًا للملاك وخادمًا يعيش في أكنافهم وهو بألف خير.

إن العالم يصنع من أجل قلة تحكمه وتقوده وتقرر مصير الكرة الأرضية بكاملها.

إن الإنسان سائرًا إلى العبودية بكامل إرادته من خلال تصنيع وعيه الجديد على أساس متطلبات المرحلة.

إن الشعوب التي لا يمكن تصنيعها لم يعد أهمية لوجودها وهذا يعني إستعمالها واستهلاكها في عملية الصراع. أي بمعنى إبادتها إبادة جماعية منظمة، من خلال الإتجار بالحروب وتغذية الصراعات من أجل فتح سوق للأسلحة وتجارة الحروب من قروض ومؤن ومواد طبية وغيرها

كما أن التلوث ودمار البيئة الذي تلحقه طبيعة الصناعة والطاقة المستخدمة التي أصبحت تشكل خطرًا داهمًا على البيئة. مما يعني الإبادة

الجماعية ليس فقط للإنسان بل للكثير من أنواع الحياة على الأرض. وهذا من أخطر ما ينتج عن الصراع العالمي المعاصر وطبيعته.

إن أخطر ما في النظام الربحي المعاصر بأنه لا يرى سوى نفسه،فالربح لا يستطيع أن يرى سوى الربح وهو غير قادر على رؤية نتائج هذا الربح على الحياة والإنسان معًا.

دور الشعوب والقوى المناهضة لهذه العملية:

الشعوب هي الأداة الفاعلة في هذا الصراع،فهي الوقود الذي يستعمل، ولكن الكارثة أن هذه الوقود هي مجرد وقود للإستعمال لا قيمة له على الإطلاق بل إن الصراع بجملته لصالح النظام السياسي سواء كان ليبراليًا أو ملكيًا أو جمهوريًا فلا فارق ما دامت أنظمة سياسية مسيطرة فهي في النهاية مالكة لمزرعة وحدود وعليها إدارتها واستثمارها مقابل أخذ حصتها من هذا الاستثمار.

إن الشعوب ليست أكثر من أداة تصنع وتستخدم في هذا الصراع كوسيلة للوصول إلى الغايات العليا للمستثمرين الذين لا طموح للشعب أكثر من العمل في تحت رايتهم واستثمارهم.

إن غياب الوعي الكافي لدى الكثير من الشعوب لذاتها ومن هي فعلًا ودورها في التاريخ يشكل حجر عثرة أساسي في تحقيق التوازن المطلوب، ووقف هذه المهزلة ورفع مستوى وعي الإنسان لذاته من أجل الوصول إلى مستوى المساهمة الإجابية في مفهوم بناء العالم الجديد.

فالعالم بأكمله خاضعًا لعملية التصنيع الجديدة والشعوب جزء من هذا التصنيع وفي حال عدم وعي الإنسان لما سيصبح عليه هذا سيعني أن العالم قادمًا على مرحلة تدمير ذاتي لا محالة. فلم يعد بالإمكان انتظار حلول أزمات المجتمع لتحل إشكاليات البيئة والطبيعة المتراكمة يوميًا بسبب النظام البشري الجائر.

إن الشعوب والقوى المناهضة لهذه العملية يقع على عاتقها بالدرجة الأولى مواجهة هذه العملية بكافة الوسائل المتاحة، واستغلال ما يمكن إستغلاله من أجل الوعي لعملية البناء الجديدة ومخاطرها ووضع الطرق والبرامج الكفيلة لمواجهتها، وبناء عالم جديد يتلاءم مع تطور الحياة والمرحلة.

الحلول الضرورية المقترحة:

إن أي إشكالية بحاجة إلى حل على الصعيد الإجتماعي تحتاج إلى ثلاث مقومات أساسية وهي:

1. وعي ومعرفة ومعلومات حول الذات والموضوع المراد تحقيق
2. خطوات عملية اساسية هامة وأولية لابد من تحقيقها
3. برامج نظرية وخطة عمل بخطوط عريضة توصل إلى عمل مباشرة

الوعي والمعرفة من أهم العوامل الذاتيه الواجب توفرها وهذا يعني أن على الأفراد والمؤسسات المعنية المناهضة لهذا التصنيع أن تسعى

إلى نشر الوعي وثقافة أهمية المرحلة وكيفية مواجهتها. والإقتناع ان التاريخ ليس قدرا في يد أصحاب السلطة والسلطان بل هو في يد القوى التي تخوض صراعاته مباشرة، وليس في القوى المسيطرة على النظام لوحدها. وتفهم أن الوعي هو القوى الاساسية التي تشكل أساس طاقة الإرادة الجماعية لوعي جماعة بشرية ذات هدف وتسعى لتحقيقها.

الخطوات العملية الضرورية التي على كل فرد اتخاذها مسؤولية اساسية تقع على عاتقه وهي مبداء الإكتفاء الذاتي بقدر الإمكان ومن اهم هذه القضايا الأساسية التي على الإنسان توفيرها لحياته وهي ممكنه حتى الآن لعدد واسع من البشرية..

المعرفة والمعلومات

مصادر الطاقة

الغذاء

المسكن

أدواة منزليت وغيرها

أولًا تعتبر المعرفة والمعلومات التقنية والخبرات من أهم القضايا التي يحتاجها الإنسان من أجل توفير الإكتفاء الذاتي بقدر الإمكان ومن أجل تحقيق ذلك لابد من توفر المعلومات والمعارف الضرورية لديه لتحقيق ذلك.

إن هذا الأمر لم يعد ذو صعوبة في وقتنا الراهن فالمعلومات أصبحت

متوفرة وبشتى الطرق وحول كافة مظاهر الحياة البشرية والمهن والإكتشافات العملية بما في ذلك أحدثها.فقد تحول معلومات العالم بأسره إلى كتاب واحد بالإمكان تصفحه في أي لحظة، وهكذا فإن الجانب الأساسي الذاتي متوفر بسهولة وما علينا سوى إتخاذ القرار بأن نقوم بأي عمل ما حتى نتمكن من الحصول على كافة المعلومات الضرورية لذلك.

ثانيًا: الطاقة:

أول قضية أصبحت ملحة لحياة المجتمع المعاصر التي ليس بالإمكان الاستغناء عنها بكافة مجالات الحياة البشرية المعاصرة. فأولويتها تصل قبل الغذاء والمسكن، فطبيعة الغذاء الحديثة تحتاج إلى الطاقة أيضًا وإلا فسد. ولهذا فإن الطاقة هي الأولية التي على الإنسان توفيرها ذاتيًا

يعتقد البعض أن هذا ليس سوى حلم فنان طائش يفكر كما يرغب

و لكن الحقيقة إن الطاقة موجودة من حولنا في كل شيء. الماء الهواء الطعام الصخور والتراب وكل ما يقع تحت أبصارنا حتى الّإنسان نفسه فجسده يعمل على الطاقة ودماغه. وليس الإنسان أو أي كائن حي سوى طاقة متجسده متفاعلة، بل قل أننا نعيش غارقين في محيطًا هائل من الطاقة التي لا نشعر بها ولا ندركها وهي طاقة الجاذبية. فالجاذبية لوحدها هي طاقة مذهلة نحن غارقين بها دومًا

إن الطاقة من حولنا في كل شيء ونحن جزء منها وهي جزء منا وجزء أساسي من العالم والوجود وما علينا سوى معرفة أو اكتشاف أبسط

الطرق وأسهلها لنا لإستعمال هذه الطاقة واستغلالها.

لقد أصبح اليوم بإمكان أي إنسان السعي وراء تحقيق نظام الطاقة المتجددة المجانية والنظيفة في الوقت ذاته. وهذا يعني أن الإنسان بإمكانه توفير حاجته من الطاقة دون العودة إلى المصادر التجارية الحكومية أو غيرها. بل سيصبح سيد نفسه ومعتمدا على ذاته.

ثالثًا: الغذاء:

يعتبر الغذاء من أهم مقومات الحياة لأي كائن حي، والإنسان بحاجة إلى نوعية وكم ما من الغذاء من أجل الحفاظ على بقائه وحياته ويعتبر الأمن الغذائي من أهم قضايا الأمن التي على الشعوب توفيرها. فكارثة المجتمع المعاصر الكبرى أنه مجتمع يسعى لتحويل كافة العالم إلى تجمعات ومدن سكنية إستهلاكية بحتة لا تنتج حتى ما تأكل وما تلبس، بل المتحكم في الغذاء وإنتاجه إحتكارات ضخمة هي من تمتلك الأراضي والعقارات الزراعية وتستثمرها وتصنع الغذاء بالطريقة التي تراها مناسبة ومريحة لها وهكذا تتحول المجتمعات البشرية إلى تجمعات سكنية مستهلكة فحسب ولا تنتج غذائها ولا علاقة لها بذلك فقط أيدي عاملة في مصانع أو عمال مزارعين لدى مالكي الأراضي الكبار ومن أهم القضايا التي على الإنسان توفيرها لكي يكون حرًا في ما يستهلك هو إنتاج ما يحتاجه بنفسه وبطرق بسيطة وحديثة لا تحتاج إلى الكثير من المساحات أو المواد العالية التكلفة.

بالأمكان في مساحة صغيرة زراعة الكثير من المنتجات الأساسية التي

يستهلكها الإنسان يومياً من خضراوات ونبات مختلفة، وكذلك يصبح بمقدور الإنسان الحصول على طعام نظيف مضمون من حيث طبيعة المواد المستعملة وجودة الإنتاج واستهلاكه طازجًا.

إن الإنسان المعاصر يقضي الكثير من أوقاته في أشياء غير مفيدة على الإطلاق ربما بأي شيء حتى لذاته. وبإمكان كل إنسان تخصيص ساعتين أو أقل من يومه للإهتمام بإنتاج غذاءه، وهذه تعتبر من اهم الطرق لتوفير الإعتماد الذاتي.

إن إنتاج الكثير من المواد الغذائية اليوم ليس بحاجة إلى الكثير من المساحة فبإمكان الإنسان إستعمال الشرف وأسطح المنازل ومساحات صغيرة جدًا من التربة والحدائق الصغيرة للإنتاج الغذائي. والطرق الحديثة متوفرة بكثرة في العالم الفضائي.

إن تناقل الخبرات وتوفر المعلومات مجانًا وبكل سهولة يساهم ويلعب دورًا كبيرًا لا محالة في نشر هذا النوع من التقافة والوعي.فتوفير الغذاء أو نسبة منه منزلياً وثم محلياً أي في مكان السكن نفسه في أطراف المدينة أو القرية يساهم بشكل كبير في توفير الأمن الغذائي للسكان في محيطهم القريب مما يوفر عليهم مسافات النقل والقدرة على الاعتماد على الذات، والتخلص من سيطرة الاحتكارات والعولمة السلبية.

رابعًا: السكن والبنية التحتية:

المأوى من أهم قضايا استقرار حياة الإنسان. ويشكل المأوى المكان الأكثر خصوصية للإنسان، ويعتبر المأوى في جميع أعراف الشعوب

وثقافاتها مكان ذو مكانه وتقدير خاص في كافة القوانين في العالم بما في ذلك القانون الدولي.

وكذلك فإن المأوى من أهم الملكيات الشخصية للإنسان،ومن حق كل إنسان أن يمتلك المأوى الكافي والمناسب للحياة البشرية بحسب تطور وطبيعة المجتمع ونظامه وعصره.فالمأوى هو المكان الذي يتربى به الأطفال والأجيال القادمة ليس فقط الإنسان بل للحيوانات والطيور أيضًا. فحتى الطيور لها وكناتها وبيوتها الآمنة التي تحتمي بها في تربية أطفالها وممارسة خصوصياتها الحياتية الخاصة. والإنسان كذلك فالمأوى هو المكان الذي يتربى به الإنسان ويصنع ولهذا فإن المأوى هام ومن أساسيات الحياة الإنسانية. إن دولة المواطنة الحقيقية والعادلة يتمتع كل مولود جديد بها بحق امتلاك قطعة أرض تمنح له فور ولوده مساحتها تكفي لإنتاج غذاءه وبيتًا امنًا يكفيه حاجاته، بهذه الطريقة يمكن أن تقترب الناس من مفهوم العدالة والمساواة.

إن من أهم قضايا إستقلالية الشعوب وتنوعها الحضاري في بيئتها تكمن في اعتمادها على ذاتها في بناء أساسيات حياتها من بنية تحتية أساسية، ومن ضمن المواد التي يستخدمها البشر وهي منتشرة على نطاق واسع مادة الإسمنت. وهي من أسوأ المواد المستخدمة للبنية التحتية. الإسمنت مادة يكلف تصنيعها البيئة تلوثات مريعة. بالإضافة إلى كونها مادة غير قابلة لكافة أنواع الحياة إضافة إلى صعوبة التخلص منها وبقائه مادة ملوثة وغير قابلة للحياة لفترات طويلة من الزمن

إن توفر مواد البناء والبنية التحتية بالضرورة ان يكون محلياً وبحسب

البيئة والمنطقة وما يتوفر بها من مواد ويفضل أن يكون من مواردها فالنظام العالمي التجاري للبناء ليس هو النظام المثالي وخاصة فيما يخص المساكن للحياة. فنظام السكن في الأبراج والطوابق المرتفعة يحول حياة الإنسان إلى سجن مجحف بحقه وبحق اطفاله وطبيعة نشأتهم.

إن الطفل الذي يبقى على إحتكاك مع الطبيعة في أوقات لعبه وحياته الأولى يكون صورة أشمل وأكثر تعريفًا للعالم والوسط المحيط من الطفل الذي يعيش منعزلًا عن الإحتكاك في الطبيعة. إن استعمال الطبيعية الاولية دون الإكثار من تصنيعها وإضافة المواد الملوثة لها من اجل الحفاظ عليها لفترات زمنية أطول أمرًا هامًا للغاية ومن الضرورة تفهمه في التعامل مع مواد البناء فهناك الكثير من الشعوب تستخدم مادة الخشب مثلا في إقامة مساكنهم وذلك لتوفر الأخشاب والغابات بكثرة في مناطقها.

إن الاستغناء والابتعاد عن وحدة استخدام المواد الأولية للبناء والعمارة والحفاظ على الانماط الطبيعية التي توارثتها الشعوب كل بحسب بيئته ومناطقه ومواده الاولية المتوفرة في الطبيعة يعتبر من القضايا الهامة أولا للحفاظ على تراث الشعوب وخبراتها التي تراكمت عبر آلاف السنين في التعامل مع مواد الطبيعة المحيطة.

ثانيًا: لتناسبها مع مزاج الشعب وبيئته وثقافته.

ثالثًا: هذا يحافظ على تنوع الشعوب وتلوينها الطبيعي في مساكنها

وثقافاتها.

رابعًا: تناغم حياة الإنسان مع البيئة والطبية وعدم تلويثها على المدى البعيد.

فلنتخيل العالم لو أصبحت جميع أنظمة البناء ونوعية المساكن واحدة وذو نظاما وطابعًا موحدًا. إن هذا بالتاكيد سيؤدي إلى كارثة للعالم بأسره. فتخيل أن تنتقل من قارة إلى أخرى وكأنك لم تنتقل من مكانك. البيوت الشوارع النظام الطعام اللباس.لا داعي للسياحة ولا معنى لها. وكل شيء موحد لا داعي لرؤية شيء آخر والانتقال من مكان إلى آخر لن يعني لك الكثير حينها بل البقاء في مكانك قد يكون أفضل بكثير من الترحال وتحمل العناء والمشقة لترى ما ترى كل يوم.

خامسًا: الأدوات الإستعمالية الضرورية الأولية من أثاث إلى أدوات الطهي إلخ.

من أهم قضايا الحياة بعد المسكن تأتي الأدوات الأساسية للحياة والسكن من أثاث إلى أدواة للطهي وغيرها من اللوازم الضرورية للحياة.

إن إستعمال المواد المتوفرة لدى الشعوب واعتمادها على ذاتها في صناعة حاجياتها الاستهلاكية، وعدم الإنجرار وراء التقليد الأعمى للآخرين فكل شعب بإمكانه إبداع وإنتاج أدواته وما يحتاجه من أدواة منزلية وفق بيئته وضرورات حياته. وترك جانبًا قضية توحيد الأثاث أو المقاعد أو غيرها من الأدوات أو توحيد موادها.

لقد سهلت التكنولوجيا الحديثة وإمكانية تسويق السلع إلى كافة أنحاء العالم. وهذا ليس سلبيا إذا ما صيغت القوانين الكفيلة بحماية منتجات الشعوب وأسواقها المحلية وطبيعة منتجاتها وإستهلاكها. فعلى كل شعب إنتاج حاجاته الأساسية من الأثاث وغيرها من الأدوات الأساسية بما فيها القضايا البسيطة بقدر الإمكان.

إن الوعي الشعبي الواسع النطاق لمثل هذه القضايا العملية وتحقيقها يشكل مهمة ملحة وضرورية لا بد من توسيع فهمها وضرورتها وتوسيع انتشارها بأعلى وأوسع نطاق ممكن.

إن إنتاج الشعوب لموادها الضرورية بذاتها حتى لو كان تكلفته أكثر من أن تشتريه من الخارج يمثل مصالحها العليا على المدى البعيد. وذلك لضمان إستغناءها عن الإحتكارات الدولية المتربصة.

إن سعي الشعوب إلى إنتاج ما تحتاجه من مواد استهلاكية ومن طاقة وغذاء يشكل الخطوة الهامة لحفاظها على ثقافتها وحضارتها من الإندثار في مثل هذا الجنون السائد من هيمنة الفكر المجنون على العالم الساعي إلى تحويل العالم بأسره إلى مزرعة واحدة بدل من مجموعة مزارع.

إن التخلص من هذا الاحتكار يحتاج إلى خطوات عملية وإن كانت أولية نحو استكمال مقاطعة النظام الاستغلالي بكافة تبعاته.

إن الوعي والسلوك البشري للأفراد يشكل الأساس في هذه العملية فعلى كل فرد إنتاج جزء ولو بسيط من حاجياته وعليه أن يتعلم كيفية

القيام بذلك.إن هذا الأمر بالغ الأهمية في إعادة بناء الوعي البشري على أساس جديد.

" ثقافة إنتج شيء مما تحتاج"

هذا ما يخص الحلول العملية الضرورية المباشرة بها دون أي تعطيل أو تردد. فالعالم يصنع ويولد من جديد ومن لا يلحق بالركب لن يصل أبدا.

الحلول الفوقية والنظرية:

1. إعادة قراءة التاريخ وإعادة صياغته بطريقة علمية محايدة .
2. إعتبار كل الموروث المتوفر من التراث الإنساني هو الجزء المكمل للتاريخ ورؤيته. وعدم ترك هذا الجزء الذي يشكل غالبية الموروث ألإنساني خارج المنظور الفكري للإنسان.
3. إعادة النظر في رؤية الإنسان لذاته.
4. المصالحة بين الفرد والجماعة وإعادة صياغة العلاقة بينهم على أساس المصالح والحفاظ على ديمومة وحرية الفرد.
5. إعادة صياغة مفهوم الهوية والإنتماء ومفهوم القومية والطائفة والعلاقات بين الشعوب. ومن أهمها الإنتماء للحياة والأرض أولا وقبل كل شيء فكوكب الأرض هو الوطن الحاضن للحياة بكاملها وليس حياة البشرية وحسب.

6. إعادة النظر في النظام الاقتصادي العالمي وطبيعته سواء من حيث العلاقات أو الواقع المادي .
7. تغيير وإعادة صياغة كافة المفاهيم الدولية والمؤسسات سواء السياسية أو الاقتصادية أو الحقوقية للأفراد والجماعات والأمم.
8. محاربة الهيمنة والتعصب والعنف وكافة أشكال الشوفينية والعنصرية.
9. وقف التسلح والتجارة بالحروب والبشر.
10. الحفاظ على البيئة والحياة والإنسان معًا.
11. تغيير مصادر الطاقة فورًا قبل فوات الأوان فلم يعد واقع الأرض يحتمل المزيد من التلوث والدمار للبيئة بسبب الطاقة السوداء المستخدمة حاليًا.
12. السعي للانتقال إلى سلوك انساني واعي متطور طبيعي منسجم مع ذاته ومع وسطه المحيط وبيئته الطبيعية.

إن مجمل ما ذكر من نقاط عامة نظرية في هذا الجزء من المادة بالإضافة إلى أشياء أخرى وعوامل عديدة وبرامج تفصيلية ربما أكثر من ذلك يحتاج إلى قوة فاعلة تقوم بهذا الجهد الكبير والعمل الواعي والمنظم.

إن مسؤولية هذه القضايا والعمل على تفعيلها وغيرها وتحويلها إلى برامج عمل تقع على عاتق النخبة والمؤسسات وكافة أشكال التجمعات النقابية والاجتماعية والثقافية وغيرها من المؤسسات الغير حكومية

اولًا. والتخطيط الواعي من الأفراد ثانيًا. وما أمكن من المؤسسات الحكومية.

إن القوى المناهضة للاحتكارات الدولية كافة في داخل المجتمع نفسه فحتى المستثمر المحلي تتعارض مصالحه مع هذه الاحتكارات في المرحلة الحالية. وهذا يعني أنه من الضروري استغلال هذا التعارض لصالح الشعب وقضيته المركزية « التخلص من نير الاحتكارات والأتجاه نحو اقتصاد محلي متكامل بكل بلد.

إن تكاتف الشعوب وكافة القوى والمؤسسات والأفراد والنخب النظيفة المستقلة يشكل الضمانة الأولى للبدء في إنجاز هذه المهمات التاريخية الهائلة والسير نحو حرية حقيقية وصياغة شكل جديد للعلاقات البشرية بكاملها سواء بين افراد البشر او الإنسان والطبيعة

إن الشعوب في سباق مع الوقت فإما المساهمة وإعادة البناء وإما السقوط وربما إلى الأبد هذه المرة في شباك سيطرة الطبقات العليا في المجتمع على مقاليد السلطة في العالم والاستمرار في استعباد الإنسان وكوكب الأرض بكامله.

فعملية التحول والتصنيع للمجتمع قائمة متواصلة من أجل إعادة تصنيع وصهر الإنسان والطبيعة بما ينسجم مع نظام سيطرة الاحتكارات العالمية الكبرى السالفة الذكر.

الخاتمة

لقد تحدثنا في المقدمة عن أهمية التاريخ للبشرية وطبيعة هذا المفهوم الإنساني ونسبيته والتباسات إستعماله كإصطلاح دارج وتعبير في الاستعمال المجتمعي اليومي من أهم الاعتبارات والاستنتاجات التي توصلنا إليها. تشير إلى أهمية التاريخ في صناعة الإنسان وتشكيل وعيه. فالحضارات والأمم تصنع شعبها على أساس استمرار أو تواصل تاريخي لحدث ما أو أحداث وقعت قبل آلاف السنين في بعض الأحيان. وتصبح هذه الأحداث جزء من الوعي الجماعي للأمة أو الشعب او أي جماعة أخرى.ليس ها فقط بل وعلى أساس هذا التاريخ تقيم الأنظمة السياسية سلطتها ونظامها. وقد أشرنا سابقا إلى شراكة السلطة السياسية والدينية وتداخلها بل ووصلت الأمور إلى تبادل أو تقاسم السلطة بينهما،بل في الكثير من الأحيان تحولت إحداهما إلى قوة تنفيذية في يد أخرى وقد أدركت الأنظمة السياسية منذ بداية تشكلها أهمية التاريخ وأحداثه من أجل البناء على طريق المستقبل والاستمرار في الحفاظ على نظامها ووجوده ولهذا استغل النظام السياسي منذ البداية على تبرير وجوده التاريخي والاستعانه في هذا الوجود على كونه من صنع الالهة مدعومًا من قوى خارج الطبيعية وهي من تقرر من يكون الحاكم والمالك.

وبناء عليه تم تشكيل أولى أحداث التاريخ كما تطلبة مصالح هذه الأنظمة السياسية.

إن التاريخ كحدث هو شيء واقع وذو استمرارية متسلسلة لا يمكن فصلها ما دامت هناك حيات وتواصل بشري.اما كتابة التاريخ فهي شيء يقوم به الإنسان نفسه، رواية لحدث ما.

و قد وصل في الكثير من الأحيان إلى صناعة آلهة عنصرية متعصبة شوفينية تسمح لهذا الشعب أو ذاك أن يستغل الآخرين لا سبب سوى كونهم مختلفين عنهم.

فلم تكتف الحضارات بصياغة أو تأويل أحداث التاريخ على هواها بل وصاغت تاريخ الكون كله على أساسه وخلقته بحسب مصالحها وأهواء ملوكها وأنظمتها السياسية.

كما وصنعت الآلهة الخاصة بها والتي تشير حسب رغبات الحاكم والسلطان فحتى الآلهة التي يعتبرونها في رؤيتهم صانعة الكون وخلقت الحياة لكنها في النهاية تخضع لسلطان الحاكم ورغباته وجبروته وقوته. وكثر هي الأساطير التي تروي عن تحدي الملوك وأصحاب السلطة للآلهة وكثيرًا ما أصبح السلاطين أنفسهم آلهة او أنصاف آلهة.

إن كتابة التاريخ عبر التاريخ المؤدلج والمسيس والذي يزيد تاريخه عن العشرة آلاف عام على الأقل قد خضع للصناعة والتشكيل.

ومنذ نشوء السلطة الذكورية وانتشارها والتاريخ لعبة في يد الحضارة المسيطرة وأنظمتها السياسية وسلاطينها. سواء في كتابته وصياغته كما تشاء وتشتهي أو في قيادته وإخضاع الشعوب واستعمالها من أجل استمرار مصالح النظام السياسي القائم.

و يمكننا الجزم بأن التاريخ ليس سوى لعبة يلعبها الحكام والقادة والسياسيين أدواتها ووقودها هم الشعوب. فمن يستهلك منها يستهلك وتستمر مصالح الحاكم والنظام السياسي.

و هكذا يموت المجتمع من أجل أن يحيا المالك.

إن من العار على البشرية بعد كل هذا الوضوح واكتشاف الحقائق الاستمرار في ترك مصيرها في يد قلة تشكل تاريخهم ومصيرهم وحياتهم ومستقبلهم بنفس النظام والعقلية الذكورية الهمجية التي شكلت الاساس في بنية السلطة والنظام السياسي والحقوقي قبل آلاف السنين. وقد اثبتنا ذلك من خلال فصول هذا الكتاب كيفية بقاء الإنسان عبدًا كاملًا لم يتغير عليه في جوهر الأمر شيء بل تطورت عبوديته وأصبحت مقنعة مغلفة، بل أصبحت جزء من مفاهيمه وقناعاته. فالإنسان المصنع بإتقان للأسهلاك والاستعمال كمواطن صالح، لن يستطيع أبدًا أن يرى نفسه خارج قيده بل أنه يعتبر هذا عارًا وشؤم عليه.

لقد صنع القيد منذ البداية في وعيه ولم يعد بحاجة إلى قيود بل أصبح هو نفسه حارسا على قيده وقيود الآخرين وهكذا تحولت المجتمعات إلى آلة هائلة حارسة لقيودها ونظامها السياسي وحتى لو كان نظامًا عبوديًا واستغلاليًا.

فالتواريخ تكتب وتعد كمادة لصناعة الوعي البشري وليست لمعرفة الحقائق.

ومن الجدير بالإشارة إلى أن التواريخ الرسمية المكتوبة للأمم على الرغم من غناها واتساعها لمساحة من الحقيقة والحدث التاريخي الواقعي في بعض الأحيان، ولكنها لا تشكل سوى القليل الذي لا يسمن في شيء في حال اعتماده كمادة تكفي لمعرفة الحقيقة وبناء العالم والمستقبل على أساسها.فالتاريخ الرسمي المكتوب والمعتمد لا يشكل واحد بالمئة من منتجات البشرية وحضاراتها وثقافاتها.

فكيف لكتّاب أو كتابين أن يشكلان مرجعًا لكل ما في الكون ومافي المجتمع وأن يكفيا لإعطائنا صورة عن الحياة ماضي وحاضر ومستقبل و قد أشرنا إلى أهمية المواد التي يجب اعتمادها لتفسير التاريخ وفهمه والبناء عليه.

إن كل ما انتجته البشرية مهمًا وذو قيمة عالية حتى لو كان أبسط المنتجات فيما لو أدركنا كيف نراه ونقرأ الحقائق من خلاله. فإبرة الخياطة مثلاً من أبسط وأقدم الأدوات التي صنعها الإنسان واستعملها، ولكن عثورنا على إبرة قديمة قد يعطينا فكرة لا تصدق عن العصر الذي صنعت واستعملت فيه هذه الإبرة.مادتها أولا ستعرفنا على العصر إن كانت من العظم مثلاً فستكون من العصر الحجري، أما في حال كانت من البرونز فستعني أنها من العصر البرونزي. وسنعرف من طريقة صنعها أنها استعملت لخياطة الجلد أو القماش أو نوع المادة التي استخدمت لها، بل وحتى الفراء المحدد فهناك أدوات ذات اختصاص في الحياكة منذ القدم.

إن رؤيتنا لهذا الإبرة من خلال امتدادها واستعمالها الفعلي وصناعتها

وعصرها سيعطينا الكثير والكثير من التفاصيل عن ذلك العصر وميزاته ومدى تطوره ورفاهيته ومواده إلخ..

إن أي قطعة من المنتوج الإنساني كفيلة بإعطائنا الكثر والكثير من المعلومات والحقائق عن عصرها. وقد شكلت التكلجة الحديثة وعلم الآثار لنا صورة واضحة لا لبس فيها حول تاريخ الإنسان ماضي وحاضر... والمستقبل متروك لنا لنراه ونحدد مساره على أساس هذه الرؤية لهذا وجب علينا تصحيح مفهومنا للتاريخ ومحاربة كافة أشكال التعصب والكراهية والنظرة الدونية للآخرين.

فكما القطط في جميع انحاء الأرض هي نفسها القطط وكما هي متساوية في طبيعتها كذلك نحن البشر.

ومن أهم الخلاصات التي حصلنا عليها في هذه الدراسة إن على الأجيال القادمة تشكيل وعيها بذاتها مع احترام ثقافتها وحضارتها وتراكمها التاريخي. فليس المطلوب قطع السلسلة التاريخية للشعوب ومحو حضاراتها كما هو حال العولمة الجديدة، بل المطلوب الحفاظ على التلوين الثقافي والحضاري للعالم والشعوب والحفاظ على اللغات القديمة والثقافات وتطويرها بدل إلغائها والتعلم منها. إن المطلوب ليس قلب حياة الإنسان وإعادته إلى الوراء بل المطلوب إعادة ألنظر في التاريخ والموروث المفاهيمي الإنساني برمته وبناءه من جديد على القواعد التي سبق وذكرنها في الفصل السادس والتي من أهمها إعادة بناء الإنسان لذاته لوعيه من جديد وصناعة نفسه بذاته بعد إدراكها وصقلها بما ينسجم ومصالح الفرد والجماعة... والحياة والطبيعة. إن

مستقبلنا يجب أن يكون بإيدينا كأفراد أولًا ومن ثم كجماعات وعلى كل منا أن يدرك بأنه حجرا من جسر المستقبل مهما كانت مهمته بسيطه في الحياة لذلك عليه اتقانها والثقة بأنه هو ذاته جزء من التاريخ وأنه قادر على صناعته بل يصنعه سواء أدرك ذلك أم لم يدرك.

قد لا تتناسب هذه الدراسة مع ذهنيتنا وعقليتنا المصنعة أصلًا فكل منا قد تم تصنيعه وليس بالإمكان إعادة هذه الصناعة بالكامل. ولكن هذه الرؤية ستكون أكثر إنسجامًا مع أجيال قادمة قد نلتقي بها وقد لانلتقي، ولكن هذا ليس مهما فليس من الضروري أن تلتقي الأجيال في الواقع ولكنها قد تلتقي عبر التاريخ وقد يكون هذا اللقاء الحميم أكثر صفاءًا ونقاوة من لو كان حدث في الواقع، فالقاءات التاريخ معتقة كالخمر عبر ذرات الزمن.

الفهرس

الفصل الثاني

الفصل الثالث

1. قصة الحضارة - ويل دورانت
2. السومريون - تاريخهم - حضارتهم - وخصاءصهم، تاليف صاموئيل نوح كريمر، ترجمة، د، فيصل الواءلي
3. الاوان - من اجل ثاقة علمانية عقلانية ــ في مفهوم الإنسان وماهيته عند فيورباخ ـ الكاتب، حسن أوزال
4. اصل العاءلة وللملكية الخاصة - فريدريك إنجلز
5. انجلز - المجلدات الكاملة
6. رأس المال - كارل ماركس
7. النزعات المادية في الإسلام ـ د ــ حسين مروه
8. ثقافات - ما وراء ملحمت جلجامش - امال السحمودي
9. ترجمة ملحمت جلجامش - طه باقر
10. مختصر تاريخ العراق - الجزء الأول - عصور ما قبل التاريخ، الألف التاسع، ٢٨٠٠ ق،م، تاليف الباحث،علي شحيلات و، د، عبد العزيز الياس الحمداني
11. مختصر تاريخ العراق ـ الجزء الخامس - عصر الإحتلال، ٥٣٩ ق،م ٦٣٧، ب،م ، تاليف الباحث،علي شحيلات و، د، عبد العزيز الياس الحمداني
12. النظام الاجتماعي في العراق القديم - أعداد، م م، وليد سعدي الميالي
13. الاوذيسة - هوميروس

14. الألياذة - هوميروس، من اقدم الملاحم الشعرية الغربية وهي يونانية الأصل هي والوذيسة بحسب خبراء الأثار والتاريخ

15. المدينة الفاضلة - افلاطون

16. الانبريالية اعلى مراحل الراسمالية - فلاديمير لين

17. شريعة حمورابي - إعداد وتجميع ـ د، اسراء حاسم العمران

18. شريعة حمورابي ـ ترجمة؛ محمود الامين

19. مقدمة ابن خلدون

20. نشات الملكية في المجتمعات البداءية ـــ لونا عريقات

21. علم التاريخ - منتدى النرجس ـ موقع علمي أكاديمي اكتروني

22. منتديات تخاطب ـ تاريخ علم الدلالة

23. المنطق - تاليف العالم والمفكر ابن سيناء

24. رسالة الغفران ـ ابو العلاء المعري

25. بؤس الفلسفة ـ كارل ماركس

26. علم ظهور العقل - جورج هيجل، ترجمت ـ مصطفى صفوان

27. المنطق - ارسطو

28. الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة - عمر عبد الحي

29. الكتبة في مصر القديمة ـ رندا رافة - مجستير صحافة، جامعة القاهرة

30. نشأة الفكر الهندي وتطوره في العصور القديمة - عبد العزيز الزكى

31. فلسفة الدين في العقل المصري القديم ـ نظرية الخلق في الفن المصري القديم، عبد الحليم حفينة
32. الفلسفة الشرقية القديمة ـ د، مصطفى حسن النشار
33. كنفوشيوس - راءد الفكر الإنساني - صلاح بسيوني رسلان
34. الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، في النزعات المادية - تاليف، خليل حسين
35. الديمقراطية بين فصل الدين عن الدولة وفصل السياسة عن الدين - هزاع عبد العزيز المجالي
36. القوانين في العراق القديم ـ قانون عشتار اور نمو حمورابي، كلية الادب، قسم الآثار، جامعة بابل
37. اقدم القوانين القوانين والشراءع العراقية في التاريخ والتي سبقت شريعة حمورابي - بوابة عشتار
38. المادية التارخية وعلم المجتمع - خليل اندراوس ـ الحوار المتمدن
39. فلسفة هيجل ودورها التاريخي - خليل اندراوس، الحوار المتمدن
40. الفن السادس من الطبيعيات ـ علم النفس ـ من كتاب الشفاء، تاليف، ابن سيناء
41. النظام العالمي الجيد والقديم - ناعوم تشومسكي
42. إعاقة الديمقراطية - ناعوم تشومسكي
43. السيطرة على الإعلام - نتعوم تشومشكي